الزجل والزجَّالون

والصحافة الساخرة

أبو بثينة .. أمير الزجَّالين

دراسة وتحليل

عبد الرحمن بكر

تقديم

د. صلاح الطاهر

الزجل والزجَّالون
والصحافة الساخرة
أبو بثينة .. أمير الزجَّالين

دراسة وتحليل

عبد الرحمن بكر

تقديم

د. صلاح الطاهر

الكتاب: الزجل والزجَّالون والصحافة الساخرة (أبو بثينة .. أمير الزجَّالين)

الكاتب: عبد الرحمن بكر

تقديم : د. صلاح الطاهر

الطبعة: **2018**

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

بكر ، عبد الرحمن

الزجل والزجَّالون والصحافة الساخرة (أبو بثينة .. أمير الزجَّالين)

/ عبد الرحمن بكر – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

315 ص، **18** سم.

الترقيم الدولى: **978 -977- 446 – 687 – 0**

أ – العنوان رقم الإيداع : **2619 / 2018**

الزجل والزجّالون

والصحافة الساخرة

أبو بثينة .. أمير الزجّالين

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

على سبيل التقديم

د. صلاح الطاهر

بالبحث والتدقيق والملاحظة خلال ما يقارب **200** سنة الأخيرة وخلال القرن التاسع عشر فى كتاب الزجل والزجالون وغيره من الكتب لوحظ ازدهار شعر العامية ازدهارًا كبيرًا وتأكدت فنونه وأجناسه وتبلورت خصائصه، واتخذت مفردات خاصة لها لم تكن تستخدم من قبْل .

إن لكل عصرٍ مفردات تستخدم وتندثر لتحل محلها كلياً أو جزئياً مفردات لعصر آخر ولا يمكن حساب هذا التغير بعدد سنوات محددة وأيضا أُستخدمت أشكال موسيقية جديدة على الشعر العربي خاصة شعر العامية منه لم تستخدم من قبل . وتعددت هذه الموسيقى الجديدة ومازالت تستخدم إلى اليوم خاصة الزجل والأغاني والفنون الشعبية المحلية داخل الأقاليم المصرية باختلاف أشكالها.

وقد ارتقى منها البعض إلى مرتبة التراث بعد أن قنن لنفسه ويهدف هذا البحث فى هذا الكتاب إلى تقنينها وتسميتها بعد جمع حالاتها المختلفة وعرض نتائج البحث على المجتمع الأدبي ومناقشة ذلك مع الأدباء والمتخصصين مناقشة بحثية علمية تستند إلى مناهج البحث المتعارف

عليها لإقرارها والتأريخ لذلك وضمها لكتب العروض وموازين الشعر العربي.

إن المنهج الذى اتبعه فى البحث للتدليل على استمرار هذه الموسيقى فى حياتنا منهج الاستقصاء والاستقراء فى هذه الفترة والممتدة الى يومنا هذا، والأشعار كثيرة لذلك سنكتفي لكل شكل موسيقي بجزء من قصيدة أي أننا سندلل على كل شكل موسيقي جديد (بحر موسيقي) كما أننا سنحاول وضع أسماء لهذه البحور خاصة ما استقر منها وثبت وارتقى لمرتبة التراث على مدى هذا التاريخ وهذه الفترة فى كتاب الزجل والزجالون.. وتوجد نماذج أخرى وأشكال موسيقية جديدة أيضا ولم تمتد طيلة هذه الفترة إلى الآن تحاول إثبات ذاتها ووجودها فى حياة المجتمع سنحاول إلقاء الضوء عليها وتسميتها أيضا كشكل من أشكال التأريخ لهذه الفترة والتقنين والتأصيل لها لحين أن تكتمل فيما بعد ليأتي من يقنن لها ويسميها.

مما لا شك فيه أننا سنجد معارضة من كثيرين هذا شأن كل جديد ولا ضير في هذا فهو معروف بالضرورة، ولكننا نرحب بالرأي المختلف خاصة إذا كان موضوعيا غير متحيز لفكرة أو لمنهج بعينه وأغلبهم ممن يدعون أنهم حراس على اللغة والتراث على الرغم من الأشكال الموسيقية تخص اللهجات واللكنات العامية وأشعارها نقول لهم نحن شعراء العامية أولى بها أن نقنن لها ونؤصل ونضيف ما نراه بشروط البحث المتعارف عليها فى المناهج الأدبية والفلسفية

.. وبما أن اللغات الحية تقبل الإضافة وربما الحذف أيضا والشعر جزء مهم من التراث وهذه اللغة وهو يقبل أيضا كل جديد ثبت على مر دهر وليست ظاهرة عابرة لا يمكن الاعتداد بها واعتبارها قاعدة عامة ولو لفترة معينة . ولا يمكن أيضا أن تتحجر عقولنا ونهمل ما جد علينا وثبت ونستخدمه ومازال يستخدم من أشعارنا وثقافتنا وموسيقانا والمزاج الجمعي الموسيقي العام لشعب أو لأمة.

لقد عَنِي محمد زكي عبد المنعم (أبو بثينة) بكتابه هذا ووضع فيه أزجالا وألوانا من الشعر لكل هؤلاء الأعلام الأدبية، وتلاحظ أنه وضع الكثير والكثير من جديد موسيقى الشعر لهؤلاء الأعلام وأظن أنه عن قصد منه للتاريخ الجديد فى موسيقى الشعر لهذه الفترة الذهبية وتم تصنيف هذه الأشعار طبقا لمناطقها الموسيقية وليس ترتيبا لما جاء بالكتاب حتى نؤكد ما أكده هذا الفذ أبو بثينة أن فن الزجل اختلق لنفسه مناطق موسيقية يجب التقنين لها وإضافتها لتراثنا العربي، واتخذنا أسماء لهذه البحور فكانت كالآتي ونعرض لها بعد تقديم هذه الزجلية لأبي بثينة:-

محمد زكي عبد المنعم . يام ابراهيم .....أبو بثينة 1925

مستفعلن فعلن فعلن .... فعلن فعلان

يام ابراهيم ... براهيم ابنك اسم الله عليه

محطوط له منديل علي وشه رح يعمي عينيه

مكلفتاه ليه يا وليه....؟ ليه كل ده ليه.....؟

لما احنا حنبص في وشه ....رح يحصل ايه؟

انا ماشفتش ناس زيك..... ولا أهل الصين!..
مين اللي بتخبي ولادها ..زيك كده مين....؟
معلقاله في رقبته ....فرده قبقاب !.....
صغيره .. وعدس وفلفل ..ملفوف في حجاب
وعقد أزرق علي صدره ..وحجاب وصليب
وخمسه وخميسه ف قورته .. أما الجلاليب
مرقعاهم ميت رقعه كستور........ على شاش
علشان يعيش ابن الصرمة ما انشالله ما عاش
ملزقه تلتين راسه ......قال ايه بفاسوخ!...
علشان يعيش وان عاش يطلع لطخ وملطوخ
قال حاطه منديل على راسه لا الناس يشوفوه
بالشكل ده يطلع ابنك... خواف وجبان!....
لو شاف دوباره يروح صارخ ويقول ''تِعبان''
يا بنت مصر سيبك من ده .. وبلاش تخريف
وخلي ابنك واد ''راجل''...... وتمللي نضيف
اشمعني مبروك يا ستيته... واللا ابو شلاضيم
اللي إن باعوه ما ارضاش اخده.... حتي بمليم
اللي العماص غطى حواجبه وها يعمي عينيه
الناس دى لما تشوف وشه تحسد فيه إيه.؟
اشمعني بس يا شلبية... ابن الخواجات... ؟

اللي ان جرحتيه من جرحه .... ينزل شربات

اللي تلاقيه شعره مهدل وكأنه سلوك!...

من الدهب . وكمان لبسه.......... حلو ومسبوك

اشمعني امه مبتخافشي ولا تخزي العين....... ؟

أهوه وأجمل ميت مره.......... م الواد حسنين

يا بنت وادي النيل............. ابنك فكيه . خليه

يتهني بالشمس .... دا عطفك ده راح يئذيه

خلي الولد من دول يطلع .... طول عمره شجاع

مش يبقي خواف ويهوش ..... معار جعجاع

متعلمهش يخاف ياختي...... والدنيا نهار

يمكن ف يوم مصر تعوزه..... على خط النار

يمكن ف يوم مصر تعوزه ..... على خط النار

أولا (بحر الطاهر)

يقول الشاعر / صلاح الطاهر

إفهم يا شاعر مقصودي غنّي بعودي . واعزف ألحان

الشمس تطلع وتنور . قوم نصّوّر . النور أهه بان

تلقى الزهور رح تتبسم . لحَّن قَسّمْ . سمّعني كمان

مستفعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلان

هذا الشكل الموسيقي بدأ فى الظهور للساحة الأدبية بداية القرن التاسع عشر حسب ما أتيح لنا بحثا وربما ظهر قبل ذلك كحالات فردية متناثرة لم تلاحظ فى الساحة الأدبية بشكل يعبر عن المزاج الموسيقي العام أو مزاج العقل الجمعي المصري . وشأن كل بحث يعتد بما هو يشكّل حالةً عامةً ممتدةً ومتصلة لفترة ما وهي متصلة الى اليوم

يتكون هذا البحر من تفعيلة واحدة من بحر الرجز مستفعلن **/0/0//0**

إضافة إلى عدد من تفعيلات بحر المتدارك فعلن **/0/0** كصور لهذا البحر فمن الممكن أن تكون هكذا:

1- مستفعلن فعلن فعلن **/0/0 /0/0 /0/0//0**

2- مستفعلن فعلن فعلن فعلن فعلن **/0/0//0 /0/0/0/0 /0/0//0**
/0/0/0/0

3- مستفعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن **/0/0 /0/0 /0/0//0**
/0/0 /0/0/0/0 /0/0/0/0

ونلاحظ أن في هذا الشكل يكون أجمل بوجود القوافي الداخلية في البيت الواحد نظرا لطولة فتزيد جماله بشكل مبهر جدا جدا علما بأن لكل شكل طعمه الموسيقي الخاص مرتبط ذلك بعدد تفعيلات المتدارك في الشكل الموسيقي.

هذا وتعتبر الأشكال الموسيقية السابقة إضافة لحالات خاصة منه في ترتيب قوافيها وعدد أبياتها فمنها القصيدة المطولة بقافية واحدة ومنها المربعات ومنها المثلثات ومنها المزدوج أيضا ومنها المؤتلف لموسيقى البحر، ويختتم المجموعة بمقلوب البحر . يمكننا أن نقول أن لهذا البحر

جمال خاص إذ تحمل جيناته وبعض خصائص بحر الرجز إضافة إلى خصائص بحر المتدارك فيحمل بين موسيقاه خفة المتدارك وسرعته ودلعه إن جاز التعبير مع جزء من رصانة الرجز ليعطي مذاقا خاصا جديدا وهنا تستخدم تفعيلة الرجز مستفعلن 0//0/0/ وضمن حالاتها متفعلن 0//0// وكذلك تستخدم من تضفير تفعيلات المتدارك فَعْلُن 0/0/وفَعِلُنْ 0/// ولا تستخدم معهما فاعلن أبدا كما ذكرنا فى بحر المتدارك على الرغم من أن فاعلن أصل تفعيلة المتدارك ولكنها إذا أتت وحدها تكون مستساغة ورائقة موسيقيا، وإذا تداخلت مع فَعْلُن 0/0/ وفَعِلُنْ 0/// فإنها تعطي نشاذا موسيقيا ملحوظا لا تقبله الأذن الموسيقية ونكاد نجزم بأنها لم ترد فاعلن فى أمثلة عبر مائتي سنة. كما أن آخر تفعيلة يمكن لها أن تزيل بحرف زائد لتنتقل من فَعْلُن 0/0/ إلى فعلان 0//0/ أو من فعِلُن 0/// إلى فَعِلان 0//// ويحدث ذلك كثيرا فى الشعر الغنائى والأزجال بشكل خاص.

ويستخدم هذا البحر كلاسيكيا كقصيدة بشطريها للبيت الواحد والقافية الموحدة وكذلك يستخدم حرا بشرط ترتيب التفعيلات متتابعة ولا يهم عدد التفعيلات فى السطر وتكون القوافي كيفما أراد الشاعر موسيقيا كما يريد أن يضيف من موسيقى روحه شخصيا ليضع طرقة القافية وهي مركز التجميع الصوتي للبيت أينما يريد وكيفما يريد من أشكالها.

الخلاصة:

- ❖ تفعيلة الرجز مستفعلن 0//0/0/ وارد أن تكون متفعلن 0//0//كما يجري عليها في بحر الرجز.
- ❖ تفعيلة المتدارك تستخدم فعْلن , 0/0/ فَعِلُنْ 0/// ولا تستخدم فاعلن أبدا معهم 0//0/ ومن الجائز أن تزيل التفعيلتان بحرف زائد لتنتقل من فَعْلُن 0/0/ إلى فعلان 0//0/ أو من فعِلُن 0/// إلى فَعِلان 0//// ودائما تكون بآخر تفعيلة فى الشطر الشعري.

فيما يلي نماذج لهذه الأشكال الموسيقية الجديدة بأجزاء من مطلع القصائد لهؤلاء الأعلام بترتيب زمني ولدينا ما يؤكد استخدام هذه الأشكال إلى اليوم بأشعار معاصرين ربما تتاح الفرصة لنشر البحث كاملا وسبق أن نشر فى كتاب مؤتمر شعر العامية الذي أقيم في دمنهور عام 2017

من كلمات محمد عثمان جلال مواليد 1828 وكان يعمل مترجما وقت ما كان رياض باشا ناظر النظار الذي أخَّر ترقيته فكتب معاتبا له:

الخير على الناس عَـم وفاض

وكل إنسان استكـفى!....

وبس أنا ياعم رياض

(وقعت من قعر القُفه)

من كلمات عبد الله النديم مواليد 1845

في مولد السيد البدوي ردا على أدباتي يتكسب من إلقاء ما يشبه الشعر في المولد أو قل الشحاتة إن شئت .. وحظه العاثر أن ساقه إلى مجلس فيه عبد الله النديم وكان يعيش حياة الفقر (الكحرتة) ليطلب منه المساعدة بقروش فقال الأدباتي

انعم بقرشك يا جندي ... وللا كسبنا يا فندي

أحسن أنا وحياتك عندي ... بقالي شهرين طوال جوعان

رد النديم مغتاظا منه ومن فقر حالته هو أيضا بمساجلة امتدت لساعة أمام الجميع بينه وبين الأدباتي وتجمع عليهم رواد المولد وكانت بداية شهرته من هنا إذ قال في بدايتها:

أما الفلوس ... أنا ماديشي

وإنت تقوللي .. ماماشيشي

يطلع عليا...... يا حشيشي

أقوم أملَص لك .... الودان

وأيضا من كلمات عبد الله النديم 1885 بعد المنفى فى تركيا

اسمع حكاية تهدي الشوق.. من ابن الذوق.. وتعجب الإنسي والجان

رأيت جدع ف إيده مكبه... زي القبة... فقلت أهلا بالمنصان

مديت إيديه.. اكشفها... لجل أعرفها.. قالي : ارتجع يا شيخ رسلان

فقلت أنا بدي اتفرج... حد محرّج؟... قالي تعالى في البستان

طاوعت شورته.. ومشينا.. على رجلينا.. حتى رأينا غصن البان

دخل يهرول قدامي... وباقدامي... وانا وراه أجري وتعبان

من كلمات محمد عزت صقر مواليد (1873-1932)

ولد بقصر الشوق حي الجمالية لأب موظف بالسكة الحديد، وهو خال طلعت حرب باشا وكان له مجلس ببيته الأنيق يرتاده الكثير من أدباء عصره، وكان كريما معهم ولقبوه بأمير الزجل علما بوجود من هو أشعر منه في هذه الفترة.

يا خفة ياللى... بتتولت ... وسَبِيت الغيد

كل العواني... لك حبت... بكفاك تقليد

البنت قالت.. لجارتها... شوفتي لفندي

تقصيعته يا ختي حلاوتها... وخده الوردي

عايق وفاهم.. في نفسه... إنه خفه

دايما ينَسْون.. في حسه... ليه مش عارفه

إن كنت مغشوش بجمالك... غيرك أحلى

ياما كتير ... من أمثالك ... صبحوا وحله

كلمات الشيخ محمد الدرويش وشهرته الشيخ الدرويش (1870)

كاتب غنائي وزجال فى عصر عبده الحامولي ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوي.. كلمات أغانيه رقيقة تناسب ذلك العصر بالطبع وراقية مثل دور بستان جمالك، وغناها محمد الفيومي صالح عبد الحي وغيرهما:

بستان جمالك من حُسنه.. أبهى وأجمل من بستان

وإن ماس قوامك فوق غصنه.. يعلم البلبل ألحان

سمح زماني... واتلطف... وشوفت حبي في البستان

فقلت له لما.. شرَّف.. والله زمان يا حلو زمان

من كلمات صدقى باشا

وكان رئيس محكمة طنطا ورد عليه محمد حفني ناصف رئيس محكمة طهطا **1875** : بعد أن أقام الأول عزومة في طنطا وبعد أن خلع الضيوف لبس المحكمة (الفستون) والطرابيش والعصي في غرفة وصعدا إلى غرفة الطعام قام الخادم الجديد بسرقة الملبوسات وبعض التحف وتركهم يأكلون ليبيعهم وتم القبض عليه فيما بعد:

الشوق إلى نظم الأزجال... غلب على أمر القاضي

والقصد اشرح واقعة حال ... مادمت فاضى أعمل قاضي

قالوا عمل (ماركوني) جميل... قلنا يفوقه... في الإدراك

أبو جلال من ألفين ميل ... شم الطبيخ من غير أسلاك

سقط على صاحب إحسان... رئيس قضا... قسم الدلتا

ضافه وضاف قاضي خزان... يرسم وينظم.. بالحته

في المندرة قلع الفستون... طربوشة وعصاية وعلبة
صعد إلى السفرة ممنون... من صاحب البيت والصحبة

رد من محمد حفني ناصف رئيس محكمة طهطا :1875

مِنّي لسيد... الزجالة... ألفين سلام فوقهم بوسة
مالوش شبه فى الرجالة.. يخلق من الهبيك دوسة
زجال جلالتنا.. المحبوب.. حامل لواء جند الشعرا
حايز نيشان رعرع أيوب.. ومعاه لقب.. جاب اليسرا
في كل يوم يبعت مكتوب... نكات عاملها... بالعاني
يعجب على المال المسلوب... إزاي ما يرجع من تاني..؟
يا عم أنا مالي مسوجر.. مال الصبا.. وما ليش غيره

كلمات عبد الرحمن قراعة ألحان عبده الحامولي (1862-1939)

المفتي السابق للديار المصرية تولى الإفتاء لمدة سبع سنوات في عهد "الملك فؤاد الأول.**1921-1928** غناها الحامولي في أفراح أنجال الخديو إسماعيل وبعدها عين مفتيا، وهو ابن قاضي أسيوط الشيخ محمود قراعة.

الله يصون دولة حسنك
الله يصون دولة حسنك
على الدوام من غير زوال
ويصون فؤادي من جفنك
ماضي الحسام من غير قتال

الله يصون دولة حسنك

أشكي لمين غيرك حبك

أنا العليل وأنت الطبيب

إسمح وداويني بقربك

واصنع جميل إياك أطيب

الله يصون دولة حسنك

أغنية كلمات الشيخ "أحمد عاشور سليمان"، ألحان عبده الحامولي (1880)

تعلم بالأزهر أحب الأدب والصحافة اتجه لكتابة الأغاني ومعه الشيخ درويش وكانا من ألمع نجوم هذه الفترة

متع حياتك بالأحباب

أنسك ظهر

شأن الطرب يشفى الأوصاب

للي حضر

وكيدْ زمانك، واهنى

سعدك قمر

أنظر لخلَّك قلبه داب

ياما الهوى

لوع كتير قلبي أحباب

مثلي سوا

والقلب صابر تتهنى

على الدوام

يا ريت زماني مره طاب

وآدي الدوا

من كلمات م محمد غالب الإسكندرية مواليد (1950 - 1886)

أبوه على بك غالب كان ضابطا بالجيش المصري أبان الثورة العرابية حصل على الثانوية وكلية فيكتوريا وبكالوريوس الهندسة والماجستير من لندن ترك له والده 85 فدان.. لم يرغب بالوظيفة وتفرغ للأدب أنشأ مجلة أسماها النجوم تعرف على أم كلثوم وكتب الأغانى أشهرها (سر السعادة شفتيك) غنتها نجاة علي وكتب زجلا في الجيش الإيطالي اعتقل على أثره عندما سافر لإيطاليا هو:

جارنا اللي في الحد الغربي... شن الغارة

بجيش عليه سنيور حربي... وبطيارة... والجار بيشنز

وينسى أحيانا ...... جاره ... وحسن الجيرة

وف الغضب لو زاد ناره... يشرب بيرة ... وبجاره يمز

كلمات محمد توفيق 1900 م

ضابط جيش على المعاش سجن لسبه الشيخ محمد عبده بمقالة فى مجلة (حمارة منيتي) التي أصدرها وأخذ من بعد سجنه يكتب مستخدما الرمز حتى لا يقع تحت طائلة القانون كاتب غنائي وزجال منها:

يا مصر أنا ف حبك .. هايم ... ولا نيش نايم ... بس العزايم ناقصة زرار
مفلوت عيارها على عياري ... دي أصل مراري ... أحيه يا ناري على المسمار
صبحت أخاف من مقصوصك ... وأنا بخصوصك.. خليت لصوصك بقوا أنفار
الأصل آخرتها... فنختق ... خليتي بختي ... بقى زنزلختي على حجاز كار
دافعت عنك ... ع السلمي ... بسيفي وقلمي ... أخرتها علمي عملته شعار
من خوفي...... لا الدخليابة ... تشوفها معايا ... وتشوف لي آية تودي النار
يكون فيها السر الأصلي ... وتحصصلي... وتسيب مفاصلي يغور دا الكار
والشيخ كلبش الدين يحضر ... يفتح محضر ... وأصبح مدحدر على سنار

<u>كلمات محمد عبد النبى 1910</u>

من مواليد الحسين، ولم يتعلم ولم يعرف له تاريخ ميلاد.. ارتاد مقاهي الزجالين فانشقت قريحته من مؤسسي رابطة الزجالين وكان وكيلا لها براتب لشدة فقره وبؤس حياته يقول واصفا حاله فى خماسيات رائعة جدا:

يارب اشفق على حالي ... راح ألتقيها منين ومنين
يكفي يارب اللي جرالي ... مرض وعشق وفقر ودين
والدنيا دايرة بالمندار
الهم ضيّق أخلاقي ... والحظ بيني وبينه خصام
والفقر ماسك في خناقي... وصرت لأهل البؤس إمام
والعقل تاه والفكر احتار
إتسدت الدنيا في وشي... واتقفلت كل الأبواب
وإن كنت في الشارع أمشي... أشوف عمار الدنيا خراب

كلمات الشيخ جاد علوان

من دمنهور مواليد **1923** من أسرة علم ودين أزهري النشأة والتعليم بعد تخرجه فتح صيدلية .. وكان يعمل بمجلس مديرية البحيرة الحسبي ..له أزجال في الورع والتقوى وتغنى بها أهل البحيرة ودمنهور من الصوفية.

بالصبر كام تبلغ أوطار ... والحر يصبر ع البلوى
والغدر من طبع الأشرار ... وأفضل الزاد التقوى

...

اليسر بعد الضيق مضمون ... وربنا يجرب عبده
ويرزقه مطرح ما يكون ... وف لحظة يرضيه من عنده

بيرم التونسى من منفاه فى فرنسا (1932-1920)

عاش حياة البؤس فى فرنسا أثناء نفيه وبعد محاولة التسلل لمصر وإعادة نفيه مرة أخرى فكانت عيشته على مضض كبير فكتب

أنا اتلهيت وخِدَل زِندي ... مانيش نبيّ الله غاندي
إن كانت الغلطات عندي ... يكون ف عون اللي عمَلها ...
إن كان على الملح، أكَلْنا ... وإن كان على السجن دخَلنا
والصوم نحَلنَاه ونحَلنا ... خلي اللي فاضل لرجالها...

ياما انطَحَن شاعر قبلي ... واللوح كتب لُه اللي كتب لي
واشمعنى شِعرك يا غرابلي ... خلاك تفُوت من غربالها ...
أنا اللي ضلّيت ف جهادي ... وغشِّني سحر الوادي
حدَفت للنيل أولادي ... من بعد ما عمرو دخلها...

محمد زكي عبد المنعم .. الحب لو يتحكم فيك .... أبو بثينة 1930

يا اللي الغرام خلاك ملحوس... وبقيت مهووس
أخدت درس ولسه دروس ... يا ما لسه تشوف
أما اللي شفت كتير ... وقليل ... وغلبت .. أشيل
ودبت من عشق (الزغاليل) ... وأنا واد مكسوف
الحب يا بني اسألني عليه ... وأنا أقولك إيه
العبد لله شاف بعنيه ... أشكال... وألوان
أخوك دا يا ما شاف أشكال... م الدنيا.. ومال
وف الغرام يا ما شاف أهوال ... وسهر وهوان
الحب لو يتحكم فيك.. تملك.. وعاديك
مافيش حكيم يقدر يشفيك.. عمرك ما تطيب
يمكن تكون ماشي ف حالك... تلقاه جالك
تفوت قرايبك وعيالك.. وتروح.. لحبيب
تبات وتحلم بالمحبوب... قلبك دا يدوب
تقول يا قلب كفاية وتوب... قلبك يعصاك
تحلم بإنك بتغازل ... ولا فيش عازل

يبص ليك أو يترازل... تفرح وتظيط

تنام تقوم قلبك والع ... نازل طالع

ويكلموك مانتش سامع... زي السكران

ع الفرش تفضل تتقلب... ولعه تلهلب

وتبات طول الليل متغلب... قاعد سهران

لما تقابل محبوبك... تخفي.. عيوبك

يمكن ما يسواش مركوبك... وتبوس.. رجليه

تستعطفه وتطلب وده... وتبوس.. يده

تبني الأمل هو يهده... روحك... في إديه

لما تشوفه تتكهرب... دمك.. يهرب

وكل ما تشوفه يقرب.. تجري.. الأنفاس

لما يكون قاعد جنبك.. تسمع.. قلبك

عمال يدق ما يعلم بك.. واحد.. م الناس

لو كان حبيبك طلياني.. أو.. ألماني

مسلم يكون أو نصراني.. أو كان تنتون

لما يوعدك في معاده.. تروح.. تصطاده

وتبكي وتنوّح ف بعاده... زي.. المجنون

لو كنت تحب.. حمار... أو تعشق.. فار

ويهجـرك تشعر بالنار.. بتلهلب.. فيك

ما تحبوش الحب هزار.. أو لعب.. صغار

الحب دا قاسي وجبار.. لازم.. يضنيك

إن كنت عاشق أو معشوق... أنت.. المحقوق
بتحب ليه الحب خازوق.. بيذل.. نفوس
عذابه راحة وراحته عذاب.. وبياضه.. هباب
بذمتي أنا مش كذاب.. أنا خدت.. دروس

بيرم التونسي من منفاه يستعطف القصر العودة إلى مصر1932

كان بيرم التونسي قد نفي إلى فرنسا بسبب أول أزجاله وسبب شهرته في هجوم على القصر الملكي بسبب ولادة الملك فاروق بعد أربعة أشهر فقط من زفاف أمه نازلي إلى السلطان أحمد فؤاد مطلعه:

مرمر زماني يا زماني مرمر.. البنت ماشية من زمان تتمخطر.. إلى آخره... ولما حاول الرجوع لمصر تم ترحيله عدة مرات ليعيش حياة البؤس في فرنسا فما كان منه إلا أنه كتب قصيدة يستعطف فيها السلطان بالعودة ولكنه عاد بقرار فرنسا بطرد الأجانب لإفساح المجال للفرنسيين للعمل وتم ترحيله إلى تونس .

يا بو الفاروق لما اسكندر.. حكم على الدنيا ودبر
شاف المداين واتخير ... إسكندرية وسماها ...
يوناني ويحب الغارة ... ورخره زيه أم منارة
جبار وعاشق جبارة ... طلع هواه وفق هواها....
إسكندر اللي بجنوده ... الشرق والغرب ف إيده
والإنس والجن عبيده ... بإسكندرية يتباهى....

وافقت عظمته وجبروته ... لا يفوتها لحظة ولا تفوته

الإمبراطور في تابوته ... نايم هنا تحت ثراها....

محمد زكى عبد المنعم.. فين الرجولة أبو بثينة 1935

قول للي ماشي .. بيتقمع ... وخدّه.. منتوف ... بيلمع

دا وش دا وللا .. مشمع ... مدهون بويات أشكال وألوان

ماشي يشوح... بعصاية... ولابس لي ساعة... بدلاية

إنت دكر.. والا نتاية.. ناقص عليك... تلبس كردان

حاطط لي فوق صدرك وردة.. صفرة بلون....... المسترده

ولك يا سيدنا فصول باردة... تحزّن القلب ...... الفرحان

فى البدلة ماشي ومتحزأ... منفوخ قوي .... وح تتمزأ

وتبص بعنين تتخزأ... لكل واحدة.. من النسوان

عامل رودلف فالنتينو !. وبيحسب الناس.... عاشقينو

ولافيش حداه.. عقل يزينو ... وحضرته بيمدغ.... في لبان

بالذمة مهما بتتعايق.. بايخ وشكلك ....مش لايق

والناس تشوفك.. تضايق... لأن مشيك..... مشي جنان

دايما كلامك.......... بليونة.. نغمته ناعمة.... وملعونة

إمشي ياراجل..... بخشونة.. العهد دا عهد.... الشجعان

ماعادش دا ..عهد خنوثة ... لا بلادنا تفضل ....متعوسة

دى حتى..... أختك نفوسة... فى المجد ..... بتزاحم الشبان

البنت بتحارب .... وتطير ... دلوقتي وبتطلع .... طوابير
وحضرتك شبعان تشخير ... فاكر بلادك زي زمان
بَدَل يا حلو .... متتعاجب ... بالشكل ... قوم أدى الواجب
وإن كان كلامي ماهوش عاجب ... خليك بقا في بؤسك غرقان

بيرم التونسي .... من العيون يا سلام سلم 1940 .

من العيون يا سلام سلم شوف واتعلم
تحت البراقع تتكلم... والدنيا نهار
عيون تقول لك قصدك إيه بتبحلق ليه؟
ما لكش شغل تعس عليه يا راجل يا حمار
وعيون تقولك أنا عارفاك والنبي ما أنساك
من يوم ما شفتك م الشباك يا جدع يا صغار
وعيون تقولك روح يا رزيل يا بو دم تقيل
يا باي وكبه ... في المخاليل يا ما هُمّا كتار

ويقول الشاعر حسن الفرشوطي

ويقول الشاعر حسين الحلبي

يكفي مجون واسمع مني بدي أقول جملة أقوال
وحياة أبوك تروي عني حتى ولو أجر الجرنال

***

ويقول الشاعر حسين شفيق المصري

حبيت جميل لما أشوفه ريقي بيجري
أبص له ونفسي ف بوسه مش مستجري

***

لون القمر والخد أحمر شكل الوردة
طري وناعم وملظلظ زي الزبدة
الطفل لو شافه يقول لك هلت لي من ده
أقطليش منه قطه ؟ واطلع أجري!

ثانيا الشكل الموسيقى الجديد الثانى
فعلن فعلن فعولن

يقول الشاعر العراقي صفي الدين الحلي

بدأ شاعراً ووشاحاً، ثم نظم الزجل فأبدع فيه. وساعده على إجادته مثله إلى الألفاظ السهلة المفهومة. فشعره شبيه بالزجل في سلالته ورقته، ومن ذلك قوله :-

إن غبت عن عياني	**يا غاية الأماني**
فالفكر في ضميري	**والذكر في لساني**
ما حال عنك عهدي	**ولا انثنى عناني**
وجدي عليك باق	**والصبر عنك فان**

الأشكال الموسيقية السابقة استخدمت فى وقتنا الحاضر بقوة، إضافة إلى أشكال أخرى جديدة استقرت في وجدان المنطقة العربية والشعب المصري خاصة منها وارتقى كثير منها إلى مرتبة التراث والذي حفر لنفسه موقعا بين موسيقى الشعر، وكان أبو بثينة رائدا في استخدام هذه الأشكال الموسيقية ببراعة عالية جدا وتميز بالتجديد فيها إلى أبعد حد ممكن وجمع بين دفتي هذا الكتاب قدرا كبيرا ممن سبقوه ومن المعاصرين له ليؤكد على أن فن الزجل هذ الفن الرائد والذي بفضل هؤلاء المبدعين استحدثت له روحا جديدة بهذه الموسيقى والتى أعارت الأغنية موسيقى جديدة حيث كتب العديد والعديد من الأغنيات بموسيقى الزجل واستفاد منها المطربون والملحنون بفضل هؤلاء الرواد.

إعداد دكتور صلاح الطاهر 2018

مقدمة

مدد ..مدد ..

قال صلاح جاهين قصيدته المعنونة بهذا العنوان، والتي جمع فيها من سبقوه من عمالقة الزجل ..هتف قائلاً:

مدد

بيرم يا تونسي، بديع أيا خيري

مدد مدد، يا شيوخنا يا أقطاب..

احضرنا يا حسين يا شفيق يا مصري،

والنجدة يا عبد السلام يا شهاب،

والحقنا يا ابن الليل وأبو بثينة..

يا سعيد يا عبده، يا مصطفى يا حمام،

محمود يا رمزي نظيم، تعالى إلينا..

ومدد يا عبد الله النديم يا إمام

مدد يا عزت صقر، يا خليل نظير،

مدد يا شيخ يونس يا قاضي مدد..

هاتوا الزجل، شماريخ، وصواريخ تطير،

لسه الحاجات إياها ..ماليه البلد!

وها نحن بين أيدينا كتاب قد وضعه أحد هؤلاء الأعلام الذين ذكرهم ''صلاح جاهين''في قصيدته مستنجدًا بهم لما لهم من تاريخ عريق في النقد اللاذع عبر أزجالهم التي ملأت الدنيا، وتغنت بها مصر ولحنها كبار مبدعيها وغناها نجومها، إنه كتاب ''الزجل والزجَّالون''وهو للشاعر

والزجَّال الكبير الذي تم انتخابه أميرًا للزجَّالين ''محمد عبد المنعم ذكي''الشهير بأبي بثينة، ولكم أبهرني هذا الرائع وأنا أطلع على قصائده في مجلة الفكاهة الصادرة عام 1927 مما جعلني أتتبع سيرته العطرة، وهذا التراث الهائل الذي تركه من الأزجال والأغاني، والذي من الصعب حصره لبعد الزمان فقد نشر معظمه في بدايات القرن العشرين، ولكني حاولت جاهدًا أن أجمع ما استطعت مما لم تضمه الكتب منه وجمعته في كتاب باسم الديوان المجهول ''أبو بثينة أمير الزجَّالين الذي أرعب شوقي''

وشعرت أنني لم أعط الرجل حقه فبحثت عن الكثير من أعماله وأصدرت كتابًا عن مجلة الفكاهة وجريدة البلاهة تضمن الكثير من سيرته، وإبداعاته، وها أنا الآن أقف بين دفتي كتاب قد وضعه بنفسه عن فن صار هو أهم رموزه وأميره..

ولكي نعرف قيمة هذا الكتاب قبل الإبحار في صفحاته ، فلنفترض مثلاً أن أمير الشعراء أحمد شوقي قد قرر يومًا أن يكتب دراسة عن الشعر في عصره وعن كبار شعراء تلك الفترة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب العظيم مرجعًا تاريخيًا؟ وهذا ما لم يفعله شوقي بك مع الأسف، ولكن هو ما فعله ''أبو بثينة''بوضعه لهذا الكتاب بعد انتخابه أميرًا للزجَّالين في عصره الذي كان أيضًا هو عصر شوقي حتى أن شوقي قال فيه ''أنا لا أخشى شيئا على العربية قدر خشيتي عليها من أبي بثينة''!

ويبدو أن أمير الشعراء كان يشعر بداخله أنه الأمين والمدافع عن الفصحى؛ لذلك فقد قال قولا مشابهًا أيضًا عن شعر بيرم التونسي، وهو : أخشى على الفصحى من عامية بيرم..

لكن بيرم لم يصمت ويأخذه حياء الأدب كما فعل ''أبو بثينة''ورد عليه قائلا :

يا أمير الشعر غيرك   في الزجل يبقى أميرك

وإن كان خوف شوقي لم يكن على نفسه، ولكن على استسهال الناس للعامية لبساطة وجمال أشعار ''أبو بثينة''وابتعادهم عن الغوص في أعماق اللغة العربية الفصيحة..

وإذا اقتربنا من عالم الزجل، والشعر الذي يحمل بين طياته روحًا عالية من الفكاهة والتندر، فهنا تبدو اللعبة الإبداعية أكثر صعوبة لأن الشاعر الشعبي الساخر قد وضع نفسه وجهاً لوجه مع جمهور العامّة كُلّه، يتكلم بمستواهم وبلهجتهم وبموضوعاتهم فهو معرّض لأي انتقاد شعبي، وفي نفس الوقت إذا بلغ من القوة والتمكن والوصول إلى قلوبهم وعقولهم درجة عالية كان هو المتكلم عنهم والمتحدث بلسانهم، يتغنون بكلماته، ويتندرون في مجالسهم بأبياته، وينثرون حكمه البسيطة النغمة في مجالسهم.

ولكي نتعرف أكثر على صاحب هذا الكتاب ''الشاعر محمد عبد المنعم زكي''الملقب بـ ''أبو بثينة''فقد عاش في فُم الخليج بالقاهرة في بداية القرن الماضي أيام أن كانت مصر تستكشف طريقها، وتعلم أبناءها، حين كان أكثر من **90**في المائة من هذا الشعب يعانون من الفقر والأمية، ولكن كان كل مصري ينجح في أن يتعلم ينجح أيضًا في معرفة دوره في حمل نبراس العلم وشعلته، ويشعر بقضيته تجاه بلده وتجاه حريته، فلم يكن محو الأمية عندهم أن يقرأوا ويكتبوا فقط، بل كانوا يلتهمون الكتب التهامًا، ويفتشون عن الثقافة في كل مكان، وكان هناك ثراء حقيقي في

حركة الترجمة والاطلاع على الثقافات الأخرى، وكانت المجلات والصحف المصرية تتبارى في نشر الثقافة والفكر والنقد السياسي، فهذا البلد بطبعه ساخر ناقد، وهذا الشعب يصبر بالنكتة، ولا يثور إلا إذا طفح الكيل به ولم تعد في طاقة النكتة اللاذعة والنقد الساخر أن يمنحه الصبر .

في هذا الجو ذي الطبيعة الخاصة، ووسط الحواري المصرية ولد شاعرنا عام **1905** في الإسكندرية ، والتحق بمدارس رأس التين حيث تلقى تعليمه الأول، وحصل على شهادة الثقافة، ثم انتقل إلى القاهرة فالتحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، ونال منها شهادة البكالوريا ''**1924**'' تلك الشهادة التي أهلته بأن يعمل في وظيفة سكرتير بوزارة الشؤون الاجتماعية، ثم مفتشًا عامًا بنفس الوزارة، لكن قدرته الهائلة على كتابة الشعر والزجل هي ما أهلته بأن يتجه بإبداعه للعمل بالصحافة، لذلك فقد ظهرت براعته في مجلة ''كل الدنيا'' حتى جاء عام **1926** هذا العام الذي اعتبرته دار الهلال عام التحدي حين قررت أن تصدر مجلة خاصة فقط بالفكاهة والسخرية اللاذعة من كل أحوال البلاد، وهي مجلة الفكاهة، ووجد محمد عبد المنعم ذكي نفسه في لحظات أحد أعمدتها، وكان رئيس تحريرها هو حسين شفيق المصري، وكانت كما يقولون هي لحظة الانطلاق، ففي هذه المجلة البكر ولمدة ثمانية سنوات كانت تصدر فيهم المجلة بشكل أسبوعي، ظلت أزجاله صرحًا من صروح البناء الساخر، فقد نجح في أن يستمر ويجمع حوله القراء، ويقوم بدور من أخطر الأدوار، وهو دور بناء المجتمع عن طريق النقد الساخر البناء، ففي كل عدد كان

يسخر من انهيار قيمة أخلاقية، أو يدل القارئ على طريقة لحياة أفضل محاطة بكم من الفضائل والقيم.

وقد كتب الكثير من الأغاني لكبار المطربين ومن أعماله :لما أنت ناوي تغيب على طول لمحمد عبد الوهاب ، كما غنى له من المطربات ''نادرة ، حياة محمد ، رتيبة رشدي، فتحية أحمد''وقد مَثَّل مصر في مؤتمر الزجل العربي بلبنان عام **1945**وحصل على الجائزة الأولى وهو أحد مؤسسي إتحاد كتاب مصر **1970**من مؤلفاته :فن الزجل العربي، أزجال أبو بثينة (**7**دواوين) (الزجل والزجَّالون) توفي **2** يونية **1989**

أما عن كنيته بأبي بثينة فلها أسباب طال البحث فيها وكان سببها الأساسي في البداية هو عدم الجمع بين وظيفتين حيث كان يعمل موظفًا في الحكومة ويعمل في الصحافة في دار الهلال موقعًا بكنيته ''أبو بثينة''هذا الاسم الذي كان يفتخر به بعد إنجابه بابنته بثينة التي كانت نتاج زواجه بالابنة الوحيدة للشاعر الكبير وأستاذه عملاق شعر العامية والفصحى الشاعر حسين شفيق المصري، وهذا ما أكده الكاتب الكبير ''فاروق أباظة''بمجلة كاريكاتير في العدد ''**284**''في مايو **1996**في بابه الشهير ''الضاحكون''حيث أفرد في هذا الباب تفاصيل من حياة أمير الزجَّالين ''محمد عبد المنعم ذكي''وهو الذي أكد زواجه بابنة حسين شفيق المصري وانجابه لابنته بثينة''، وكان يعتبرها نموذجًا للفتاة التي تحلم بعالم جديد وبدأ يداعبها بقصائده، ويتحدث على لسانها.

وقد كثرت الأحاديث عن سر تلك التسمية حيث شكك البعض في وجود تلك الابنة، وأكد البعض وجودها، وقد قيل في مجالس السمر إن

سبب تسميته نفسه بأبي بثينة هو أنه إنما أراد أن يتندر كعادته، ويقف بالمرصاد للشاعر العربي المعروف جميل بن معمر الذي اشتهر بحبه لبثينة وديوانه جميل بثينة، فها هو أبوها قد أتى بقصائده متندرًا، فأين منه هذا الجميل ..

وإن كان يجب عند ذكرنا لجميل بن معمر أن نذكر أنه كان جميلا حسن الخلقة، كريم النفس، باسلاً، جواداً، شاعراً، مرهف الحس رقيق المشاعر وهو الذي هام حباً ''بثينة بنت حيان''وانطلق يقول فيها الشعر حتى وفاتها، وكانت من قومه خطبها من أبيها فرده فرفضه وزوجها من رجل آخر. فازداد حبًا وهياماً بها، فتناقل الناس أخبارهما .وقال فيها شعرا رقيقا. وكان أكثر شعره في النسيب والغزل والفخر وأقله في المديح. وكانت قبيلته هي قبيلة ''عُذرة''التي عُرفت بالجمال والعشق حتى قيل لإعرابي من العذريين :''ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث -أي تذوب -كما ينماث الملح في الماء؟ ألا تجلدون؟ قال :إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها.

قيل لأخر فمن أنت؟ فقال من قوم إذا أحبوا ماتوا .

فقالت جارية سمعته :عُذريٌّ ورب الكعبة.

ولكن رغم ذلك فقد اتخذ ''محمد عبد المنعم زكي''من شخصية بثينة ''أبنته كانت أو كنيته''نموذجًا للفتاة التي تحلم بعالم جديد، وبدأ يداعبها بالقصائد، ويتحدث على لسانها وكأنها ابنته التي تحدثه مثلما جاء في تلك القصيدة الرائعة:

وكان كثيرًا ما يحدث أن يتندر القراء بهذا الأمر ويسألونه عن رأي بثينة في بعض الأمور، ومنهم من أرسل يخطبها كهذا الفحل الذي نال منه شعر أبو بثينة أكبر المنال :حين أرسل رسالة إلى مجلة الفكاهة عام **1928** إلى الباب الذي يكتبه أبو بثينة يقول فيها :

أريد أن أزوج ابني وعمره ست سنوات من بثينة فهل تقبل؟

مهندس فهمي عبده بشارع فؤاد الأول

وكان الرد الفوري بقصيدة نشرت إجابة على الطلب الرد :

ابنك إذا مأكد	إنه ح يطلع مش صايع
أجوزه حالا بنتي	إن كان مفيش في الدين مانع
ابقى ابعته لجل نشوفه	وابعت معاه برضه فلوسه
واوعى يتوه بين العرسان	وللا عربية تدوسه
يبقى إن عجبنا وعجبناه	يوم الكتاب نعمل حفله
وأجيب مغني يغني له	آنست يا عريس الغفلة

وعندما جاءه السؤال التالي رد بوضوح..؟

لماذا تمضي ''أبو بثينة''ولا تكتب اسمك الحقيقي؟ فكان الرد:

اسمي الصريح فيه زيه كتير	وأبو بثينة مفيش منه
أخوك غُلب من معر الناس	مضى كده غصبن عنه

وكعادته ظل سنوات طويلة يرد على القراء بوضوح ومرح وقد جعل بينه وبينهم بساطًا من الألفة، والمحبة التي جعلتهم يتقبلون نصحه الدائم مهما كان قاسيًا مادام في قالب من المرح وتظلله الابتسامة.

وكما قال الدكتور عبد القادر حمود في كتابه ''هكذا يسخر الشعراء''وهي دراسة عامة عن الشعر الساخر من الجاهلي إلى اليوم حين أراد أن يقدم معالجة لمفهوم السخرية في اللغة وأبرز أشكالها :

السخرية في اللغة ترتبط بمعان كثيرة فهي الهزأ)المعجم المدرسي سخر منه ,هزئ به ,(وهي بشكل أو بآخر تبعث على الضحك، والضحك في بعض معانيه سخرية ,السخرية تتخذ أشكالا مختلفة بعضها يستدر الضحك ,وبعضها يأخذ منحى مختلفاً ,فهو مجرد تعداد لعيوب الآخر الموجودة فيه ,أو المفترض وجودها ,وهذا ما سمي في الشعر بالهجاء , الإنسان هذا الكائن الاجتماعي يميل بطبعه إلى الأنس والمؤانسة ولعل اسمه مشتق منها ,هذا الميل قاد الإنسان ليؤسس حوله ما يشبه الهالة من العلاقات الاجتماعية التي عكست بشكل أو بآخر طبيعته وتركيبه من الداخل ,وبما أوتي الإنسان من حب للحياة وتعلق بها ,مال بالنظرة إلى اللذة والطمأنينة والنشوة والمتعة فيما لا يتعارض مع تقاليد المجتمع وأعرافه.''

أما الدكتور شوقي ضيف فقد أضاف في كتابه ''الفن ومذاهبه في الشعر العربي''الكثير عن تاريخ هذا الفن الظريف من الشعر العربي حيث قال :''نجد أن العصر الفاطمي كان احد أهم عصور ازدهار الجانب الظريف في الشعر أو جانب الظرف والفكاهة على حد تعبيره وذلك من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين''.

ويتمتع أبو بثينة بمكانة مرموقة في الشعر العربي، وذلك لعمق محتواه، وغنى شخصيته، وتعدد عطاءاته، والذي يجذب القارئ في شخصيته

وشعره، هو الصدق الفني والوضوح، والأسلوب الساخر الذي يقوم على المفارقة التصويرية الساخرة، التي لها قيمتها، لا بالنسبة إلى عصر الشاعر فحسب، بل بالنسبة إلى مفاهيم الحداثة المعاصرة المنسجمة مع التراث، فهو في رأيي شاعر كل العصور، لأنه يحيا مع بسطاء الشعب في دووابن الوظيفة، وفي الحواري والأزقة وفي أجران القمح، والتكيات، يغني معهم، ويصل بسهولة إليهم، وليس أدل على ذلك من قول الفنان الكبير إسماعيل ياسين عنه أنه هو أول من نصحه ونقله من عالم الغناء إلى عالم المونولوج، ولولا تلك النصيحة لكان مغنيًا مجهولا، إذ أنه بدأ حياته بتقليد عبد الوهاب وغيره، لكن أبا بثينة رأى فيه أنه من السهل أن يصل إلى الناس لو غنى لهم المونولوج الفكاهي السريع، الذي يحكي لهم مشاكلهم، ويعيش معهم فقرهم، وينتقد الفساد في المجتمع، والمحاولات الساذجة من تقليد الغرب، وكان هو صاحب أول مونولوج غناه إسماعيل ياسين في حياته، وكان مطلعه:

يا خواتي مراتي سبور
وأنا عايش زي الطور
لما تحب تدلعني
تحدفني لرابع دور
يا خواتي مراتي سبور

وكما نرى أنه وصف قضية الرجل المتفرنج، والزوجة المقلدة، وكيف أنها تُهين كرامة الرجل الشرقي بهذا التقليد الأعمى، لمجتمع آخر في الشكل وليس في العمل ..

ومن حسن طالعنا أن يكون هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ذلك الكتاب الذي وضعه أبو بثينة عن هذا الفن وعن رجاله وعن عصره، وكم كان دقيقًا في شرحه، رائعًا في نهجه، ووصفه بحيث تعرض لمدارس الزجل القديمة، وبداياته من فن المواليا وارتباطه بحمام الزاجل إلى فنه وظهوره بالأندلس متدفقًا إلى تعرضه لزجالي القرن السابع عشر، صاعدًا إلى فن الزجل ووصوله إلى مصر، حيث مرحلته الأولى التي كان من فرسانها صفي الدين الحلي، وابن سناء الملك، وناصر الغيطي، والغباري، وابن عروس، وإن كانوا لم يظهروا في عصر واحد.

ثم مرحلته الثانية والتي كان فرسانها طوائف الزجّالين الذين ظهروا بعد ذلك، حتى منتصف القرن الثامن عشر، إلى أن نصل إلى مرحلته الثالثة وهى مرحلة الزجّالين الذين ظهروا في القرن العشرين، وقد عني بظهورهم ظهور أزجالهم لا مولدهم.

والمطلع على أزجال كل مرحلة من هذه المراحل، يستطيع أن يجد لها طابعها الخاص المميز؛ فمرحلة الحلي كانت أزجالها أقرب إلى الموشحات وفيها كثير من الإعراب.

والمرحلة الثانية كانت أزجال فرسانها قد تخلصت من كثير من الكلمات المعربة، ولم يبق في منظوماتهم من الإعراب إلا أقل القليل . والمرحلة الثالثة تمتاز أزجال أصحابها بأنها عامية خالصة، قَلَّ أن تجد فيها كلمة معربة، وخاصة أزجال الزجالين الذين ظهروا بعد عام 1920.

وقد أراد الشاعر أبو بثينة بعد ذلك أن يعرض علينا تطور لغتنا الشعبية وما مر بها من مراحل، ثم انتقل إلى الزجل في لبنان، واصفًا هذا

الشعب بأنه ليس به زجال واحد بل ألوف من الزجالين، وحب هذا الشعب العريق للزجل بالإضافة إلى ارتباطه الوثيق بالصحافة المصرية واحتراف الكثير من أبنائه هذا الفن فيها مما فتح الباب في مصر لانتشار فن الزجل في الصحف، ثم يأخذنا أمير الزجالين في رحلة مع كل شاعر منتقيًا نماذج من إبداعاته، شارحًا لعصره، وأماكن نشره لإبداعاته، ومقتطفات من حياته،

وقد شرح بالتفصيل عن بدايات فن الزجل في مصر وكيف أنه

بعد انتقاله من الأندلس إلى سائر الأقطار العربية، وكيف كان من الطبيعي أن ينتقل من موطنه إلى البلد الأقرب فالأبعد، ولهذا ظهر في شمال إفريقيا قبل أن يظهر في مصر.

وبذلك فقد بدأ الزجل في مصر -كما بدأ في الأندلس —تطوراً للموشحات فرأينا صفي الدين الحلي، وابن سناء الملك، وناصر الغيطي ... ينظمون الموشحات، ثم يتحولون إلى نظم الزجل القريب من التواشيح.

وهنا نؤكد قوله في كتابه :أنه من العسير على من يريد أن يؤرخ للزجل في مصر أن يضع تاريخاً مفصلاً دقيقاً، واضح المعالم لزجَّالي مصر الذين ظهروا بعد انتشار الزجل في الأندلس .ذلك لأن وسائل النشر والتدوين في مصر كانت معدومة .وعلى الرغم من كثرة الزجالين الذين ظهروا في مصر منذ عهد صفي الدين الحلي، إلى منتصف القرن الثامن عشر، فإننا لم نقع على شيء من آثارهم، إلا على القليل .ذلك لأن المدونين لم يكونوا يحفلون بهذا اللون من النظم، ولا بقائليه، ولم يكن قد

ظهر بعد الزجّال المبدع الذي يستطيع أن يجتذب إلى فئة القلوب والأسماع .

فالأمية كانت سبباً في ضياع الكثير من آثار بعض شعراء مصر، مع أن الشعراء في الغالب من الطبقة المثقفة .فمن باب أولى أن تضيع آثار الزجّالين الذين هم من طبقة العامة التي لم تكنْ تتعلم القراءة والكتابة إلا في القليل النادر.

ولقد كان الزجّالون يعتمدون على حفظ أزجالهم، وإلقائها في المجالس، وتحميلها للرواة .فلما طوى الزمن تلك المجالس، ومضتْ السنون بالرواة، ضاع الكثير من الأزجال، وما بقي منها خالطه التحريف والتبديل.

ولما دخلت الطباعة إلى مصر، ووجد الزجل من الكتاب والمؤلفين من يعنون بجمعه وتسجيله، تدخلت الأخطاء المطبعية، وسوء النقل في التراث القليل الذي بقى فزادته تشويهاً وبعداً عن الأصل .

وهو بذلك يُنشئ في كتابه هذا موسوعة نادرة للشعراء الزجّالين في مصر من الصعب أن تجدها بتلك الدقة إلا إذا كتبها هذا المبدع الكبير الذي نصبوه يومًا أميرًا عليها رغم أن عصره كان به فطاحلة هذا الفن ومنهم ''بيرم التونسي''الذي غضب من انتصاره عليه في تلك الإمارة وقال ساخرًا :

خراب ما يحتاج لمعاينة

وفن باير وآهي باينة

أميري جوز أم بثينة

ولا يسعنا عند ذكر بيرم التونسي أن نترك الحديث عن تفاصيل الخلاف الذي دب بينه وبين أبي بثينة والذي تحول إلى معارك أدبية استمرت سنوات على صفحات الصحف والمجلات الأدبية الساخرة، فقد كان لغياب الشاعر الكبير بيرم التونسي ونفيه عن مصر أثر كبير في تفرد أبي بثينة بالساحة الأدبية والغنائية، في هذا الوقت الذي كان شعر بيرم يملأ الأسماع لما فيه من جرأة ونقد واضح، وكان البديل القوي في تلك الفترة هو شعر أبي بثينة الذي تميز بخفة ظله وبحذره وبساطته وعمقه.

فبيرم الذي اعتاد أن يكون زبونًا دائمًا على الأقسام والكراكونات والمنافي بسبب أزجاله الصريحة المباشرة، كان مختلفًا عن أبي بثينة الذي يغلف أزجاله بالعمومية حتى يهرب من التحقيق والسجن، لذلك فقد كان بيرم يتهمه بالخبث في أسلوب صياغة أزجاله، وقد حدث مرة أن استدعى النائب العام أبا بثينة ليحقق معه، من أجل زجل من أزجاله التي يرددها الناس في الشوارع، وكان قد تناول فيه علاقة راقصة مشهورة بالملك فاروق، وقرأ الملك الزجل وطار عقله وتملكه الغضب، خاصة بعد أن نقل له أذنابه من البلاط أن المقصود بهذا الزجل هو وراقصته، ولكن أبا بثينة نجح في إقناع النائب العام بأن هذا الزجل يُعبر عن مشاعره هو الشخصية تجاه تلك الراقصة، وأفلت من السجن.

وفي هذا السياق نقف عند معركة من أشد المعارك في تاريخ شعراء العامية في مصر وهي مع الأسف بدأت بحسن النية وانتهت بسوء الفهم، وقد كانت بين أنصار أبي بثينة، وأنصار بيرم التونسي، وكانت البداية تتغلف بالنيات الطيبة حدث ذلك بعد عودة بيرم إلى مصر سرًا في صيف

1938والذي وافقت عودته احتفال الهيئات الرسمية في مصر بعيد الجلوس الملكي **6**مايو من نفس العام، وفي احتفال الإذاعة بهذه المناسبة كان المقرر أن يكون ضيف الإذاعة الشاعر الكبير أبو بثينة، وأن يلقي زجلا على الهواء مباشرة من دار الإذاعة، فأثار دهشة المستمعين بخروجه عن تهنئة ملك البلاد بعيد جلوسه ليحول دفة الشعر ويتضمنه استعطافه لكي يعفو عن بيرم التونسي، وكانت مبادرة منه ظن بها أن سيكرم بها الشاعر الكبير ويحصل له على العفو الملكي.

لكن بيرم الثائر الشاعر غضب لتلك المبادرة من أبي بثينة التي لم يطلبها منه فجاء رده عليها في مجلة ''الإمام''التي أصدرها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، بهجوم عنيف على أبو بثينة وتكرر التراشق بالأزجال وكان تمهيدًا لمعركة دارت وقائعها فيما بعد على صفحات مجلة ''الراديو والبعكوكة''وتوالت مقالات الهجوم على بيرم من معسكر أبي بثينة في نفس المجلة.

وزادت المعركة حدة عندما كان الاكتساح البيرمي لعالم الغناء الذي ما كان ليمر دون أن يثير مشاعر الغيرة عند بعض الشعراء الذين تضرروا لعودة بيرم إلى مصر واجتذاب أنظار المنتجين لأعماله، وحصوله على نصيب الأسد من الصفقات الغنائية فسارعوا بالانضمام في الهجوم عليه من خلال فريق أبو بثينة، أما أبو بثينة فقد كان عنيفًا في معركته لأسباب أخرى، وهي ترجع إلى ما تتضمنه أزجال بيرم من ألفاظ ترفضها أذواق الطبقة الراقية وتتقبلها أذواق العامة التي بدأت تشكل الغالبية من متذوقي الغناء منذ بداية الحرب العالمية الثانية، ورأى في ذلك انحطاط للشعر

العامي ..يحتاج إلى وقفة وصراع، وشرع هو ومؤيديه في نقد بيرم بصورة تزداد عنفًا، وتوجه إليه اتهامات ''الإسفاف''و''قلة الذوق''و''الانحدار الأخلاقي بمستوى الشعر الغنائي''.

وهكذا كانت الصراعات التي قامت بين الشعراء فرصة عظيمة لنمو الإبداع وفتح باب الصحف والمجلات لعالم الأزجال، ومجالا رائعًا تنمو فيه حرية الصحافة.

ورغم أن شعر أبو بثينة شعبي مجتمعي إلا أننا نعتبره أيضًا شاعر ثوري في الفكر والفن، فهو يؤمن بالثورة والتمرد على الواقع الفاسد دون النزول والانزلاق بالأخلاق، فالثورة تبدأ دائمًا برقي الفكر ونمو الثقافة، فهو شاعر متفاعل تفاعلا كبيرًا مع الوطن بمعناه الشامل أرضًا وتراثًا وحضارة، ولغة، وطن يحمل حضارة عريقة، سواء كانت إسلامية أو فرعونية أو قبطية، فهو يدرك أن هذا الشعب متداخل تحكمه البساطة والطيبة، لذلك فقد أراد أن يصوغ له لغة جديدة تكون عناصرها مستمدة من الشارع المصري العريق التراث والثيمات.

لأن الفن الساخر من أصعب الفنون على جميع الأصعدة الإبداعية، ويملك هذا الفن ما لا يملكه فن آخر، وهذا ما دفع ''أبو بثينة''أن يتحدث عن منهجه في الكتاب وسر وضعه له، قائلا:

إذا كنا -نحن العرب -نعجز عن فهم بعض لهجاتنا المحلية المختلفة، ونخطئ في تفسير بعض كلمات أهل المدن التي نعيش فيها، مع اتفاق لغتنا العربية مع لغة قائليها، ومع إننا نعيش معهم في عصر واحد، فمن الواجب ان نأخذ تفسيرات المستشرفين لأدبنا الشعبي بكثير من الحذر.

ومما لا شك فيه أن الكثير من مفردات لغتنا العامية الحالية، سوف يتناوله التحوير مع الزمن، وسيندثر بعضها كلما اندثرت كلمات لم تنطقْ بها ككلمة ''الشمعدان''و''السكركة''و''العنتري''و''الكوبيل''وغيرها.

كل هذه الكلمات اندثرت، لأن مدلولاتها اختفت من حياتنا العامة، وهناك كلمات أخرى على وشك أن تندثر، تبعاً لتطور حياتنا الاجتماعية، مثل كلمة ''الطربوش''و''الحنطور''و''الشفخانة''و''الدقية''وغيرها.

ولا بد أن نجد في لغتنا الدارجة كلمات جديدة تؤدي مدلول بعض ما تتمحص عنه حياة المجتمع من تطورات، وما يستجد فيه من اكتشافات واختراعات، ولكن هذه الكلمات لن يكون استعمالها مقصوراً على طبقة العامة، بل سوف تستعملها الخاصة والعامة على السواء، كما نستعمل اليوم الكلمات التي جدت في لغتنا، مثل ''الراديو''و''البرشام''و''الرادار''و''النفاثة''و''الدبابة''، وغيرها.

لهذا كله، كان من الواجب أن نعنى بوضع كتاب يشبه القاموس يضم كلماتنا العامية المتداولة، ومعانيها، ومدلولاتها، وما نستعمله من أدوات، وما نأكله من أكلات، إلى غير ذلك مما يلازمنا في حياتنا اليوم، ليكون مرجعاً لأدبنا الشعبي بعد مئات السنين.

وما من شك في أن مثل هذا الكتاب، لن يكون ذا قيمة لعامة الناس في عصرنا هذا، ولكنه سوف يكون خطير الشأن، جليل الأثر، بعد مئات السنين، يوم يقرأ القاريء في أدبنا الشعبي كلمة ''زير''أو ''قلة''أو ''تراموای''فلا يفهم معانيها، ولا المراد منها، لاندثار هذه الأشياء ..إلا إذا

رجع لمثل هذا الكتاب، فوجد الكلمة، ومعناها، ورسماً توضيحياً لما تدل عليه .

وعند كلماته الجامعة المانعة عن كتابه يجب أن نتوقف عن كتابة مقدمته وندخل معًا بخشوع المتعلم إلى عالمه .

عبد الرحمن بكر

الزجل

الزجل في اللغة هو صوت الريح حين تتخلل النبت، ويطلق على التطريب، وعلى الصحب، كما يطلق على اللعب .يُقال زجله زجلاً رشقه ورماه ودفعه،

وزجل الحمامة أرسلها إلى بُعد، فهى من حمام الزاجل .والزجال والزجالة الذين يرمون بالمزجل أو المزجال، وهو الرمح القصير الشبيه بالمزراق . وسحاب ذو زجل، أي ذو رعد .والمزجل الموضع الذي يرسل منه الحمام.

ولسنا نرى معنى من هذه المعاني يحمل على تسمية هذا اللون من النظم باسم الزجل إلا المعنى الأول، فلعله سُمى كذلك لأنه نظم تتكرر ومقاطعه في انتظام كانتظام الريح حين تتخلل النبت، أو لأن في جرسه طرباً يدفع قائله إلى الترنم به، أو لأنه لون في التسلية عن طريق اللعب بالألفاظ المعاني .

فنون الزجل

يقول القدماء أن الزجل عدة فنون، هى المواليا، والقوما، والكان وكان، والحماق وقد عرفنا العلة التي عللوا بها تسمية المواليا، فيما روى عن الجارية التي كانت تربي البرامكة ثم تصيح ''والمواليا ...'' .أما ''الكان وكان ''فيقولون انه سُمى كذلك لأن كلمة ''كان وكان ''تتردد في أكثر أبياته، وهذا ما لم يتحقق لنا إلا في القليل النادر مما قرأناه من الأزجال مثل قول أحدهم :

قم يا مقصر تضرعْ

قبل أن يقولوا كان وكان

للبر مجرى الجواري

في البحر كالأعلام

وقيل إن ''القوما''سمى كذلك لأن البغداديين في الدولة العباسية استخدموه لإيقاظ الناس للسحور في رمضان ، وأن المسحر كان يردد ''قوماً سحر قوماً''.

ونحن نستبعد هذا لأن ''قوماً نسحر قوماً''جملة معربة، وفيها ألف التثنية التي لا تقرها طبيعة الزجل الملحون ... وفضلاً عن ذلك فان معظم المراجع تقول إن هذا اللون من النظم ظهر في عهد الخليفة الناصر، في القرن السادس الهجري، حين ظهر غلام كان أبوه ممن يوقظ الخليفة للسحور، وكان اسمه ''أبو نقطة فلما مات تولى ابنه هذه المهمة، وأراد أن يشعر الخليفة بوفاة أبيه، فوقف عند قصره يقول:

يا سيد السادات

لك بالكرم عادات

أنا إبن أبو نقطة

نعيش أبويا مات

وربما كان الاسم الصحيح ''القومة" لا "القوما''لأنه بدل على قومه السحور.

أما ''الحماق"فلم يجد تعليلاً مقبولاً لتسميته بهذا الاسم، كما أننا لا نستطيع تسمية هذه الالوان باسم ''فنون''، فما هى الا أوزان مختلفة، لو جاز وصفها بأنها فنون ، لجاز أن نسمى كل بحر من بحور الشعر فناً .

والأصح أن نسمي هذه الألوان ''زجلاً ''، كما نسمي كل نظم فأصبح شعراً .

نشأة الزجل

لم نجدْ فيما رجعنا اليه من مراجع –على كثرتها –اتفاقاً على رأي واحد في نشأة الزجل ، فقد اختلفتْ الروايات في تاريخ نشأته، كما اختلفت في مكان هذه النشأة .ومن الطبيعي أن يكون هناك خلاف على الدولة التي نشأ فيها ما دام هناك خلاف على الزمن الذي نشأ فيه .وحين نستطيع أن نحدد المكان الذي نشأ فيه الزجل، يصبح من المستطاع تحديد زمن نشأته . يزعم بعض المؤرخين أن أول ما ظهر من فنون الزجل هو ''المواليا ''، وأن ظهوره كان بالعراق في عصر الرشيد، ويزعمون أن لهذه التسمية سبباً، هو أن الرشيد بعد أن اوقع بالبرامكة، أمر بألا يذكروا في شعر ابداً، فرثتهم جارية من جواريهم بهذا اللون من النظم ...كانت تقوله ثم تصيح : ''واموالياه ." ! !

وبعضهم الآخر يقول أن الزجل ظهر في الأندلس عقب ظهور الموشحات في عهد دولة الملثمين.

والرواية الأولى نستطيع أن نستبعدها، مستندين إلى حجج يمكن الاطمئنان اليها، منها:

أولاً: ان اللغة العربية في عصر الرشيد، لم تكنْ قد اختلطتْ بلغات أخرى إلى الحد الذي يحول الناس من الشعر الفصيح المعرّب، إلى الزجل العامي غير المعرّب دفعة واحدة، ومن غير أن تكون بين اللهجتين مرحلة انتقال .

ثانياً: ليس من المعقول أن يكون الزجل قد ظهر في عصر الرشيد، ثم يظل مختفياً لا يحفظ التاريخ منه بيتاً واحداً، ولا يذكر اسم زجال واحد من هذا العصر حتى أواخر القرن الرابع الهجري .

ثالثاً : أن معظم المؤرخين يبررون ظهور الموشحات باختلاط اللغة في العصر الأندلسي، وصعوبة الاحتفاظ بقواعدها التي طبع عليها العرب الأوائل، ويؤكدون أن الموشحات قد تطورتْ إلى فن جديد هو ''الزجل''.

يقول لسان الدين الخطيب، المتوفي سنة 713هـ :

''ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها ...الخ ''.

وفي هذا تأييد لانفراد الأندلسيين بابتكار الموشحات، وهى بلا شك سابقة لظهور الزجل. وفي مقدمة ابن خلدون يقول: ''لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله '' ...إلى أن يقول : ''وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان، وان كانت قيلت قبله بالأندلس، وهو إمام الزاجلين على الإطلاق ''.

وهذا تأكيد لظهور الزجل في الاندلس لا في العراق .ومما يؤيد هذا الرأي الموشحات التي كانت تنظم باللغة العربية المعربة، كانت تختتم ''بقفلة ''من اللغة العامية الملحونة .وكانت هذه ''القفلة ''العامية تُسمى ''الخرجة ''، لأنها المخرج من الموشحات المعربة، إلى ''القفلة ''العامية ...بل لقد

كان بعض هذه الخرجات ''ينظم من لغة أعجمية، كان الوشاحون في ذاك العصر يجيدونها.

ومن أمثلة الموشحات العربية المنتهية بخرجة عامية .موشحة لابن بقى يقول :

صبرت والصبر شيمة العاني
ولم أقلْ للمطيل هجراني
معذبي كفاني
بمثل ما دانتْ المها دنها
أنهى رسول الفتاة ما أنهى
وقد تداعتْ حفيظة منها
فأصبح الشوق منشداً عنها
لابد نحضر من حيث يراني
لعله بالسلام يبداني
ما حل به كفاني

ومن أمثلة الموشحات العربية المنتهية بخرجة أعجمية قول الأعمى الطليطلي (قد ورد اسمه في بعض المراجع ''الطليطلي'')):-

دمع سفوح وضلوع حرار ماء ونار
ما اجتمعا الا لأمر كبار .

ثم يمضي في موشحته حتى المقطوعة الأخيرة فيقول:-

لابد لي منه على كل حال
مولى تجني وجفا واستطال

غادرني رهن أسى واعتلال

ثم شدا بين الهوى والدلال

الخرجة الأعجمية :

مواالحبيب انفرم دموار، كاندشتار

سعس أميت كساد مواتار

ويلاحظ أن الخرجة من نفس وزن المقطوعة التي استهل بها الموشحة.

والتفسير المنطقي لتطعيم الموشحات العربية بخرجات عامية، هو أن اللهجة الفصيحة كانت تبعد عن ألسنة الناس شيئاً فشيئاً، وكلما بعد العهد بالفصحى اقتربت اللهجة من الزجل، فكان هناك شبه التقاء، الفصحى تتطور من الصعوبة إلى السلاسة، والزجالون يقتربون بألفاظهم من الفصحى مع تخليصها من الإعراب، حتى كادتْ اللغة الدارجة تصبح لغة الخاصة والعامة.

وقد جاء وقت الأندلس، إنتشرتْ فيه اللغة العربية واللهجة العامية بين غير المسلمين، واعتبر الزجل لوناً من ألوان اللهو، فحرمت الكنيسة على رجالها حضور مجالسه.

وفي كتاب ''جميع قوامس الكنيسة والقانون المقدس ''المحفوظ بالمكتبة الأهلية بمدريد جاء هذا النص الذي يعتبر أمراً من الكنيسة لرجالها .''لا يجوز للقلارفين –أي رجال الكهنوت –أن يحضروا الملاهي والزجل في الأفراح والمشارب، بل عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الأطراب ..الخ ''...

و ظل الزجل شائعاً من المجالس، ذائعاً في مجالات الأنس، إلى ما بعد انتهاء الحكم العربي، وظل المسيحيون يتغنون في أفراحهم بالأغاني العربية المنظومة باللغة الدارجة، حتى بعد أن نسوا اللغة العربية.

واذا كنا في حاجة –بعد كل هذا –إلى براهين تؤيد القول بأن الزجل نشأ –كالموشحات –في الأندلس، فالدليل الذي لا يقبل النقض هو أن كثيرين من وشاحي الأندلس تحولوا إلى نظم الزجل، الحسن سهل بن مالك من غرناطة، وأبو الحسن على بن جحدر، وأحمد بن الحاج، المشهور بإسم مدغليس)وقد ورد اسمه في بعض المراجع ''مدغيس ''وهو خطأ (وأخطل بن نمارة، وأبو عبد الله بن الخطيب، الذي كان وزيراً ووشاحاً وزجالاً، وهو صاحب الموشحة المشهورة التي يقول فيها:

جادك الغيث اذا الغيث همي

يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكنْ وصلك الا حلماً

في الكرى أو خلسه المختلس

لماذا ظهر الزجل في الأندلس؟

لماذا ظهر الزجل في الأندلس قبل أن يظهر في غيرها؟

ولماذا ازدهر فيها وانتشر هذا الانتشار الواسع حتى أصبح فناً قائماً بذاته؟

سؤالان لا بد أن يخطرا بالبال، ولا بد أن هناك إجابة عليهما والاجابة التي تتفق مع المنطق، ومع طبيعة الأشياء هى أن الزجل جاء نتيجة لاختلاط لغة العرب بلغة الأعاجم، ذلك الاختلاط الذي جعل

العربية تتقهقر على ألسنة أصحابها، وجعل قواعدها وأصولها تبتعد عما طبعتْ عليه السنة أهلها، بعد أن دخلتْ على تلك الألسنة ألفاظ جديدة ولهجات جديدة سهل عليهم النطق بها.

وقد يُقال ان اختلاط ألسنة العرب بعد الفتح الاسلامي حدث في بلاد الفرس وفي بلاد الروم وفي كثير من الأمصار غير العربية التي فتحها المسلمون، فلماذا لم يظهر الزجل في قطر من تلك الأقطار التي كان فتحها سابقاً لفتح الأندلس بمئات السنين؟

والرد على هذا، أن هذه المئات من السنين هى التي مهدت وساعدت على ضعف اللغة العربية، ووهنت استمساك أهلها بها ...هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الفتوح الاسلامية لبلاد الفرس والروم وغيرهما كانت غزوات تقوم بها جيوش تفتح البلاد ولا تحتلها لتقيم فيها إقامة دائم، بل كانت تعود بعد أن تؤدي مهمتها .وتحقق هدفها، وتترك البلاد لأهلها، أو تترك فيها أفراداً قلائل لا يستطيعون لقلتهم أن يكونوا ذوي أثر في تغيير لغة شعب بأسره، بل العكس هو الصحيح، وهو المشاهد حتى يومنا هذا ...فنحن مثلاً نرحل إلى بلاد كثيرة غير عربية، ونعيش بين أهلها، فلا نستطيع أن نحول شعوب هذه البلاد عن لغتهم الأعجمية إلى لغتنا العربية، بل نحن الذين تتأثر بلغات البلاد التي تعيش فيها قلة غريبة عنها.

أما فتح المسلمين للأندلس فلم يكنْ كذلك .لم يكن فتحاً مؤقتاً، بل كان حملة هى أقرب إلى هجرة أريد بها انشاء دولة جديدة تحكم

وتسود، وتكون أقل لها كل مقومات الدولة .وكل عوامل بقائها وحمايتها وقوتها .

والتاريخ يذكر موقف القائد العربي طارق بن زياد حين نزل من سفنه في الأرض التي أراد فتحها ثم أحرقها ليرغمة جنوده على الاستماتة في القتال، وقال لهم قولته المشهورة ''العدو أمامكم والبحر من خلفكم، وليس لكم الا ما تستخلصون من عدوكم ''.

وما من شك في أن نزول هذا الجيش الضخم، وانتصاره، وفرض سلطانه على أهل تلك البلاد .كان لا بد أن يفرض لغته على من خضعوا له.

وما من شك أيضاً في أن من غزاهم هذا الجيش لم يكنْ من السهل أن يتحولوا عن لغتهم الأصلية إلى اللغة الغازية بين عشية وضحاها، ومن الطبيعي أن كلا الفريقين تأثر بلغة الآخر وأخذ منها .حتى سادت العربية في الأندلس مع الزمن .ولكنها كانت لغة عربية غير كاملة النقا .

العرب الذين فتحوا الأندلس انما أرادوا نشر دينهم، ونشر الدين لابد أن يصاحبه نشر اللغة ...هذا ما حدث في كل عصر وفي كل أرض ...وهو ما نراه الآن من الدول الاستعمارية التي بسطت نفوذها على بعض دول آسيا وأفريقيا ...وأمامنا المثل قائم في هؤلاء المبشرين المنتشرين في القارة الأفريقية .أنهم لا يعلمون الدين وحده، بل يعلمون أيضاً لغتهم للشعوب التي يفرضون سلطانهم عليها .فأنت اذا ذهبت إلى الكونجر رأيت شعبها الأسود يتحدث الفرنسية، واذا دخلت الصومال ، وجدت شعب

يتحدثون بثلاث لغات أجنبية، هى لغات الدول الثلاث التي تقاسمت الصومال .انجلترا وفرنسا وإيطاليا .

هذه هى الاسباب التي مهدت لظهور اللغة العامية، ثم أسفرت عن ظهور هذا اللون الجديد من الشعر الملحون، ليكون فناً لجماهير العامة يحل محل الشعر السليم.

المرحلة الثانية للزجل بالأندلس

إنقضى العصر الذهبي للزجل في الأندلس بعد وفاة ابن قزمان، وظل هذا الفن محروماً من عدة سنوات من فارس يجول في حلبته، ويشغل الفراغ الذي خلفه موت ابن قزمان،

إلى أن جاءت أواخر القرن السادس الهجري، وفيه حولت الأحوال، ودالت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحدين، فاستردت اللغة الفصيحة بعض انتعاشها، واستعادت شيئاً من مكانتها، فأخذ الناظمون يتجهون إلى الفصحى أكثر مما يتجهون إلى العامية.

في هذه الفترة ظهر زجالان في وقت واحد، أحدهما أحمد بن الحاج المشهور باسم ''مدغليس ''أرق نظماً وأسهل من بن الزيات، وكان يطمع في أن يحتل المكانة التي احتلها بن فزمان في عصره، فوفق إلى حد بعيد، غير أن بن فزمان كان يمتاز بمزايا ليست لمدغليس ...كان الأول مكثراً، وكان الآخر مقلاً،وكان الأول يعتمد على شخصيته وجرأته، في حين أن أزجال مدغليس تدل على أنه كان محدود الصلات بالناس.

والمتأمل في أزجال مدغليس لا بد أن يقف على ظاهرة لا تخفي، وهى أن مقطوعاته أقرب إلى أفهامنا وأذواقنا في هذا العص، ذلك لأنها قريبة من الفصحى التي نفهمها .وهذا التفسير يؤيد ما ذهبنا اليه من أن اللغة الفصحى كانت أكثر انتعاشاً في عهد دولة الموحدين منها في عهد دولة المرابطين.

وهذه مقطوعة من منظومات ''مدغليس ''تؤيد هذا الرأي.

ورذاذاً دق ينزل

وشعاع الشمس يضرب

فترى الواحد يفضض

وترى الآخر يذهب

والنبات يشرب ويسكر

والغصون ترقص وتطرب

وتريد تجي الينا

ثم تستحي وترجع

وما من شك في أن مدغليس هو أول زجال تخلص في نظمه من طابع الموشحات، ذات الاوزان المختلفة والقوافي المتعددة، واتجه بأزجاله إلى القوافي الموحدة على نمط قصائد الشعر الفصيح وهذا اللون بلا شك يحتاج إلى مقدرة أكبر، كما أنه أوقع في النفس وأطرب للأذن من الطراز السابق من الأزجال.

وفيما يلي مقطوعة من ذلك النوع الموحد القافية .قالها مدغليس في مدح أمير اسمه يحيى ...قال يحدث النسيم :

لقد قبلت يا نسيم السحر

بروائح قد بورت للمسوك

توقد أنفاسك الذكية شمع

في قلوبنا متى ما نستنشقوك

إنما حقا لش وصلت ضعيف

قال لي دار ما دار لك ودعوك

لما جالي الفراق وودعتهم

لبسوني النحول كما لبسوك

ذكر الله من قد ذكرت بخير

كذا أيضاً سمعتهم يذكروك

قلت من حق يذكروني الملاح

قل لي لا نعم وينتظروك

قلت ان كان ترجع لهم عن قريب

قل لهم عني أيضاً ان سألوك

عزز شوقي لهم ووفي وزيد

في ضماني اش ما تقول صدقوك

أنا لس يتهموني في حبهم

ولا آت في الرسالة يتهموك

أي زمان بعد قل هو قد كان يجي

انما هو في قرطبة مملوك

لأبو يحيى سيد الأمرا

وفريد الزمان وزير الملوك

أما بن الزيات فالمنظومات التي بقيت من تراثه قليلة، ومن الظلم أن نتخذها مقياساً للحكم عليه ولا بد من أن تذكر بين زجالي هذا العصر أبا بكر محمد بن عبد الله بن زهر ، وقد كان من آئمة الطب في زمن ، كما كان فيلسوفاً ووشاحاً وشاعراً وزجالاً، وقد توفى بمراكش سنة **595**هـ .

ومن الزجالين الذين ظهروا قبل أن ينقضي القرن السادس الهجري، أبو الحسن على بن جحدر، ولد في أشبيليه سنة **548**هجرية وتوفى سنة **638**، أي أنه عاش تسعين عاماً، وهو الذي يقول عنه صاحب ''المغرب في حلى المغرب '' :''كان زجالا مطبوعاً، صحب والدي مدة، ولقيته أنا بأشبيلية '' .وترجم له بن سعيد في اختصار ''القدح المغلي ''قال :''كثر استشهاره بالانطباع في الزجل، وهو من جال ورحل، وكان حافظاً للنكت، متعلقاً بالأدب، قائلاً من الشعر ما يستحلي في بعض الأوقات ''.

ومن رجالي هذا القرن أيضاً ''بن غرلة ''.

ويروي بعض المؤرخين أن في حياته قصة حب عجيبة، فقد قيل أنه أحب ''زميلة ''أخت الخليفة عبد المؤمن ملك الأندلس، وكانت جميلة الخلقة فصيحة اللسان، وذكرها في أحد أزجاله، متغزلاً، فقال:

من يصيد صيد فليكن كما صيدي
صيدي الغزالة من مراتع الأسد
كيف لا أصول واقتنصت وحشية؟
ظبية تجول في ردا سوسية
صاغها الجليل فهى شبه حورية
تنثني رويدا اذ تميس في البرد
تعجن الغلالة والردا مع النهد
رب ذات ليلة زرتها وقد نامت
والرقيب في غفلة والنجوم قد مالتْ
رمت منها قبلة عند ضمها قالت

قر قر واهداً   لا تـكون متعدي

تكسر النبـالا   وتفـرط العقـد

فلما شاع أمر هذه المنظومة اعتقد الخليفة أن هناك علاقة بين أخته وبين بن غرلة، وأن هذه العلاقة قد وصلت إلى حد خطير، فقبض عليه وقتله .ولما كان الخليفة عبد المؤمن قد توفى في جمادي الثانية سنة **558** هجرية **26** يناير **163** فمعنى هذا أن (ابن غزلة) مات مقتولاً قبل هذه السنة، وأنه كان في حياته معاصراً لابن قزمان المتوفي سنة **555**هجرية الموافقة لسنة **1160**ميلادية.

ومن زجالي هذا القرن أيضاً زجال عرف باسم البعبع، وكان تلميذاً لابن جحدر.

زجالو القرن السابع

ظهر بالأندلس في القرن السابع الهجري زجالون كثيرون، حفظ التاريخ أسماء بعضهم وان لم يحفظ أزجالاً إلا لقلة منهم .

من هؤلاء أبو على الحسن بن أبي نصر الدباغ الذي اشتهر بالهجاء والاسفاف والأدب المكشوف، وأبو بكر الحصار، وأبو عبد الله بن خاطب، وأبو بكر بن صارم الذي اشتهر بالزندقة، وكانت زندقته سبباً في أن صدر الأمر بقتله، فهرب إلى الشرق، واحتمى ببيت، فشبت النار في البيت، واحترق بن صارم.

ومنهم أيضاً أبو عبد الله بن محمد بن ناجية اللورقي (نسبة إلى بلدته لورقة)، وأبو زيد الحداد البكازور المولود ببلنسية.

وظهرت بعد ذلك على التوالي طائفة من الزجالين، نذكر منهم يحى بن عبد الله البحبضة، وكان من المشتغلين بخدمة السلطان،وله أزجال رقيقة هذا مثال منها:

دعن نشرب قطيع صاح

سر (ذنا) ست الملاح

دعن نشرب ونرخي خفا

ولصاحب من لس فيه عفا

يا زغلا شدو الأكفا

من باب الجور يسمع صياحي

ومنهم أبو الحسن على بن محمد الشاطبي، وأبو بكر بن عمير المغربي، ويذكر أيضاً باسم أبي بكر يحيى بن عمير .ويظن بن خلدون في مقدمته أنه هو نفسه بن عمير الذي استحدث فن ''عروض البلد ''إذ يقول :

''وكان أول من استحدثه رجل من الأندلس نزل بفاس، ويعرف بابن عمير، فنظم قطعه على طريقة الموشح، ولم يخرجْ فيها عم نذهب الاعراب إلا قليلاً''.

وبعد أن يورد مطلع القطعة يقول :

''فاستحسنه أهل فاس وولعوا به، ونظموا على طريقته''.

ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن حسون الحلا المغربي، وأبو الحسن على بن عبد الله الششتري.

ونحب أن نقف قليلاً عند هذا الرجل لأنه انسان جدير بالعناية، فقد وُلد بالأندلس وعاش فيها فترة طويلة من عمره، ثم اتجه إلى التصوف، واشتهر بالورع والتقوى ، وبدأ ينظم شعراً عربياً فصيحاً كله تصوف وتأمل، وفلسفة روحية، وقد التف حوله عدد كبير من المعجبين بخلقه وتقواه، وتتلمذوا عليه وصاروا من مريدية .وخرج الششتري من الأندلس ليطوف ببعض الأقطار الأفريقية ، وبعض بلاد الشرق، حتى استقر به المقام في قرية ''طينة ''القريبة من دمياط بأرض مصر، وتُوفى بها ودُفن فيها سنة 688هـ

ومن أزجاله في التصوف قوله:

رأسي محلوق ونمشي موله
تطلب في السوق أو في دار مرقه
حافي نرشق نقول اعط الله
خبزاً مطبوع من هو مطبوع
مطبوع مطبوع أي والله مطبوع
وقد نقعد لمن يخطر لي نمشي
نريد نرقد الأرض هى فرشي
نرعى مزرود به يطيب عيشي
من هو مطبوع يعجب كل مطبوع
مطبوع مطبوع أي والله مطبوع

***

ماع كشكول مع وحده المحارة
وابريق مدخول بطرف الاشارة
ورأس مصقول بحال طنجهاره
نمشي مطبوع على الفقر مطبوع
مطبوع مطبوع أي والله مطبوع

***

أي ما نمشي ثم همي داري
نرمي نرسي في وسط الصحاري
نشعل ضرسي بعشب البراري

قوت مطبوع بطني معي مطبوع

مطبوع مطبوع أي والله مطبوع

***

وهذا اللون –كما يبدو من نظامه –قريب من "المندوجات" التي نعرفها في عصرنا هذا.

وله زجل آخر يظهر فيه طابع التصوف أكثر من سابقه ويقول فيه--:

شويخ من أرض مكناس

وسط الأسواق يغني

آش عليا من الناس

واش على الناس مني

وما أحسن كلامه

إذْ يخطر في الأسواق

ترى ناس الحوانيت

تلتف لو بالأعناق

بغراره في عنقو

وعكاكيز وأقراق

شيخ مبني على أساس

كما انشا الله مبنى

أش عليا من الناس

واش على الناس مني

وهذا يدل على أن الرجل قد هجر متاع الدنيا، وهام على وجهه في الأسواق ينمي منظوماته الصوفية إلى كان يتغنى بها غيره من المتصوفين . وبهذا كان الششتري صاحب مذهب جديد في الزجل لم يسبقْ اليه سابق، إذْ نقله من الغزل والمدح والهجاء والشكوى، إلى التصوف والتعبد والزهد.

وأخيراً نذكر من زجالي الأندلس محمد بن عبد العظيم الوادياشي - نسبة إلى وادي ياش -وأبا عبد الله بن الخطيب صاحب موشحة : ''جادك الغيث اذا الغيث همي ''التي سبق أن أشرنا اليها، والزجالان الأخيران ظهرا في عصر واحد.

ولا نظن أنه بقى من زجالي الأندلس من يستحق الذكر بعد هؤلاء.

خروج الزجل من الأندلس

في الوقت الذي ظهر فيه الزجل بالاندلس، أخذ يظهر في أقطار أخرى، لنفس الأسباب التي أظهرته في الأندلس، أعنى اختلاط الفصحى بلغات الأعاجم،

والرغبة في التخفف من قيود الاعراب .وكان نصيب مصر عدداً ضخماً من الزجالين، ظهر بعضهم في وقت معاً، وظهر آخرون تابعاً، ولكن ظهور زجالي مصر كان بعد ازدهار الزجل في الأندلس بوقت طويل.

ومن زجالي مصر الذين وصل إلينا بعض أزجالهم :صفي الدين الحلى، وبن سناء الملك، وأبو عبد الله خلف بن محمد الغبارى، وناصر الغيطي، وبن عروس، والشيخ الفحام، والشيخ حسن الآلاتي، والشيخ رمضان حلاوة، والشيخ الدرويش، وعبد الله النديم والادريسي، وعثمان بك جلال، والشيخ النجار، ومحمد توفيق صاحب مجلة ''حمارة منيتي''، والشيخ عبد الله لهلبا، والشيخ القوصي، والشيخ جاد علوان، ومحمد إمام العبد، واسماعيل باشا صبري، وحفنى بك ناصف، ومحمد صدقي باشا (الذي كان وزيراً)، والشيخ عاشور، وخليل نظير، ومحمد عزت صقر، ومحمد عبد النبي، وشعبان عوني، ومحمد فهمي يوسف، ومحمود رمزي نظيم، وحسين شفيق المصري، وأحمد شوقي بك (أمير الشعراء)، ومحمد غالب المهندس، وحسن الفرشوطي، محمود بيرم التونسي.

وقد اكتفينا بذكر من انتقلوا إلى رحمة الله.

الزجل في مصر

إنتقل الزجل من الأندلس إلى سائر الأقطار العربية، وكان من الطبيعي أن ينتقل من موطنه إلى البلد الأقرب فالأبعد، ولهذا ظهر في شمال افريقيا قبل أن يظهر في مصر.

ولقد بدأ الزجل في مصر -كما بدأ في الأندلس –تطوراً للموشحات فرأينا صفي الدين الحلى، وابن سناء الملك، وناصر الغيطي ...ينظمون الموشحات، ثم يتحولون إلى نظم الزجل القريب من التوشيح.

ومن العسير على من يريد أن يؤرخ للزجل في مصر ان يضع تاريخاً مفصلاً دقيقاً، واضح المعالم لزجالي مصر الذين ظهروا بعد انتشار الزجل في الأندلس .ذلك لأن وسائل النشر والتدوين في مصر كانت معدومة . وعلى الرغم من كثرة الزجالين الذين ظهروا في مصر منذ عهد صفي الدين الحلى، إلى منتصف القرن الماضي، فاننا لم نقعْ على شيء من آثارهم، الا على القليل .ذلك لأن المدونين لم يكونوا يحفلون بهذا اللون من النظم، ولا بقائليه، ولم يكنْ قد ظهر بعض الزجال المبدع الذي يستطيع أن يجتذب إلى فئة القلوب والأسماع .

والتعليل المعقول لبقاء آثار زجالي الأندلس –مع تقدم زمنهم على زمن زجالي مصر -واندثار آثار زجالي مصر، هو أن الأمية كانت في الأندلس أقل تفشياً منها في مصر.

لقد كانت الأمية سبباً في ضياع الكثير من آثار بعض شعراء مصر، مع أن الشعراء في الغالب من الطبقة المثقفة .فمن باب أولى أن تضيع آثار

الزجالين .الذين هم من طبقة العامة التي لم تكنْ تتعلم القراءة والكتابة الا في القليل النادر.

ولقد كان الزجالون يعتمدون على حفظ أزجالهم، والقائها في المجالس، وتحميلها للرواة .فلما طوى الزمن تلك المجالس، ومضتْ السنين بالرواة، ضاع الكثير من الأزجال، وما بقى منها خالطة التحريف والتبديل.

ولما دخلتْ الطباعة إلى مصر، ووجد الزجل من الكتاب والمؤلفين من يعنون بجمعه وتسجيله، تدخلتْ الأخطاء المطبعية، وسوء النقل في التراث القليل الذي بقى فزادته تشويهاً وبعداً عن الأصل.

ونستطيع أن نقول أن الزجل في مصر قد مر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى -: كان فرسانها صفي الدين الحلى، وبن سناء الملك، وناصر الغيطى، والغبارى، وبن عروس، وان كانوا لم يظهروا في عصر واحد.

والمرحلة الثانية -: كان فرسانها طوائف الزجالين الذين ظهروا بعد ذلك . حتى منتصف القرن الثامن عشر.

والمرحلة الثالثة -: وهى مرحلة الزجالين الذين ظهروا في القرن العشرين، وأعنى بظهورهم ظهور أزجالهم لا مولدهم.

والمطلع على أزجال كل مرحلة من هذه المراحل، يستطيع أن يجد لها طابعها الخاص المميز .فمرحلة الحلى كانت أزجالها أقرب إلى الموشحات وفيها كثير من الإعراب.

والمرحلة الثانية كانت أزجال فرسانها قد تخلصت من كثير من الكلمات المعربة، ولم يبق في منظوماتهم من الإعراب الا أقل القليل . والمرحلة الثالثة تمتاز أزجال أصحابها بأنها عامية خالصة، قل أن تجد فيها

كلمة معربة، وخاصة أزجال الزجالين الذين ظهروا بعد عام **1920.** ونستثني من هؤلاء المرحوم أحمد شقي بك الذي لم ينظم الأزجال الا في الربع الثاني من القرن العشرين، حين أراد أن يقدم لوناً آخر من النظم، لتتغنى به عامة الجماهير، فنظم من الأزجال روائعاً، ولكنه لم يستطعْ أن يتخلص من شاعريته، فأدخل في ازجاله كلمات عربية، فصيحة، بل كلمات مهجورة من الفصحى، ككلمة ''نضو ''في قوله''ونصو هجر وبعاد''، ولكنه استطاع بقدرته، وروعة معانيه، أن يجعل هذه الألفاظ الفصيحة مستساغة في الزجل، محببة إلى أسماع الجماهير، حقيقة على ألسنتها.

لغتنا الشعبية وتطورها

إن الباحث في معاني أزجال السابقين، له العذر إذا أخطأ فهم مراد الزجال، أو غاب عنه معنى بعض الألفاظ .فاللهجات في البلاد العربية تختلف، بل ان اللهجات في البلد الواحد تتباين، واللغة تتطور من عصر إلى عصر، والكلمات العامية في بعض الأحيان يتداخل بعضها في بعض، ثم تندمج حتى تصير الكلمتان كلمة واحدة.

ومن أمثال اختلاف التعبيرات واللهجات والألفاظ، أن أهل المدن يقولون ''نمسح ''فنفهم أن المراد ''مسح البلاط ''في حين أن أهل الاسكندرية ينفردون بكلمة تعبر عن هذا العمل هى كلمة ''نسيّق '' – بياء مشدد . -

وأكثر المدن والقرى المصرية، يسمون الجلباب المعروف ''الجلابية''، في حين أن أهل الاسكندرية ينفردون بتسميتها ''قفطان''. ويطلقون كلمة

''الجلابية''على جلباب المرأة فقط .وهذه الكلمة نفسها ''القفطان''يطلقها المصريون جميعاً على ما يلبسه الشيوخ المعممون تحت الجبة.

السكندري اذا قرأ زجلاً يقول فيه الزجال انه لبس ''جلابية''، سخر منه لاعتقاده انه لبس جلباب امرأة، وغير السكندري اذا قرأ زجلاً يقول فيه ناظمه انه لبس ''القفطان''ظن انه لبس ذلك الرداء المعروف المفتوح من الأمام.

وكذلك في القاهرة، وبعض المدن الأخرى، يسمون الهاون المصنوع من الخشب ''الجرن ''، في حين ان بعض اهل الوجه البحري –وخاصة محافظة الشرقية –يسمونه ''الصلايه ''، ونفس كلمة ''الصلاية ''في بعض البلاد المصرية الأخرى ، لا تؤدي معنى ''الجرن ''بل تؤدي معنى آخر بعيداً كل البعد عن ''الجرن ''، فهى تعني الطين الذي تحاط به جذور الشجرة عند الرغبة في شتلها أو نقلها.

هذا من امثلة اختلاف الألفاظ ومعانيها .بين بلد وآخر في القطر الواحد، أما مثال اندماج الكلمات، وتداخل بعضهما في بعض، كلمة ''الدعبرة ''، وأصلها كلمتان ''الدعاء ''و ''بره ''وكلمة ''الدلعدي ، وأصلها ''الدعا للعدى ''والكلمتان تذكران بعد الدعاء على انسان بالشر، لإبعاد هذا الشر عن المستمع.

فإذا كنا –نحن العرب –نعجز عن فهم بعض لهجاتنا المحلية المختلفة ، ونخطئ في تفسير بعض كلمات أهل المدن التي نعيش فيها، مع اتفاق لغتنا العربية مع لغة قائليها، ومع اننا نعيش معهم في عصر واحد،

فمن الواجب ان نأخذ تفسيرات المستشرفين لأدبنا الشعبي بكثير من الحذر.

ومما لا شك فيه ان الكثير من مفردات لغتنا العامية الحالية .سوف يتناوله التحوير مع الزمن، وسيندثر بعضها كلما اندثرت كلمات لم تنطقْ بها ككلمة ‘‘الشمعدان ‘‘و ‘‘السكركة ‘‘و ‘‘العنترى ‘‘و ‘‘الكوبيل ‘‘وغيرها.

كل هذه الكلمات اندثرت، لان مدلولاتها اختفت من حياتنا العامة .وهناك كلمات أخرى على وشك ان تندثر، تبعاً لتطور حياتنا الاجتماعية، مثل كلمة ‘‘الطربوش ‘‘و ‘‘الحنطور’’و ‘‘الشفخانه ‘‘و ‘‘الدقية ‘‘وغيرها.

ولا بد ان نجد في لغتنا الدارجة كلمات جديدة تؤدي مدلول بعض ما تتمحص عنه حياة المجتمع من تطورات، وما يستجد فيه من اكتشافات واختراعات، ولكن هذه الكلمات لن يكون استعمالها مقصوراً على طبقة العامة، بل سوف تستعملها الخاصة والعامة على السواء، كما نستعمل اليوم الكلمات التي جدت في لغتنا، مثل ‘‘الراديو’’ و’’البرشام’’ و’’الرادار’’ و’’النفاثة’’ و’’الدبابة’’وغيرها.

لهذا كله ...كان من الواجب أن نعني بوضع كتاب يشبه القاموس يضم كلماتنا العامية المتداولة، ومعانيها، ومدلولاتها، وما نستعمله من أدوات، وما نأكله من أكلات، إلى غير ذلك مما يلازمنا في حياتنا اليوم، ليكون مرجعاً لأدبنا الشعبي بعد مئات السنين.

وما من شك في أن مثل هذا الكتاب، لن يكون ذا قيمة لعامة الناس في عصرنا هذا، ولكنه سوف يكون خطير الشأن، جليل الأثر، بعد مئات السنين، يوم يقرأ القاريء في أدبنا الشعبي كلمة ''زير'' أو ''قلة''أو ''تراموای''فلا يفهم معانيها، ولا المراد منها، لاندثار هذه الأشياء ... الا اذا رجع لمثل هذا الكتاب، فوجد الكلمة، ومعناها، ورسماً توضيحياً لما تدل عليه .

الزجل في لبنان

لعل لبنان هو البلد الوحيد اليوم،الذي نجد فيه، لا
عشرات ولا مئات من الزجالين، بل نجد ألوفا منهم ...
أن شعب لبنان كله يحب الزجل، ويهتم به ،

وكثيرون من أهل هذا البلد الجميل يرتجلون الزجل ارتجالاً، ويأتون فيه بمعان رائعة، وأخيلة جميلة، يستوى ذلك الرجال والنساء .الشبان والشابات.

لعل لجمال الطبيعة في بلادهم دخلاً كبيراً فيما يتمتعون به من شاعرية رقيقة، وخيال رائع، ومعان سامية، ولفظ رقيق.

ولبنان هو البلد الوحيد، الذي تجد فيه للزجالين فرقاً تحيى الليالي بانشاده في المسارح والملاهي .وطريقة ذلك أن تظهر الفرقة على المسرح - تسبقها اعلانات ضخمة على الجدران وفي الصحف .وكل فرد من أفراد الفرقة يحمل آلة موسيقية من آلات النحت، ثم ينشدون الأزجال ارتجالاً، فيبدأ شيخهم بتحية الحاضرين، ثم يرد عليه آخر نائباً عن الحاضرين، ثم ينتقل النقاش إلى موضوع عام ...كل فرد من أفراد الفرقة يبدي فيه راية، فتتعارض الأراء، وتتوالى الحجج والبراهين، ويحتدم الجدل والنقاش .وتتحول الحفلة إلى معركة كلامية عنيفة، ولكنها نظيفة الالفاظ، سامية المعاني، رفيعة الهدف .وكلما جاء زجال بمعنى رائع أو خيال جميل، أو حجة قوية، صفق له الحاضرون وهللوا، وشجعوه بعبارات الاعجاب.

وفرق الزجالين في لبنان كثيرة، وحفلاتها تكتظ بالمشاهدين، الذين يدفعون لتذاكر الدخول ثمناً كبيراً، ويفد المستمعون من جميع بلاد لبنان

لسماع الفرق المشهورة، بل كثيراً ما يأتي هواة الزجل من سوريا لسماع حفلات زجالي لبنان الذين يطلق عليهم اسم ''القوالين ''.

وفي الزجل اللبناني ألوان محببة، كالعتابا والميجانا والقرادى وغيرها . ولقد برز من زجالي لبنان عدد كبير من النوابغ، كان أشهرهم ''أسعد الخوري الفغالي ''الذي لقبوه ''شحرور الوادي ''لرقة نظمه حسن صوته . وكانت له رقة مكونة منه ومن الزجالين على الحاج وأنيس روحانا، وكانت حفلات هذه الفرقة من أروع المهرجانات الأدبية.

وقد زارت فرقة ''شحرور الوادي ''القطر المصري في عام 1937، فاحتفى بها رجالو مصر .وأقيمت لها حفلة تكريم بمسرح حديقة الأزبكية، غنت فيها أم كلثوم، وظهرت فيها الفرقة اللبنانية على المسرح بلونها المحبب، فنالت أكبر الاعجاب .

ومما يذكر أن حضور هذه الفرقة أذكى بين زجالي مصر روح الارتجال، فلما وصلت إلى محطة القاهرة، كان في استقبالها على المحطة عدد كبير من زجالي مصر، فارتجل أحدهم زجل ترحيب قال فى مطلعه:

لما هل القـطر من قليوب علينا

شفنا قدام الوابور من نوركوا نور

لولا خوفي من العجل بانور عنبنا

كنت أنزل لجل ابوس رجل الوابور

ولد شحرور الوادى حوالى عام 1898، وتوفى عام 1940بالغاً من العمر 42عاماً ...وقد أقامت له حكومة لبنان تمثالاً في أول طريق صيداً، تقديراً لفنة الشعبي الرفيع.

ومن أزجال أسعد الخوري الفعالي قوله-- :

بحبك بحبك اد ما تعمل معي

لو غام قلبي بين جسمي ومجمعي

عينك يا ولفي نشوف ولفك ع الفراش

من يوم صدك لا استفاق ولا وعى

عندما ساعه نزاعي بشمعي

جنب الفراش تبسمي ولا تدمعي

حتى بعيوني اصورك صورة وداع

وأطبق جفوني وآخذ الصورة معي

وكما ظهر شعراء لبنانيون مبرزون في المهجر كان من الطبيعي أن يظهر رجالون مبرزون في المهجر، كان من الطبيعي ان يظهررجالون مبرزون أيضا، ففي كثير من دول امريكا اللاتينية تتردد اللهجة الشعبية اللبنانية، في أزجال رفيقة تلقى في محاقل هذه الجالية الذكية النشطة المكافحة، وتنشر على صفحات صحفها ومجلاتها.

ومن زجالي المهجر المبدعين اسكندر يوسف المنذلق الذي يقول في الحنين لوطنه.

يا موطني المحبوب يا لبنان

مهد العلوم ومنبت الشجعان

وموكل الملهوف واللاجيء

مأوى الأسود مهبط الأديان

يا موصل الآباء والأجداد

وقبلة الطلاب والفصاد
لو بعدنا عنك بالأجاد
لم تزل تصبو اليك الروح
وتزدري بالبعد والهجران
وكيف لا تصبو اليك نفسي
أصبح على عهد الولا وأمسي
حبك يرافقني إلى رسمي
وفي فؤادي لا يزال جاري
مثل جرى الدم في الشريان
يا موطن المحبوب لا ننساك
أنت العزيز وفي القلوب ذكراك
لا عن قساوة قلب غادرناك
لاجل خيرك نحن هجرناك
تاركين الأهل والحلال
لا البعد يا لبنان يقصينا
ولا الهجر مهما طال بسينا
ولا البحر يسلبنا أمانينا
ولا نكون في موقف البائس
ولا القلوب يصدها نسيان

وللبنان فضل كبير في التفكير في تحقيق الوحدة العربية منذ سبعة عشر عاماً فقد أقام في عام **1945** مؤتمراً للزجل العربي، اشتركت فيه

مصر ولبنان وسوريا والأردن وفلسطين، وكان في مقدمة قرارات هذا المؤتمر، السعى لتوحيد اللهجات المحلية في البلدان العربية، وتوحيد ألفاظها بتقريبها إلى اللغة الفصحى، تحقيقاً للوحدة العربية اللغوية التي تعد دعامة قوية تقوم على قوائهما الوحدة العربية الشاملة.

إبن قزمان

ليس بن قزمان أول زجال ظهر في الاندلس، فقد سبقه كثيرون لم يحظوا بالشهرة التي تكفل بقاء أسمائهم، ولم يشتهر قبله غير قليلين، منهم اثنان ورد ذكرهما في أزجال بن قزمان:

أولهما ''أخطل بن نمارة'' الذي وصفه بن قزمان بقوله:

''ولم أرَ اسلس طبعاً، وأخصب ربعاً، ومن حجوا اليه وطاقوا به سبعاً، أحق بالرياسة في ذلك والامارة .من الشيخ أخطل بن نمارة .فانه نهج الطريق، وطريق فأحسن التطريق، وجاء بالمعنى المضيء والغرض الشريق .طبع سيال، ومعان لا يصحبه بها جهل الجهال .يتصرف بأقاسيمه وقوافيه، تصرف البازي بخوافيه ...الخ .

وقد حرصنا على اثبات هذه العبارات لغرضين، الأول أنها شهادة لها قيمتها من امام الصناعة في زجال سبقه، والثانى أنها ترينا أن بن قزمان كان أدبياً قادراً على السجع كما كان زجالاً قديراً في الزجل.

وثاني الاثنين اللذين سبقا بن قزمان :بن راشد الذي قال فيه بن قزمان:

أسحارجا ذا الزجل كله بن راشد على نبله

لن يقدر يقول مثله

ولابن راشد زجل نشره ''شتيرن ''المستشرق في مجلة الاندلس عام **1951**، واثبته الدكتور عبد العزيز الأهواني في كتابه القيم ''الزجل في الأندلس''. وفي هذا الزجل يقول بن راشد :

كل من يعيب حبي، ايش يفيدو
ذاهم ليش يلوم، كذاك نريدو
***
كل من يعيب حبي لس نسمع لو
ونداري من نهوى ونخضع لو
العز فيه يجعلني تراب لنعلو
بد للغلام ميمون يخضع لسيدو
***
ان تعبه في عيني ايش لك في صدري
هو طلع لي بالقرعة ....وانا وسعدي
سمج هو تزعم آت ؟ مليح هو عندي
القمر هو في عيني والناس عبيدو
***
عيشي بعد محبوبي عيش مكند
ان رقدت تنبهني بواغت الصد
مثل ما قطع قلبي وقدد
في لظاظة الهجران وشوى قديدو
***
كل احد في ذا العيد حضل لوفا يد
الملامح مع العشاق يشموا لواحد
يعملوا سلام للعيد وبن راشد
وحدو شكى الغربة في عيدو

***

كل حد في ذا العيد شرح وملح

وعسل على حبلو مبزور مملح

وانا فليس عندى كبش فينطح

ولا مانجول السكين على وريدو

***

وهنا يحسن أن نفسر بعض الكلمات الغامضة ليسهل على القاريء فهم مراد الزجال .

فكلمة ''لس''بمعنى ''ليس''و''بد''بمعنى ''لا بد''و''تعبه''بمعنى ''تعيبه''أو تقيحه و''ات''يمعنى ''أنت''.

''ميزور''نوع من اللحم المجفف

وربما كان بن راشد هذا هو ''يخلفه الأسود''الذى ذكره صفي الدين الحلى باسم ''يخلف بن راشد ''.

ونعود إلى ترجمة بن قزمان فنقول :

هو أبو قزمان، وقد جاء اسمه في النسخة الوحيدة من ديوانه، الموجودة في مكتبة لييننجراد، والتي كتبت في صفد في القرن السابع الهجري :''أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان'' .وذكر اسمه بهذا النص أيضاً في كتاب ''قلائد العقيان ''لابن خاقان (صفحة 187) . أما في كتاب ''تحفة القادم''لفهم بن الأبار، و''الإحاطة'' لابن الخطيب، فقد جاء اسمه ''أبا بكر بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان ''.

وقد أخطأ ابن بسام ، وابن الخطيب، اذ لقباه بالوزير، وربما التبس الأمر عليهما، فخلط بينه وبين عمه الذي كان وزيراً للمتوكل.

ولد ابن قزمان في قرطبة في القرن الخامس الهجري ''حوالي سنة 480''في عهد الدولة الملثمين، وعاش فيها سنوات طفولته ويفاعته، فحفظ القرآن في صغره ، وتعلق بالأدب في شبابه، ثم خرج من قرطبة في جوله ببلاد الأندلس، التقى فيها بنزهزن بنت القلاع، وعي شاعرة ماجنة، كثيرة النوادر والمساجلات، عرفت بالجرأة وسلاطة اللسان، وكانت تنفس على ابن قزمان وشهرته واعجاب الناس به ، وتغار من أناقته واعتزازه بشخصيته .وقد رأته مرة بفغارة صفراء يختال بها، فأرادت أن تقبحه وتنال منه، فقالت له :''لقد أصبحت يا أبا بكر كبقرة بني اسرئيل، ولكن لا تسر الناظرين ''.

وما كاد بن قزمان ينظم أزجاله ويلقيها في مجالس الأدب حتى انتشرت تلك الأزجال في أرجاء الأندلس، وتناقلتها الرواة حتى وصلت إلى العراق والشام والمغرب ومصر، مع القوافل التي كانت تروح وتغدو بين هذه الأقطار.

فابن قزمان أول زجال استحق حفاوة المسجلين والمؤرخين، فعدوه امام هذا الفن، وتناقلوا تراثه جيلاً بعد جيل، حتى وصلت الينا مقطوعات كاملة مما نظمه.

وكانت له مجالس أُنس وشراب، ورحلات مع معاصريه من الأدباء والشعراء والزجالين .ومن كانوا يحضرون مجالسه ويلازمونه من الزجالين: أبو بكر بن مرتين ، وأبو عمر بن الزاهد الأشبيلي، وأبو حسن المعري، وعيسى البليدي، وغيرهم من مشاهير ذلك العصر.

ولسنا باستطاعتنا أن نعطى نماذج من أزجال معاصري بن قزمان، يمكن الاطمئنان إلى نصها، بعد ان تضاربت فيها الأقوال، واختلفت نصوصها فيما وردت فيه من الكتب قديماً وحديثاً .ولنضرب لذلك مثلاً بمقطوعة لعيسى البليدي –معاصر بن قزمان –فان له مقطوعة هذا نصها في كتاب ''الزجل في الأندلس ''للدكتور عبد العزيز الأهواني:

طمع بالخلاص قلبي وقد فات

وقد ضمم العشق لشهمات

تراه قد حصل مسكين في محنابو

يقلق وكذلك أمر عظيم صابو

توحشو الجفون الكحال ان غابو

وذيك الجفون الكحال دابلات

هذ المقطوعة نفسها يوردها الاستاذ رشدي صالح في كتابة ''فنون الأدب الشعبي ''بهذا النص :

يطمع في الخلاص قلبي وقد فاتو

وقد ضمو عشقو بها ماتو

نراه قد حصل مسكين حمالاتو

فقلق ولذلك أمر عظيم صاباتو

والاختلاف بين النصين كبير في اللفظ، وفي الرسم الكتابي، وفي المعنى أيضاً .فالدكتور الأهواني يفسر كلمو ''لشهمات ''بأنها اصطلاح لاعبي الشطرنج ''شاه مات ''، أي موت الملك، ويفسرها الاستاذ رشدي بأنها ''سهام العشق وقد أحاطت به من كل جانب '' .والأول يفسر

''محنابو ''بأنها الشبكة ، والثاني يفسر البيت كله بأن القلب مسكين لأنه وقع في الشجون .هذا فضلاً عن أن النص الذي أورده الدكتور الأهواني يختلف عما نقل عنه في كلمة ''توحشو ''فهى كما يقول ''لو حسر ''.

ولهذا كله نكتفي بأزجال بن قزمان كالنموذج صادق لأزجال عصره.

وليس عجيباً الا نعثر على أزجال بن قزمان، الا بضعة أبيات متناثرة، فقد حجبهم بن قزمان، وشغل الناس عن أزجالهم بأزجاله.

وما عرف من أوصافه، إنه كان شديد الأناقة، يعنى بملبسه أشد العناية، أشقر اللحية، أزرق العينين، أبيض الوجه .وكان محباً للهو والمجون والشراب، ميالاً لجيد الطعام، متجهاًإلى الاباحية، وكان اسمه يسبق بلقب الوزير، مع انه كان شبه صعلوك، يرتزق من مدح الناس بأزجال يطالبهم فيها بالعطاء .وربما ألصق به لقب عمه كما قلنا

وقد سجن بن قزمان في حياته، وظل في السجن حتى سعى محمد بن سير –أحد قواد المرابطين –لاطلاق سراحه، ويفهم من هذا أن تهمته كانت سياسية، وله في ذلك زجل يصف فيه حياة السجن، وما فيها من متاعب وذل وقلق، يقول فيه :

لم ير قط قاضي لعمري يعمل ذا الأعمال
أن يسكن جواري كل حواس وقتال
ملطي لس بقلبو من الاسلام رطوبه
ألقى خلخال بساقي ثم أوفاني بطوبه
فكما حيت نبدل ثم جات الصعوبه
لم يرى قط شاعر يكبل بذا القد

أي عيل ولا كان نعم مصدوق

بالحجر كنعطي لو شهد في مخلوق

وذاك المنفوخ الساق يمشي من سوق لسوق

من أراد يقضي منكم حاج للقاضي يشهد

وليس هذا هو الزجل الوحيد الذي نظمه في السجن، فله زجل آخر من وزن آخر

وأزجال بن قزمان تصور الحياة في عصره تصويراً دقيقاً .وهى تكاد تكون شبيهة بالحياة في عصرنا هذا، وخاصة فيما يتصل بأعياد المسلمين وعاداتهم فيها .فهو يصف حفاوتهم بزيارتهم المقابر، وبذبح الخراف فيقول:

كل وجه مزين ليلة العيد برا

واالبكا بالمقابر على الأحباب دمرا

احتفال الفجايع فاحتفال المسرا

ودموع الترحم في ثياب الشطارا

ثم يتحدث عن خلو بيته من كبش في العيد فيقول :

لس عندك من العار لو بقيت غدوة الروس

راس تحنى تفكر أنا مطوي بحال موس

ويكرر هذا المعنى في زجل آخر يقول :

أقبل العيد وأنا بعد محتفل

عن ضحية ذبحت رأس من بصل

وقد عاش بن قزمان ما يقرب من خمسة وسبعين عاماً، وتوفى في سنة 555هجرية، أو على وجه الدقة في آخر ليلة من عام 555هجرية (30ديسمبر 1160ميلادية).

وفيما يلى قطعة مختارة من أزجاله:

هجرن حبيبي هجر
وانا لمن لي بعد صبر
لس حبيبي الا ودود
قطع لي قميص من صدود
وخاط بنقض العهود
وحبب إلى السهر
كان الكستبان من شجون
والابر من سهام الجفون
وكان المقص المنون
والخيط القضا والقدر
رأى قلبي هذا المحال
مضى لحبيبي وقال
عسى ثم طويشر وصال
وان كان لحد الدور
تكون الطرور من وداد
واللوزا من الاعتقاد
والكابة لذيذ الرقاد

فلم نرقد اليوم شهر

وله مقطوعة أخرى يسخط فيها على الزواج، ويتعهد بألا يرتكب هذه الفعلة مرة أخرى فيقول:

صرت عازب وكان لعمري صواب

لمن نزوج حتى يشيب الغراب

أنا تايب يا لس نقول بزواج

ولا جلو ولا عروس بتاج

لا رباسة غير اللعب بالزجاج

والمبيت برا والطعام والشراب

شغف كانت وبا بعد لس تعود

من يسميه نخذ اليه العود

للنصارى مروا احملوه واليهود

أو لحمق بصخرتين أو مصاب

راه لم قط يقوم بذمعه فيهم

والأساتيذ تجنبوه من قديم

ان شاعر بزوج هوانا عظيم

لس يكن الا شاعراً مصواب

ومن الواضح أننا في عصرنا هذا لا نستسيغ وزن مثل هذا الزجل، ذلك لأننا لا نعرف كيف كانوا ينطقون هذه الكلمات، ولا ما هو الممدود منها وما هو المقصور .كما أنهم كانوا ينطقون بعض الكلمات منونة،

متأثرين بالشعر والموشحات التي كانت قريبة عهد بهم .أما اليوم فالتنوين يعد من أكبر عيوب الزجل.

ونحب أن نختتم ترجمة بن قزمان بمقطوعة من شعره، تثبت أنه كان قديراً في نظم الشعر، كمان كان قديراً في نظم الزجل ، وأنه كان رفيقاً خفيف الظل ..يشع المرح في كل مجلس يحل به.

كان يوماً في مجلس شراب مع بعض خلانه، فلما ثمل استخفه الطرب، فقام يرقص على نغمات الالحان، وأخذ يطوح يديه يميناً وشمالاً، وهو يتمايل، فأطفأ كمه المصباح، فلما ساد الظلام سمعه أصحابه يقول:

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه

ما ملت ...لكنني مالت بي الراح

فان أكن مطفئاً مصباح بيتكمو

فكل من قد حواه البيت مصباح

وبمثل هذه الرقة خلد ايم بن قزمان

ناصر الغيطي

لم نقع لناصر الغيطي على ترجمة لحياته في مرجع من المراجع، وليس هناك ما يمكن الاستناد اليه لاثبات الفترة التي عاش فيها، وقد وجدنا له مقطوعة واحدة، وهى على قصرها، ترينا أنه كان متمكناً من فنه، وأنه كان بصيراً بطبائع الناس، فهو يقول في هذه المقطوعة :

با أخلايا صاحبت انسان

أنكر لصحبه وعاداني

وبغضني حين بقيت مسمى

والاله بالفضل أسمائي

في بلاد قبلي وأرض الشام

يشكروني سائر أقراني

والتشجيع الشاطر المذكور

في جميع الأرض له تذكار

والبلط يوقع ولو اتعلق

ما يحصل شيء مع الشطار

صفي الدين الحلي

ليس صفى الدين الحلي مصري المولد، ولكننا ذكرناه ضمن زجالي مصر، لأنه عاش فيها فترة طويلة، ونظم فيها كثيراً من أزجاله، ولم نجدْ في أكثر المراجع التي سردت تاريخ حياته، ما بدل دلالة صريحة على موطنه الأصلي، غير ما ذكره هو نفسه في مقدمة ديوانه، إذ يقول:

''ثم جرت بالعراق حروب ومحن، وطالت خطوب واحن، أوجبت بعدي عن عريني ، وهجر أهلي وقريني، بعد أن تكمل لي من الأشعار، ما سبقني إلى الأمصار، وحدت به الركبان في الأسفار ''

ويقول في موطن آخر من مقدمة ديوانه:

''فلما من الله على بحجة الاسلام، وزيارة قبر النبي عليه السلام، قذف بي خوف بلادي إلى الديار المصرية .وأهلت للدخول في الحضرة الشريفة الملكية الناصرية ...الخ ''

والمفهوم من هذا القول، أنه من أهل العراق، وأنه رحل عن بلاده . ''وفارق عرينه، وهجر أهله وقرينه ''على أثر حروب وقلاقل في العراق . وجاء إلى مصر في عهد الملك الناصر، فلقى منه حفاوة وتكريماً.

أما اسمه الكامل فهو ''عبد العزيز بن سرايل بن على بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا .المعروف بصفي الدين الحلي ''.

ولد في عام 677الهجري، وجاء إلى مصر عام 726هـ، أي وهو في التاسعة والأربعين .والمعروف أنه توفى في أوائل سنة 750هجرية .ومعنى

هذا أنه توفى في الخامسة والسبعين من عمره، بعد قدومه إلى مصر بأربع وعشرين سنة، ولكنه لم يمت بمصر، بل عاد إلى العراق، ولهذا لا يمكن تحديد المدة التي أقامها في مصر.

كان الحلي شاعراً رقيقاً، ذا قدرة وافتتان، مولعاً بالطرائف والمبتكرات، ومن ذلك أنه نظم عدة قصائد بعدد أحرف الهجاء، يبتدئ كل بيت من القصيدة وينتهي بحرف واحد، فالأولى همزية، والثانية بائية، والثالثة تائية، وهكذا.

وله ديوان شعر من ثلاث مجلدات، وله مجموعة قصائد سماها ''دور البحور، في مدرج الملك المنصور ''، وهو أحد ملوك بنى الأوتق بماردين وديار بكر، كما أن له كتابه المعروف ''العاطل الحالي، والمرخص الغالي ''الذي تحدث فيه عن كثيرين من وشاحي وزجالي الأندلس.

بدأ شاعراً ووشاحاً، ثم نظم الزجل فأبدع فيه .وساعده على اجادته مثله إلى الألفاظ السهلة المفهومة .فشعره شبيه بالزجل في سلالته ورقته.
ومن ذلك قوله :

إن غبت عن عياني باغابة الأماني
فالفكر في ضميري والذكر في لساني
ما حال عنك عهدي ولا انثنى عناني
وجدي عليك باق والصبر عنك فان

وهو في شعره وفي زجله ميال للجناس، ومن جناسه في الشعر قوله :
اسبلن من فوق النهود ذوائبا

فتركن حبات القلوب ذوائبا

وفيما يلي مقتطفات من ازجاله العامة، وكلها من المواليا المنظومة من البحر البسيط، وفيها يتحلى ولعه بالجناس، قال:

سل مقلتيك الكحايل من سلاسلها

ومرشفيك من رشف منها سلاسلها

وعارضيك التي مدت سلاسلها

كم من أسود ضوارى في سلاسلها

ومنها :

قد أوعدنا الغضابا أننا نخلو

في ظل بستان حافف بالثمر نخلو

والطل من فوقنا قد بلنا نخلو

ومن كلام الاعادي قد ما نخلو

ومنها أيضاً قوله :

عني تسلبت وأساف الحفا سلبت

ومذ توليت عن طرق الوفا ولبت

لما تملت ليا بالعجل مليت

اذا تخلت تعرف قدر من خلت

ومما قاله من غير أن يلتزم فيه الجناس قوله :

يا قلب ان غدروا فاغدر، وان خانوا

فخن .وان هم قسوا فاقسو .وان لانوا

فلن .وان قربوا فاقرب .وان باتوا

فبن .وكن لي معاهم كيفما كانوا

ومن ذلك أيضاً قوله:

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين

أخطأ قياسه وفي قوله جمع ضدين

ماجدت الا وثعرك مبتسم يازين

وذاك ما جاد الاوهو باكي العين

ولصفي الدين أزجال مطوية على نمط قصائد الشعر الفصيح بقول في أحدها--:

من كان يهوى البدور	ووصل بيض الخدود
بالبيض والصفر يسحو	وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدور	ورام لزوم الصدور
يسمح والا فيبقى	من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور	من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعله	يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور	وجوه مثل البدور
اشراقها في المعاجز	وغربها في الصدور
نوائب المقدور	مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر	يفضي بضيق الصدور

كما انه له منظومات من ذلك اللون المسمى ''كان وكان ''يقول في إحداها:

باسادة هجروني

وهم نزول بخاطري

لا أوحش الله منكم　　　في سائر الأوقات

أوحشتم العين منكم

وأنسكم في خاطري

والقلب في النور منكم　　　والعين في ظلمات

قد انتهى الصبر مني

وما بقى في دمعه

هيهات اني احيا　　　من بعدكم ، هيهات !

لم يبق الا خيالي

بلوح كالشبح الخلفي

أعد بين الأحيا　　　وأنا من الاموات

ودعتموني وسرتم

والقلب يتبع ركابكم

ايش صرلو كان جسمي　　　من جملة التبعات ؟

ما مر رأيت صدى

يقول لي من فرحته

هنا تشق المراير　　　وتسكب العبرات

لو لم اسلى روحي

وأرضى نفسي بالمنى

لكان قلبي تقطع　　　من بعدكم حسرات

وقفت لمسا رحلتم

حيران بين أظعانكم

أخفض جناح المذلة وأرفع الأصوات

طول الليالي ساهر

كنى أريد الكيميا

أسبل الدمع نهراً وأصعد الزفرات

ما أطول ليالي جفاكم !

ساعاتها مثل السنة

ما أقصر ليإلى وصلي !كأنها ساعات

مإلى أرى حسناتي

بالسيئات اتبدلت ؟

وسيئات الأعادي اتبدلت حسنات !

خالفتموني وعمري

ما زلت أتبع أمركم

كذا العبيد تتابع أوامر السادات

أسكت واصبر عنهم

ويفعل الله ما يشاء

والدهر من عاداته بقلب الحالات

وقد تعمدنا أن ننتقل أن ننقل قدراً كبيراً من هذه المنظومة، ليتجلى بوضوح ما ذهبنا اليه من أن مرحلة الحلى كانت أزجالها أقرب إلى الموشحات، وفيها كثير من الاعراب، كما نرى في تنوينه لكلمتي ''يا سادة

''و ''نزول ''في المطلع، وفي استعماله لكلمات ''قد ''و ''هيهات ''و ''ودعتموني ''و ''خالفتموني ''و ''كذا ''وغيرها.

الغـبارى

هو أبو عبد الله خلف بن محمد الغبارى عاش في عصر
الملك الناصر قلاوون، الذي حكم مصر من سنة **684**
إلى سنة **741**هجرية، وكان عالماً فقها ورعا،

له تلاميذ يقصدون مجلسه في بيته للاستماع إلى دروسه وحكمه مواعظه، نظم القليل من الشعر فلم يحفلْ بشعره احد، ونظم الزجل فحفظه الحفاظ، وتناقلته الألسنة، ونال بمنظوماته شهرة واسعة.

وقبل ان توفى مدفوناً تحت أنقاض مئذنة مسجد بقلعة الجبل، سقطت عليه فجأة فمات .وهو أول من لفت الأنظار إلى مكانة الزجل، بعد أن ظل فترة طويلة لا يحفل به أهل مصر.

ويمتاز الغبارى بقدرته على الاطالة، فكانت أزجاله من المطولات والتراث الذي تركه بعد قليل، ولعل وفاته المفاجئة كانت سبباً في ضياع كثير مما نظم.

وفيما يلي مقتطفات من زجل من مطولاته، وفيه من النصائح والحكم والتشبيهات ما يشهد له بالمقدرة، وقوة الخيال، والنظرة الصادقة في الحياة، قال الغبارى،

في الناس رأينا للخير معادن
والدر يوجد في كنز مثله
وان رمت جوهر في الشخص مكنون
فجوهر الشخص حسن فعله

***

وان كان تريد صحة المعاني

وشرح ما في البيسان محرر

خذ فرع بايدك من أصل حنطل

وازرع جدوره في أرض عنبر

واسقه بماء بان وورد ممزوج

وعقد جلاب وحل سكر

وحين تشوفه عقد ثماره

وأن أوانه وحل فصله

ذوقه ، تراه مر والسبب فيه

ما يرجع الفرع الا لأصله

***

في الخلق من بالكرم ثماره

تجني ومنهم بالبخل بائس

هذا وهذا من طينة واحدة

ان ردت بين ده وده تقايس

كم غصن ف الروض له ظل ممدود

مورق ومثمر بالزهر ما بس

وغصن لا زمن فيه ولا ثمار

ولا أشاير فوجب لحمله

والغصن ما يفتخر على الروض

بغير ثمار أوراقه وظله

***

من آمنك قد لا تخونه

وكل من يعرف الأمانة ...

محمول على الرأس والعين مكرم

أعزه الصدق و اليانة

يرقى إلى أفخر المراتب

وكل منسوب إلى الخيانة ....

لا أرض طول الزمان تشيله

ولا سما باجدع تظله

ولو يكون أكبر العشيره

يبقى أصغر الخلق يستقله

***

ومن أساء لك كن أنت محسن

واستعمل الصبر فهو أقنع

وانظر لجذع النخيل في روضه

بحمل ثمرة أزهر وأينع

اذا رجمته بحجر نجود لك

بالثمر حت تأكل وتشبع

قمنا ضربنا مثل وقلنا

كان ليه بتحمل دا الذل كله

تجود بتمرك لمن أساء لك

قال كل منهمو يعمل بأصله

***

بعض النسا للرجال يخونوا

من في الخلايق يكون فتوة

وفي الرجال من اذا اختبرته

نجد له شهوة تغلب مروه

يفسد لزوجة أخيه ، وفيهم

من يحفظ العهد والأخوه

ولو أن زوجة أخيه من الحور

ما مال لها من حياه وعقله

الله يخون خاين المروءه

ومن دا طبعه ومن دا شكله

***

وان ردت ترفع من بعد خفضك

اصحب ذوى الفضل والمعارف

من عاشر أشراف يعيش مشرف

والندل لم تلقْ له معارف

ما تنظر الجلد كيف نقبل

بالثغر حين صار على المصاحف

اعرف خليلك ومن تعاشر

واختار لجد الكلام وهزله

فالشخص يحشر غدا على ما

يكون عليه صاحبه وخلله

***

لا تحتقر أي ابن آدم

في طول حياتك ولا تذمه

كم حي خامل تقول عليه

ما تعرف اسم البهيم من اسمه

وان جيت صاحبته في يوم يبان لك

تظهر معارفه و يتجلى علمه

ويشبه الروض حين يبدو شوكه

والورد مستور من تحت سله

والبحر تلقى الرسم تعوم به

والدر غايص مخلوط برمله

***

إبن عروس

ولد أحمد بن عروس باحدى قرى مديرية قنا، في سنة 1780 ميلادية، وأهل قنا مشهورون منذ القدم بأنهم زجالون بالسليقة، يقولون الزجل ولا يهتمون بنشره أو تدوينه .ومنهم ذلك الزجال الذي رأى حبيبته تشرب من قلة، وكان يتمنى أن يقبلها، والتقاليد تمنعه فقال:

خايف أجول له يجول له

واجلب مرعوب وخايف

ايجي جولى له باجله

حيت توردي ع الشفايف

كانت مصر عند ما ظهر بن عروس، يحكمها المماليك حكماً كله قسوة وابتزاز وظلم، فكان الفساد شائعاً بين الحكام، الذين كان همهم أن يجمعوا الأموال لأنفسهم ، وللحكومة، لينعم به المماليك في حياتهم المترفة، ومجونهم الفاحش.

لهذا احس المصريون، بأن الحكومة التي كان عليها ان تصون الأمن، أصبحت أشد خطراً عليهم من اللصوص وقطاع الطرق، فملأ الحقد صدور الناس، ودب الفساد في جهاز الحكم، فانتابه الضعف والتفكك، وضاعت هيبة الحكام.

في هذه الظروف ولد بن عروس وشب، ولم يكنْ من أسرة تستطيع أن تعلمه أو تثقفه ، فنشأ عاطلاً لا عمل له ولا صناعة ....وكانت الطبيعة قد منحته جسماً قوياً ، وقلباً كالصخر الذي لا يلين، فبدأ هذا

الناشيء المضيع يستخلص قوته بِقوته، يغتصب، ويسرق، ويفرض الاتاوات .واذا وقف في سبيله انسان بطش به بلا رحمة، فامتلأت القلوب رهبة منه .

وكان قد جمع حوله عصابة من أمثاله، العاطلين المجرمين القساة، فازدادت بهم هيبته، حتى باتت الحكومة نفسها تحسب له حساباً كبيراً.

وظل الرجل مسترسلا في اجرامه، حتى ادركته الشيخوخة، واستهول أن يلقى الله بهذا العبء الضخم من المعاصي، فأقلع عن الاجرام، وتاب وأناب، وانقطع للتأمل والعبادة والاستعفار.

وليس هناك من يعرف لماذا سمى ''بن عروس ''ولكن هناك رواية تذكر قصة من قصص حياته، وتزعم انها سبب تلقيبه بابن عروس، والرواية تقول أن الشيخ أحمد كان قد خرج يوماً للنهة بين الخلوات، فرأي عروساً في هودج يحف به أهلها .وهم متجهون بالعروس نحو بيت زوجها ...

فلما خرج الرجل عليهم فزعوا إذ عرفوه، وظنوا ان عصابته معه، وأنه جاء ليخطف العروس، فتركوا الهودج بمن فيه، وولوا هاربين .فلما انفرد الرجل بالفتاة ، وسوس له الشيطان أن يغتصبها، فصعد إلى الهودج، فتلقته العروس بدهشة لا أثر فيها للخوف، لأنها لم تكن تعرفه، فلما سألها عن وجهتها، وعن اسم زوجها، ردت عليه بلا تكلف ...وفجأة ...مال جملها على بعض الزرع الأخضر الذي كان قريباً منه، واذا بالفتاة تقول للجمل:

يا جمل العروس لا ترعى الندى

العقبة طويلة والملتقى غدا

فلما سمع الرجل هذا القول، أعجب بصاحبته، وانتابته رعدة مفاجئة من خشية الله ، وأنف أن يكون رجلاً يروع الرجال، ثم يعتدي على فتاة ضعيفة منقطعة، وليس حولها احد يدفع عنها .فنزل من الهودج، وأخد بزمام الجمل، وسار بها حتى أوصلها إلى زوجها، دون أن يمسها بسوء، وعاد فوزع ما بقى لديه من مال حرام، وانقطع للعبادة في الجبل .ولما علم رجاله بأنه تاب على أثر ذلك الحادث، أطلقوا عليه ''ابن عروس ''لأنه سلك في حياته مسلكاً جديدًا بعد لقائه بتلك العروس.

وأغلب الظن أن الرواية مختلفة لتبرير هذه النسبة، ولكنها لطيفة على كل حال، كتلك الرواية الأخرى التى تروي عنه بعد أن تاب:

قيل أن رجلين من عصابته، قاما بالسطو على دار أحد الأثرياء، وسرقا منها كيساً كبيراً مملوءاً بالحلى والجنيهات الذهبية، وحملا الغنيمة إلى مغارتهما بالجبل، وطلب أحدهما من زميله أن يذهب ليأتي بطعام، وعند ما ذهب في هذه المهمة، كان صاحبه قد عقد العزم على أن يقتله، لينفرد بالغنيمة وحده، وأعد سكيناً لهذا الغرض، ولما عاد صاحبه بالطعام، وثب عليه وقتله، دون ان يعلم أن القتيل كان قد فكر نفس التفكير، فدس له السم في الطعام ليتأثر بالمسروقات، فلما أكل القاتل، سرى السم في أمعائه ومات.

وبحث زملاء اللصين عنهما حتى عثروا عليهما في المغارة .ولما بلغ الخبر لإبن عروس ذهب إلى المغارة، ورأى زميليه القديسين صريعين، فأدرك ما حدث، وقال على البديهة :

دنيا تلاهي   حازوها المداهي

عبوها في شكاير وفاتوها كما هى

ولابن عروس ديوان مخطوط بدار الكتب بالقاهرة، فيه من روائع الزجل ما يرفع صاحبه إلى مصاف الحكماء الفلاسفة، على قلة حظه من العلم والثقافة.

ومن أزجاله التي تتداول الألسنة بعض أبياتها كحكم ومواعظ قوله:

حرامي وعاصي وكداب عاجز هزيل المطايا
وتبت و رجعت للباب اصفح جزيل العطايا

***

ما يرفد الليل مغبول ولا يقرب النار دافي
ولا نطعمك شهد مكنون الا الصديق الموافي

***

لو كنت خائف من الله والا من القبر والهول
ما كنت تعتز بالجاه والظلم والجور والصول

***

الندل ميت وهو حي ما حد حاسب حسابه
وهو كالترمس الني حضوره يشبه غيابه

***

كيد النسا يشبه الكي من مكرهم عدت هارب
يتحزموا بالحتش حي ويتعصبوا بالعقارب

***

الحسر يصبر على الضيق ولا يفرح لعادي
لو ينشف الفم والريق قم على الحال هادئ

***

تعمل تيابك بصابون وتقول عليهم نضايف
وفي باطنك غل مكنون ما انتاش من الله خايف ؟

***

مسكين من يطبخ الفاس ويريد مرق من حديده
مسكين من يصحب الناس ويريد من لا يريده

***

ان صادفك سعد ليام وانت على النحس ديمة
اضرب عصاك لقدام عوجه تجي مستقيمه

***

قدامنا قبر وحساب وحده ، وقلة رفاقه
والقبر مالوش باب ما فيه للنور طاقة

***

من يبغضك لم يحبك ولو طعمته الحلاوة
السن للسن يضحك والقلب كله عداوه

***

ما حد سالم من الهم ولا الحصى في الأراضي
لا له مصارين لا دم ولا هو من الهم فاضي

***

كسره من الزاد تكفيك وتبقى نفسك عفيفة
والقبر بكره يطويك وتنام في جنب الخليفة

***

الليل ما هوش قصير الا على اللي ينامه
والشخص مادام فقير ما حد يسمع كلامه

***

لا بد من يوم معلوم	**ترتد فيه المظالم**
أبيض على كل مظلوم	**أسود على كل ظالم**

***

ونختم القل صادقين	**مدح النبي سيد تهامه**
من شرف الكون بالدين	**والمعجزة و الكرامة**

***

الشيخ الفحام

هو أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الفحام، نشأ في أوائل القرن الهجري الماضي -القرن التاسع عشر الميلادي -في مستهل حكم محمد علي، وتعلم في الأزهر الشريف، وكان ولوعاً بالأدب، ولهذا درس البديع والبيان والعروض، إلى جانب ما درسه من علوم الفقه الشريعة، وقد ظهر أثر شغفه هذا فيما نظم من الشعر والزجل، فان فيه من المعاني، والمحسنات اللفظية .والتشبيهات، والمقابلة والمطابقة، ما لا يتاح الا للمتمكنين من دراسة الأدب دراسة عميقة.

وفيما يلي مقتطفات من زجل طويل له، نلمس في ألفاظه مدى تمكنه من اللغة الفصحى، وقدرته على التلاعب بالألفاظ، مع خيال رفيع وسبك رائع .وقال :

في بحر حسنك والغرام والجمال

كام في محاسن مهلك من هلك

وان كان عدولي شبّهك بالهلال

با بدر -من لا يعرفك يجهَلك

***

في بحر عشقك زد شجوني شجن

من مدمعي بحر الجوى قد وفى

أضحي بعير مقياس تجنى الجنون

وزاد على أهل الفسيح ما خفى

وصبح منادي الشوق على سأل

باجود والبلبال وطال اكتفى

***

ونبت اشجاني لعب به هواك

وصرت عارق في لجاج الهلك

وان كان عذولي شبّهك بالهلال

يا بدر -من لا يعرفك يجهَلك

***

خالك بخدك جل من قد صنع

نقطة من العنبر على لوح نضار

أو صفر كاتب أو صحيفة عقيق

أو عبد زنجي يحرس الجلنار

أو هو مجوسي من كبار المجوس

رام السجود لما رأى الخد نار

في ما صفى لون خدك العندومي

بظهر سواد عين كل من أم لك

وان كان عذولي

***

لنا روى خدك صحيح الحبر

عن عارضك عن خالك العنبري

عن نكهة الريق عن رحيق اللما

عن مبسمك عن ربقك السكري
بأن في رشفة حياة النفوس
وصح اسناد ثغرك الجوهري

فكيف تعجب من صحيح الخبر
يرويه نذير اللحظ عن سلسلك
وان كان عذولي . . . . .
***
نسا زليخا لو رأوا يا عزيز
حسنك وشكلك والجمال الجميل
وطابع الحسن الحسن والدلال
واللحظ والطرف العضض الكحيل
لقطعوا منهم بدال الكفوف
أكباد ولا بالقطع يشفي العليل
وتخرس الألسن اذا ما رأوك
وهم يقولوا ذا ملك او ملك
وان كان عذولي . . . . .
***
بالله يا ريم النقا والعذيب
بحسن نور وجناتك الأبرقين
جد بالشفا واسمح بلثم الشفا
على أفز يا بدر بالشفوتين

وكل مفرح من صبا منحنى

تروى دموع السفح من كل عين

يا كعبة العشاق ومروى الصفا

ريقك شفا يا سعد من قبلك

وان كان عذولي . . . . .

****

وأخيراً يسفح الشيخ الرقيق المتغزل، المحب الولهان، عمن ملك قلبه .وأطلق لسانه بهذا الغزل الحلو .فاذا به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذ يقول

يا فاتح الخير يا ختام الرسل

يا منتهي للعلم يا مبتدي

يا مصطفى أنت الصراط القويم

يا سر عين الغيب لمن اهتدى

ها أنت باب الله حياة النفوس

وخالقك قد ارسلك للهدى

وليلة الاسراء كم أرخوا

أدناك وبالخلق الحسن كملك

وان كان عذولك شبهك بالهلال

يا بدر —من لا يعرفك يجهلك

وقد توفى الفحام رحمة الله عليه في عهد الخديوي محمد سعيد .

محمد عثمان جلال

ولد ''محمد عثمان جلال ''في عام 1828 ببلدة)وما القيس (من أعمال مركز الواسطى التابعة لمحافظة بنى سويف.

وكان والده موظفاً ببيت القاضي، وقد توفى وهو صغير فكفله جده لوالدته، وأدخله المكتب ''الكتاب ''فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ شيئاً من القرآن، ثم أدخله مدرسة قصر العيني الأميرية – وكانت مدرسة ابتدائية –فلما أتم دراسته الابتدائية انتقل إلى مدرسة الألسن فتعلم فيها إلى أن أتم دراسته.

وقد قرأ أثناء دراسته فلها طائفة من الكتب الأدبية في اللغة العربية والفرنسية، وحفظ كثيراً من دواوين الشعراء .

وبعد أن تخرج ألحق بوظيفة حكومية ، وظل بها إلى سنة 1261هـ حيث انتدب لتعليم اللغة الفرنسية لأحد رجال ديوان الخديوي .واسمه ''زايد افندي ''كان محمد علي باشا وإلى مصر قد استخدمه لترجمة كتاب الشيخ الجزائري في مذهب أبى جنيفة النعمان إلى التركية !

وفي عام 1262عين مترجماً بقلم الكورنتينات ''الحجر الصحي ''بمرتب شهري قدره مائة قرش، وفي أثناء عمله كان يقرض الشعر ويقول الأزجال، وأعجب رؤساؤه بما ينظمه من الشعر وبما يبدعه من الزجل، فرقوه إلى رتبة الملازم الثاني بمرتب قدره مائتان وخمسون قرشا ''علوفة ''للحمار ....

وحدث في عام **1264**هـ أن تنازل محمد علي باشا عن الملك لابنه ابراهيم، ولم يمكثْ ابراهيم باشا طويلاً في الحكم، وخلفه عباس باشا الأول، وفي عهده أغلقت مدرسة الطب أبوابها، ثم عادت إلى العمل مرة أخرى في عهد سعيد، فعين محمد عثمان جلال مترجماً لمجلس الطب.

وفي هذه الأثناء فرغ من كتابه ''العيون البواقظ في الأمثال و المواعظ ''الذي استهله بمدح سعيد باشا، وهو قصص وحكايات يبلغ عججها مائتين، تختتم بمواعظ وأمثال على ألسنة الحيوانات أو الطيور، نظم بعضها شعراً وبعضها زجلاً.

ويقول محمد عثمان جلال في مقدمة كتابه هذا :''أعلم أن الواضع لهذه الحكايات في الأصل رجل من رجال اليونان، يقال له أيثوب ، من قرية تسمى ''أمرتوم ''وكانت ولادته بعد تأسيس مدينة روما بمائتي سنة ''.

وقد أخذ محمد عثمان جلال تنتقل بعد ذلك في أعمال الحكومة، من ديوان إلى آخر، حتى تولى اسماعيل الحكم، فجعله مترجماً لديوان الواردات بالقاهرة، ومنح رتبة البكباشي في سنة **1279**هـ، وأتيح له وقت فراغ كبير لم يكن يضيعه عبثاً فقد كان يشغله بترجمة الكتب الأدبية، والفنية أيضاً .وقد ترجم وقتها اربع قطع تمثيلية .ثم نقل إلى ديوان الحربية، فترجم بعض الكتب الخاصة بأمور الجيش وشيء العسكرية ، ثم عين بديوان الواردات بالاسكندرية ولكنه لم يمكثْ هناك طويلاً فقد نقل إلى القاهرة وعيد بديوان وزارة الداخلية، وكان رئيسها اذ ذالك هو الخديوي توفيق ، فرفع مرتبه، وجعله من المقربين اليه.

ولما تولى توفيق باشا الحكم، وقام برحلته المعروفة إلى الوجهين البحري والقبلي عام 1880م صحب معه محمد عثمان جلال.

وفي الأيام الأخيرة لعصر الخديوي توفيق عُين ''محمد عثمان جلال بك ''قاضياً بمحكمة الاسكندرية المختلطة، ولم يلبثْ بها طويلاً حتى نقل منها إلى محكمة مصر المختلطة.

وقد استفاد من اللغة الفرنسية التي كان يجيدها اذ قوت أسلوبه، وزادت معارفه وفي نفس الوقت أفاد اللغة العربية بها، فترجم كثيراً من روائع الأدب الفرنسي، وعرف كثيراً من شعر ''لافونتين ''وغيره.

وكان يتمتع بخلق قويم ، وصبر طويل، حتى أنه كان في أشد الأوقات الضيق ميالاً للفكاهة والدعابة .فعند ما تأخرت ترقيته أرسل إلى رياض باشا ناظر النظار وقتها –يقول:

الخير على الناس عم وفاض

وكل انسان استكفى

وبس أنا ياعم رياض

''وقعت من حرق القفه ''

ومن الحكايات المنظومة بالزجل والتي أوردها في كتابة المسمى ''العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ''، حكاية القط والفار التي يقول فيها:

للقط والفار حكاية يا ناس يا أهل الدراية

ولفتها من فنوني في عرضكم تسمعوني

القط راح يصطاد والصيد يعتاز صناعه

انحاش في فخ صياد جوا شرك يا جماعة

***

برهة وفار الخلا ، فات شاف الأسير في حباله

لما رآه وسط لقمات آمن من الموت وجاله

***

لما رآه وسط الشباك قاله له عفارم عفارم

يا هل ترى مين رماك يا عزنا يا بن غانم

***

قال له أنا قط غلبان اقرض بسنك حبالي

وبعدها خش الأوطان من القطط ما تبالي

***

يا فار يا أعز الأحباب يا بو نجايد طويلة

فك الشرك وافتح الباب واعمل معايا جميلة

***

قال له جميلة يا غدار ما في الجميلة منافع

احنا سمعنا مثل سار ماشي وفي الناس شايع

***

وهذه حكاية زجلية أخرى يقول فيها :

اسمع حكايات بالدور

هى عن لسان البهائم

وان فتها فاتك االشور

وتكون في الصحو نائم

***

كان الحمار جا من الغيط
واحمل من فوق رأسه
حمله ثقيل يشبه الحيط
زمه وضيع حواسه
***
شاف الفرس جي شبعان
ومن أذى الحمل خالي
قال شيل معايا ايش ما كان
قال روح مالك ومالي
***
لما تعب جحش لوطان
من نقل حمله وشيله
وقع على الأرض سقطان
بالموت وانهد حيله
***
جا صاحبه فك الأحمال
وللفرس جب كتافه
ودور الحمل في الحال
جا بالعجل فوق كتافه
***
ان كان لك خى حمال
واسية من بعض شوقك

أحسن بموت تحت لحمال

بندار يجي الحمل فوقك

عبد الله النديم

ولد عبد الله بن مصباح بن ابراهم النديم في شهر ذي الحجة سنة **1261**هـ (**1845**)، ونشأ في ضيق من العيش فقد كان أبوه رجلاً فقيراً من أهل ''الطيبة '' بمديرية الشرقية، ورحل إلى الاسكندرية عند ما ضاقت به الحال واشتغل نجاراً للسفن بدار الصناعة (الترسانة) ولم يعجبه هذا العمل فافتتح مخبزاً صغيراً يصنع فيه الخبزويبيعه.

وقد أرسله أبوه إلى الكتاب كمان كان يفعل سائر الناس من طبقته فظهر تفوقه ولمع زكاؤه .وأراد أن يستمر في التعليم ولكن فقر ابيه أعجزه عن أن يرسله إلى الأزهر، فالتحق بمسجد الشيخ ابراهيم باشا بالاسكندرية وكان هذا المسجد صورة مصغرة من الأزهر، يدرس فيه المشايخ ما يدرس في الأزهر وبنفس الطريقة.

ولكنه لم يستمر في الدراسة اذ سئمها، ومال إلى الأدب وأخذ يغشى مجالس الأدباء، فيسمع شعر الشعراء وينصت إلى أزجال الزجالين حتى تكونت في نفسه ملكة النشر والنظم.

وكان لنشأته في صميم الأحياء الشعبية أثر كبير في أن تحيط احاطةً واسعةً بلغة الشعب وأدبه من أمثال وحكايات .كما كان لفقرة المدقع وبؤسه الشديد أكبر الأثر في تكوينه الأدبي.

ولما يئس منه والده بعد أن رآه قد ترك دراسته وسار في ركب الأدباء، نفض يده منه وتركه وشأنه، فأخذ عبد الله النديم يبحث عن عمل يكتسب منه، فاتجه إلى تعلم فن الاشارات التلغرافية، فلما أجادها عمل

بمكتب التلغراف ببنها، ولم يمض عليه في هذا العمل وثت طويل حتى نقل إلى مكتب القصر العالي في عهد الخديوي اسماعيل —ومقره الآن دار السفارة البريطانية بجاردن سيتي —حيث كانت تسكن والدة الخديوي.

ولقد استفاد عبد الله النديم كثيراً من عمله في هذا القصر، فقد عرف كيف يعيش الأمراء والسادة، كما عرف من قبل كيف يعيش الفقراء والعبيد في حارات الاسكندرية وأزقتها.

وفي القاهرة وأثناء عمله في القصر العالي عاد اليه شوقه القديم للأدب ورغبته في مجالسة الأدباء، فتعرف بكثيرين منهم امثال محمود باشا سامي البارودي، وعبد الله باشا فكري، والسيد علي أبو النصر الساعاتي، والشيخ أحمد الزرقاني وغيرهم.

ولم يطل به العمل في القصر العالي، اذ ارتكب خطأ في عمله مما أغضب ''خليل أغا ''عليه، وكان كبير أغوات الوالدة أم اسماعيل، وفصله من عمله.

وكان خليل أغا هذا رجلاً طويلاً وبدئنا إلى حد الافراط، وكرشه المستدير يبرز أمامه كأنه ألصق بالصدفة في هذا الجسم الضخم، و) حبكت (النكتة على النديم فأنشد في الرجل زجلاً طريفاَ غاية في النكتة والسخرية قال:

شوف الأغا في النغنغا

زي التيران في المزرعة

لو كنت أنا صاحب الأغا

كنت اشتريله بردعة

وسمع الأغا زجل النديم فأمر بطرده من القصر، وأمر أيضاً بأن يضرب بالقباقيب حتى يغمى عليه.

واستقبل النديم عهداً جديداً من البؤس والحاجة .وراح يبحث عن عمل بقتات منه، فلما يئس رحل إلى الريف، وانتهى به الأمر إلى أن ينزل على عمدة احدى قرى الدقهلية ، فأقام عنده وأخذ يعلم أولاده، ولكنه ما لبث أن خاصم العمدة، وكان سبب الخصام أن العمدة يرى أن عبد الله يأكل ويشرب وينام فلا حق له في أجر على تعليم الأولاد ...وكان النديم يرى أن الأكل والسكن هما حق الضيف على مضيفه ، وعندما اشتد الخلاف .تشادا ثم تسابا، وغادر النديم بيت العمدة، وأخذ يصوغ القصائد والأزجال في هجائه.

ثم اتصل أمره بأحد أعيان المنصورة وكبار تجارها، وكان زجلاً ذا مروءة، فاستدعاه وأكرم مثواه، وفتح له حانوتاً ليبيع فيه المناديل وغيرها من ''الخردوات ''ولكنه حول المتجر إلى ندوة للأدب، فساءت حال تجارته حتى أفلس !

ثم أخذ يطوف بالبلاد، ويجوب القرى، وينزل عند الأعيان وهواة الأدب، فيقابل منهم بالترحاب والاكرام، وأخيراً نزل إلى طنطا في سنة 1293هـ، وصادف مولد السيد البدوي قائماً، فحدثت له حادثة طريفة لفتت النظر اليه وشهرته بين الناس !

ذلك أنه بينما كان جالساً في قهوة مع طائفة من أصحابه، اذ جاء بعض ''الأدباتية ''و أخذوا ينشدون أزجالهم أمام الجالسين، فلما وقفوا أمام مجلس عبد الله النديم قال أحدهم:

أنعم بقرشك يا جندي

والا اكسنا امال يا افندي

أحسن أنا وحياتك عندي

بقى لى شهرين طول جوعان

فأجاب عبد الله النديم على البديهة :

أما الفلوس أنا مديني

وأنت تقول لى ما مشيشي

أطلع عليا ياحشيشي

أقوم أملص لك لودان

فرد الأدباتي ورد النديم ، وظلا كذلك ما يقرب من ساعة، حتى أفحم الأدباتي .ومضى مهزوماً !

هذه الحادثة أذاعت صيته في طنطا، فآراه أحد أعيانها المحبين للأدب، واسمه شاهين باشا كنج، ثم استدعاه وجيه أخر اسمه ''التوتونجى بك ''وأسند إليه الاشراف على ضياعه، ولكنه لم يمكثْ طويلاً في هذا المنصب، اذ غادر طنطا إلى مسقط رأسه بالاسكندرية.

وفي سنة **1879**م وهو يومئذ في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، فكر مع بعض اصحابه من أعضاء جمعية ''مصر الفتاة ''في أن يحولوا هذه الجمعية من جمعية سرية إلى جمعية تعمل في العلانية، ونفذوا الفكرة ، وسماها ''الجمعية الخيرية الاسلامية ''- وهى غير الجمعية القائمة الآن بهذا الاسم - وكان من أهم أغراضها انشاء مدرسة قومية لتعليم الناشئة،

وأنشئت المدرسة فعلاً، وجعل عبد الله النديم مديراً لها، وكان ذلك في آخر أيام اسماعيل.

وقد كان عبد الله النديم كما تقول الروايات قبيح المنظر، ولكنه كان يتمتع بطلاقة اللسان وخفة الروح وسرعة البديهة، وكان مفرط الذكاء.

ويقول أحمد باشا تيمور في ترجمته لعد الله النديم :

''كان شهي الحديث، حلو الفكاهة، اذا أوجز ود المحدث أنه لم يوجز، لقيته مرة في آخر اقامته بمصر فرأيت رجلاً في ذكاء (اياس) وفصاحة سحبان، وقبح الجاحظ، أما شعرف فأقل من نثره، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا.

كان العصر المصري في تلك الأثناء في اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال، وفساد الحكام، فلما وفد المترجم، يقصد عبد الله النديم -على الثغ ، رأى لفيفا من الشبان ألقوا جمعية سموها ''بمصر الفتاة ''يتأمرون فيها سراً خوفاً من بطش الخديوي، فعرف منهم البعض، واشتغل بالكتابة صحف الأخبار، فأعجب الكتاب بمقالاته، واقتدوا به في تحسين الانشاء، ثم سعى مع جمع من الأدباء فألفوا جمعية سموها ''الجمعية الخيرية الاسلامية ''سنة **1296**هـ آخر سني اسماعيل في الحكم، وجعلوه مدير مدرستها ''.

ثم وثق عبد الله النديم الصلة بين المدرسة والقصر، وكان اسماعيل قد عزل، وتولى الحكم بعده الخديوي توفيق، فتقرب اليه النديم واستمراره المدرسة فزارها في يوم امتحان تلاميذها، وجعلها تحت رعاية ولى عهد عباس.

وقد أخذ النديم يدعو في مقالاته وخطبه إلى التعاون والاتحاد كما ألف قصة تمثيلية سماها ''الوطن وطالع التوفيق ''وأخرى سماها ''العرب ''ثم مثلها مع تلاميذه بأحد ملاعب الاسكندرية بحضور الخديوي، مما جعل الناس يتحدثون عن النديم ويلهجون بذكر .ثم ظهر فساد في الجمعية نسبوه اليه ففصل من المدرسة ومن الجمعية، وأنشأ صحيفة ''التنكيت والتبكيت ''التى مزج فيها الهل بالجد، وقد ظهر العدد الأول منها في **8** رجب سنة **1298**(**6**يونية سنة **1881**)

وقد ظهر في أثناء ذلك وميض الثورة العرابية التي انضم النديم اليها، وراح يخطب وينظم القصائد الحماسية في تمجيدها، واتخذ جريدة ''الطائف ''لسان حال لها، وأخذ يحمل فيها حملة عنيفة على تصرفات الخديوي في جرأة بالغة، ويصور حياة البؤس التي يحياها الفلاحون وهو يطوف داعياً للثورة العرابية في كل محفل ، حتى في حفلات الأفراح فكان اذا سئل المغني محمد عثمان :

أين تغني الليلة ؟

قال :في الفرح الفلاني مع عبد الله نديم !

ولما قامت الحرب بين الانكليز والمصريين سافر النديم مع جماعة من رؤساء الجند إلى الاسكندرية، وبات بها ليلة، ثم لحق بعرابي، وعندما هزم في كفر الدوار انتقل معه إلى التل الكبير، وكان يصدر ''الطائف ''وهو بالمعسكر ويضمنها أخبار انتصارات وهمية ليرفع من الروح المعنوية للجنود، وعندما فر عرابى إلى القاهرة فر معه عبد الله النديم، وكان ذلك في يوم الأربعاء **29**شوال سنة **1296**هـ ، ثم اتفق مع العرابيين على أن يسافر

إلى الاسكندرية بكتاب إلى الخديوي يلتمسون فيه العفو، ولما وصل إلى كفر الدوار، بلغه نبأ القبض على زعماء الثورة، ودخول الانكليز القاهرة فعاد اليها ليلاً وبقى في داره بجهة العشماويإلى الصباح وخرج مع والده وخادمه .فركبوا عربة وقصدوا إلى بولاق، وهناك ودعه أبوه ، واختفى هو وخادمه وبقى مختفياً عدة سنين !

وجدت الحكومة في البحث عنه حتى أنها أعلنت عن مكافأة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عنه، وتوعدت بالعفوية القصوى من يخفيه .ولكنه ظل عشرة أعوام وهو يتخفى بحيل شتى...

وقد كان في رحلته براً بخادمه ''حسين ''الذي غير اسمه فسماه ''صالح ''وزوجه، وعلمه القراءة والكتابة، وحفظه جملة سور من القرآن، وعلمه مبادئ الفقه والتوحيد واتخذه صاحباً.

ولما أعيى الحكومة أمره، أصدرت عليه حكماً غيابياً بالنفى المؤبد من القطر المصري، وراح ينتقل من قرية إلى أخرى، وكان أشد ما يؤلم نفسه مشاكسة زوجته له، فقد كانت شديدة الوطأة عليه حتى أنها كانت تضربه على فمه إلى أن تدمي أسنانه ...وبهذا اجتمع عليه التشريد والفقر و الخوف والحرمان من الشريك الطبيب العشرة وأخيراً نزل ببلدة ''الجميزة ''مركز السنطة فعرفه عمدتها وكتم أمره .وهناك أبصر به رجل اسمه ''حسن الفرارجي '' –وكان جندياً ثم استخدم جاسوساً سرياً –وشك في أمره فأسرع إلى ديوان الداخلية حيث أخبر رجال الحكومة بارتيابه في هذا الرجل، وهناك أطلعوه على صورة النديم فعرفه، وأكد أنه هو فأمروا بالقبض عليه !

فقبض عليه في شهر صفر سنة 1309هـ .ولو أنهم عثروا على كتبه وأوراقه لأصابه شر كبير لأنها كانت تحوي كثيراً من الهجاء في الخديوي وأسرته .

ثم أرسل إلى طنطا للتحقيق معه فكان من حسن حظه أن وكيل النيابة اذ ذاك هو قاسم بك أمين .فأحسن معاملته وأمر بأن ينظف مكانه في السجن، ويضاء كما يريد، وأن يمكن من شرب القهوة والدخان ، وأمده بمال من عنده.

والعجيب أن الواشي لم ينل شيئاً من المكافأة لقوات الأجل الذي كان مضروباً للابلاغ عن الهارب .

وبعد أن قضى النديم في السجن فترة، أمر الخديوي توفيق بالعفو عنه وابعاده عن مصر إلى أي جهة شاء، وقد اختار (يافا)، ونزل بها في غروب يوم الجمعه 12ربيع الأول 1309صيفاً على السيد ''على أبي المواهب ''وهو مطرب مشهور فيها ، ومكث عنده شهراً، ثم اتخذ له داراً جعلها منتدى للأدباء والعلماء، وقد أكرمه أهلها وأعيانها وواسوه، ثم تنقل بين كثيراً من مدن فلسطين، واجتمع بطائفة السامرائيين واطلع على كتبهم ومعتقداتهم، ظل مقيماً حتى مات الخديوي وتولى الحكم عباس، فعفى عنه وسمح له بالعودة إلى مصر سنة 1892فعاد واستوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة ''الأستاذ ''وبدأ بها جهاده من جديد .فأصدر أول عدد منها في شهر صفر سنة 1310هـ (23 أغسطس 1892) وكان ينشر فيها إلى جانب مقالاته القوية أزجالاً وطنية .

وقد فوجئ بعد رجوعه بموجة عارمة من الانحلال الخلقي في البلاد، فأخذ يحارب هذا الفساد، ثم علا صوته في الميدان السياسي مناصراً الحركة الوطنية ومناهضاً للاحتلال، حتى أزعج الانجليز فأغلقوا مجلته في شهر ذي القعدة من نفس العام الذى صدرت فيه.

وطلب اللورد كرومر من عباس نفيه فنفاه .فعاد إلى ''يافا ''حيث كان قبل العفو عنه ، ورتبت له الحكومة المصرية خمسة وعشرين جنيهاً شهرياً يعيش بها على شرط ألا يكتب شيئاً في الصحف بتصل بسياسة مصر .وبعد أن قضى أربعة أشهر في ''يافا ''وشى به بعض الوشاة وقالوا انهطعن في سياسة الدولة العلية .ويلمز السلطان، فصدر الأمر بابعاده عن فلسطين، فخرج الرجل منها يدرع الأرض ولا يعرف أين يستقر ، ونزل الاسكندرية أياماً، ثم سافر إلى الأستانة وعين مفتشاً للمطبوعات بالباب العالي، وكان قد سمى له العازي أحمد مختار باشا حتى قبله السلطان ''عبد الحميد ''واستخدمه في ديوان المعارف ورتب له خمسة وأربعين ديناراً مجيداً في الشهر وكان المقصود بهذه الوظيفة اسكاته حتى لا يطعن في سياسة السلطان.

وأمضى بقية أيامه بالاستانة بعيد عن وطنه وأهله .وكان طول التشريد وعدم الاستقرار قد أنهكه، فأصيب بالسل، واشتد عليه المرض : وعلمت أمه وأخوه بشدة مرضه فسافرا اليه ولكنهما لم يدركاه الا ميتاً، وكانت وفاته في العاشر من أكتوبر سنة **1896**(**4**شهر جمادي الأولى سنة **1313**) وهو في نحو الرابعة والخمسين من عمره، واحتفل بجنازته احتفالاً كبيراً ومشى فيها جمال الدين الأفغاني.

والمعروف عن النديم أنه كان ضعيف الجسم كثير العلل، وربما كان هذا هو أهم سبب في موت أولاده في طفولتهم ، فقد رزق قبل أن يحتفى بمحمد، وعثمان، والياس، وفاطمة وعائشة، وسكينة، وخديجة، كما رزق الاستحفاء بحفصة ورقيا .ولكن لم يعشْ أحد منهم.

والمعروف أيضاً أنه كان على الرغم من ضعفه ومرضه دائب العمل، دائم الحركة، وربما أراد بذلك جلد اسمه بالعمل بعد أن حرم من تخليده بالولد .

ودفن النديم بمقبرة يحيى أفندى في بشكطاش بتركيا.

وقد ضاعت دواوينه ومؤلفاته لعدم استقراره وكثرة ترحاله، ولم يظهرْ منها الا جزء من ''كان ويكون ''كان يطبعه كملحق لمجلة ''الأستاذ ''وقد ألفه في المخبأ ، وكان يريد من تدوينه عرض خلاصة أفكاره، ووضعه على نمط فصص وكتاب آخر اسمه ''المسامير ''وهو في هجاء ''أبى الهدى الصيادي ''في الأستانة وقد كان عبد الله النديم في جميع أضرار حياته يقول الزجل فيبدع فيه، وهذا أحد هذه الأزجال الاجتماعية التي قالها :

اسمع حكاية تهدي الشوق   لأبن الذوق

تعجب الأنسى والجان

رأيت جدع في ايده مكبه   زي القبه

فقلت أهلا بالمنصان

مديت إيديا اكشفها   لجل أعرفها

قال لى ارتجع ياشيخ رسلان

فقلت أنا بدى اتفرج   حد محرج

قال لي تعالى في البستان

طاوعت ثورته ومشينا   على رجلينا

حتى رأينا غصن البان

دخل يهرول قدامى   ع الأقدام

وأنا وراه أجرى وتعبان

رأيت جماعة في قاعة   تلك الساعة

جملة شيوخ ويا شبان

والكأس على اخوانا دابر   والواد حاير

يسقى و بيفرق دخان

قلت السلام يا أهل الحانة   من شيخ بانه

قالوا السلام يا شيخ الجان

قرب تعال وخد لك كاس   كده زي الناس

فقلت أنا عطشان وجعان

نادوا وقالوا للخادم   قوم يا راسم

وهات لنا لحمة خرفان

قام الولد زي العفريت   و يا سي بخيت

وجاب طعام أشكال والوان

فقلت أنا يا ناس صايم   الله دايم

انتم تركتم للأديان

قالوا صيام ايه يا سدنا   ايدك بايدنا

دا اليوم تسعتاشر شعبان

فقلت شعبان يا حسرة فاتت عشرة

وستة من ايام رمضان

قالوا غلطنا في حسابنا بين احبابنا

نفطر ونقضي طول الزمان

قلت اختشوا وارموا الكاسات يكفى حسرات

ايه دا الهلاك ايه دا الخسران

ضحكت أوروبا على عقولكم لجل تطولكم

بالخمر والقول و النسوان

وراح صلاحكم و يقينكم بل راح دينكم

لما استحليتوا البهتان

توبا عن الخمرة يا ناس ورموا الكاس

وارجوا من الله الاحسان

فقام جدع منهم شاطر كان مش فاطر

كسر الأناني في الأركان

وقال لهم احنا كفرنا والا نفرنا

من ربنا وحكم القرآن

تلقى العمد عند الامساك شربوا الكونباك

فانظر صيام من بات سكران

باعوا القـداديـن للاروام بيع الأوهام

وأصبح الوطني غلبان

اسأل بقى (جورجي وبني) مش تسألني

تلقى الفلوس راحت اليونان

لما تهتكنا هنا في الحان قامت النسوان

طلعت تدُور حول الغلمان

يا دي الفضيحة و الجرسة عيشة نجسة

صبح بها العاقل حيران

كان في الرجال يا ناس عيره تحلى السيرة

فين ضيعوها بالهذيان

الخبص ان كان يملككم راح يهلككم

ويصير العايم وحلان

نصحت اهلى وأحبابى مع أصحابى

والنصح قالوا م الايمان

إسماعيل صبرى

ولد اسماعيل صبرى في 16فبراير 1854على رواية كتاب ''تراجم مصرية وعربية ''للدكتور محمد حسين هيكل ص 168وولد في سنة 1861على رواية كتاب ''مشاهير شعراء العصر ''لأحمد عبيد ...

والأرجح أن رواية الدكتور حسنين هيكل هى الأوضح .اذ الثابت أن اسماعيل صبري سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق في 17مايو سنة 1872. وليس من المعقول أن يسافر لهذا العرض وهو علام في الثانية عشرة من عمره على رواية أحمد عبيد .ومن الثابت أيضاً أنه حصل على ليسانس الحقوق من كلية اكس بفرنسا في 13ابريل سنة 1878، ولو أنه ولد في سنة 1861لكان معنى هذا أنه نال ليسانس الحقوق وعمره 17سنة . فالأصح أنه نالها وعمره 24سنة وأن سنة . 1854

وقد بدأ اسماعيل صبري ينظم الشعر طالب في المرحلة الثانوية ، فقد نشرت له ''روضة المدارس'' -وهوفي السادسة من عمره -مقطوعات شعرية رقيقة، ومضى خلالها بريق نبوغه المبكر.

وكان -كسائر المرفهين من أبناء عصر يستمع إلى مشاهير المطربين فلم يعجبه ما يتغنون به من نظم مفكك ومعان ضعيفة احدى الليالي ، كان يستمع إلى محمد عثمان فعرض عليه بعض جلسائه أن ينظم له الأغاني، التي تتناسب مع قدرته الفنية، فان اسماعيل صبري أن ينظم الأغنية فوراً، وان يتغنى بها محمد عثمان في نفس الليلة ، محمدعثمان الشرط مغتبطاً،

فاختلى الشاعر بنفسه فترة خرج بعدها بهذه الأغنية الشعبية، فكانت أول منظومة باللغة العامية ينظمها الشاعر الكبير قال :

قدك أمير الأعصان   من غير مكابر
وورد خدك سلطان   على الأزاهر
والحب كله أشجان   يا قلبي حاذر
والصد ويا الهجران   جزا المخاطر

***

ياقلب أدى انت حبيت   ورجعت تندم
صبحت نشكى مالقيت   لك حد يرحم
صدقت قولي و رأيت   ذل المتيم
ياما نصحتك و نهت   لوكنت تفهم !

***

أعرض لحسنك أوراق   واكتب وادون
آبات صريع الأشواق   واحسب واخمن
صجر وصبابه وفراق   يا رب هون
وارحم قلوب العشاق   دا شيء يجنن !

***

وله مقطوعة أخرى قيل انه نظمها وهو طالب ، يقول فيها :

خلى صدودك و هجرك
واطفى لهيبي ووجدي
ساعة وصالك وقربك
أغلى من العمر عندي

***

بصدى انتم رضيتم

و هان عليكم بعادي

وانتم قطعتم ودادى

الله بصيـر فؤادي

وكان اسماعيل صبرى مولعاً بالمواويل .يحب سماعها ويحب نظمها ، ومن مواويله الرقيقة التي راعى فيها الجناس التام قوله :

في ظل أهداب عيونك و رد خدك قال

وحسن يوسف ميراث عنه لوجهك آل

والشمس ويا القمر من حسنهم لك آل

لو قلت للصب قول :كل الملاح جندي

ولي الجمال أجمعه من غيرك مشارك قال

***

وقد توفى اسماعيل صبرى في **21**مارس سنة **.1923**وكان قد حصل على لقب (باشا) لما تقلده من رفيع المناصب، بالغاً من العمر **69**عاماً وشهراً واحداً يومين.

وقد أقيم له مهرجان تأبين بمدرسة ''دار العلوم بالمنيرة ''اشترك فيه جميع شعراء مصر في ذلك الحين ، ورثوه بقصائد ذكرت الأمة العربية بسوق ''عكاظ ''.

محمد حفني ناصف

هو محمد حفني بن الشيخ محمد اسماعيل بن خليل بن ناصف.

اختلف في تاريخ مولده، كما اختلف في مسقط رأسه :

ففي بعض المراجع أنه ولد سنة **1372**هـ (**1855** م)

وفي البعض الآخر أنه ولد سنة **1277**هـ (**1860**م)

أما مسقط رأسه فقيل انه ولد في قرية بركة الحج من أعمال القليوبية ، وعير أن له بحثاً يقول فيه انه علم أنه سمى ''حفنى ''سبة إلى قرية اسمها ''حفن ''، وأنه أراد أن يحقق مكان مولده فبحث عن هذه القرية، ثم يورد ما أسفر عنه بحثه من وجود أكثر من قرية بهذا الاسم، بعضها ينطق بضم الحاء، وبعضها ينطق بفتح الحاء والفاء .

وقد نشأ محمد حفنى ناصف فقيراً يتيماً، فتولى تربيته خاله واحتضنته جدته لأبيه ، فلما صار صبياً أدخل الكتاب .فتعلم فيه القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وجوده .ثم أعاد حفظه وهو في الثالثة عشرة ، وكان فقيه الكتاب رجلاً قاسياً ، حاد الطبع، فكان يضرب محمد حفني ضرباً مبرحاً، مما أرغم الفتى على الهرب من بلدته إلى القاهرة ، فلما وصل إلى العاصمة، كان همه أن يبني مستقبله، فالتحق بالأزهر الشريف وظل يتلقى العلم فيه تسع سنوات كان فيها مثالاً للجد والمثابرة، وفي هذه الفترة عرف جمال الدين الأفغاني وأخذ عنه، ثم أتيح له أن يحج إلى بيت الله الحرام وهو طالب.

وعندما قامت القور العرابية، ساهم فيها بحماسه واخلاص .فكان بعد الخطب المنبرية المثيرة ويوزعها على خطباء المساجد، الذين يلقونها على أسماع المصلين، فتشعل جدوة حماسهم .

ولما أنشئت مدرسة دار العلوم التحق بها، وتخرج فيها بتفوق ملحوظ، ثم عين مدرساً للغة العربية، واختير ناظراً لمدرسة العمى والبكم، ونقل بعد ذلك مدرساً للمنطق بمدرسة الحقوق، وأثناء ذلك أحب القانون فدرسه، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية، ورقي وكيلاً لمحكمة طنطا، وأنشئت الجامعة المصرية القديمة في ذالك الوقت فاختير لتدريس الأداب العربية فيها إلى جانب وظيفته، ثم عين رئيساً لتفتيش اللغة العربية بوزارة المعارف، وظل في هذا المنصب إلى أن أحيل إلى المعاش.

وأثناء خدمته للحكومة اختير لتمثيل مصر في كثير من المؤتمرات، كمؤتمر العلوم الشرفية الذي عقد في مدينة فينا، وفي هذا المؤتمر قد كتاب ''مميزات لغة العرب ''، وحضر مؤتمراً في أثينا وقدم فيه رسالتين عن ''السيدة هاجر ''أم سيدنا اسماعيل ، و ''مارية القبطية ''زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكان حفني ناصف لا يكف عن نظم الشعر والزجل .ولا ينقطع عن مداعبة زملائه ، واصدقائه بفكاهته المنظومة والمنثورة، كما اشتغل بالصحافة ، فحرر في الوقائع المصرية، وكتب في الاهرام بتوقيع مستعار هو ''محمد بن ادريس ''كما كتب في المؤيد وغيره من الصحف.

وكان نثره رقيقاً متيناً ، يكثر فيه من السجع حتى ليكاد يكون شعراً ...وأصدق وصف لنثره وللمقارنة بينه وبين شعره، ما وصفه به الأستاذ

عباس محمود العقاد اذ يقول :''فاذا رجعنا إلى قصائد حفني ناصف جميعها لم تجدْ بيتاً واحداً بدل على سليقة مقطورة على استيعاب المحسوسات، أو نكتة تخرج عن مفارقات الألفاظ واللعب بالأوضاع والأشكال ...وأدنى من ذلك إلى التفرقة بين النثر والنظم أن تراجع قصائده ورسائله فاذا هما في الجوهر متشابهان لا فرق بينهما في جميع المزايا والألوان، فلا تخسر القصيدة ذرة من جوهرها اذا أصبحت رسالة ، ولا تتغير الرسالة ذرة في جوهرها اذا أصبحت قصيدة .لأن العنصر الغالب على النوعين هو المعاني التي يستوي فيها المنظوم والمنثور، ولا نستلزم الشعر دون غيره من أدوات التعبير ''.

خذ مثلا قوله في الشكر على هدية عنب.

''وصل يا مولاى إلى هذا الطرف، قفص من عنب كالؤلؤ في الصدف، تتألق عناقيده كأنها من صناعة ''النجف ''، ولعمر الحق أنها الحقته من أحلى التحف، لا يعثر على مثلها الا بطريق الصدف فقابلناه لثما بالافواه، ورشفا بالشفاه، واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء، ولم نفرط في حبه عند اللقاء، بل حللنا له الحبى، وقلنا له أهلاً وسهلاً ومرحبا، وأوسعناه عصا ولتما، وتناولناه لجميتما وصما، وحفظنا في صدورنا سره المكنون، وطويناه في غصون البطون، فطربت من تعاطيه الارواح، ولا غزو فهو أصل الراح، وانتشينا ولم نحملْ وزرا، وتملنا ولم نذق طعماً مراً، فهو كبيان مهدية

سحر ولكنه حلال ولعب الا أنه كمال ''.

أما شعر حفني ناصف فكان غاية في السهولة والرقة حتى ليكاد ينافس الزجل في بساطته ومن أمثلة رقة شعره ما قاله للوزير الذي رقاه ونقله إلى قنا، فقد ارسل له من هذا البلد الشديد الحرارة قصيدة يقول فيها متهكماً في صوره جاد .

رقيتني حسا ومعنى
فلصنعك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسد
بن بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي
من أسقف الهرمين أسنى
قالوا نقلت إلى قنا
يا مرحبا بقنا واسنا
قالوا رمت طبخا او علا
الخبز الق الجو فرنا
يكفي لترويج الأواة
أن يقال قنا فتقى

والقصيدة طويلة ، نكتفي بها بهذه الأبيات التي تصور ما طبع عليه حفني ناصف من حب الدعابة الرفيعة، وخفة الروح مع الاحتفاظ بالوقار الواجب لمن كان في مثل علمه وفضله مركزه .

وأزجال حفني ناصف طراز رفيع من الزجل، فيها اللفظ العامي الرقيق، والنسج السلس الخفيف، والمعنى الرائق، والنكتة المستملحة، ومن

نماذج أزجاله زجل لطيف قاله في مناسبة غريبة نذكرها هنا أولا لطرافتها، وثانيا لأنها تضم نموذجاً لأزجال علم ذخر من أعلام الزجالين هو ''محمد صدقي باشا ''.

حدث أن كان حفني ناصف قاضياً لمحكمة طهطا وخطر له أن يزور شكري باشا الذي كان يومئذ رئيساً لمحكمة طنطا الكلية، فسافر إلى هناك، واعد له شكري باشا وليمة دعا اليها محمد صدقي باشا الذي كان يومئذ رئيساً لمحكمة طنطا الجزئية كما دعا علي بك جلال الذي كان قاضياً لمحكمة السلطة، وبعد أن أعد الطعام دعى الضيوف إلى غرفة المائة فخلع حفني ناصف سترته، وتركها في غرفة الاستقبال مع علبة سغوطه، وكانت من الفضة الخالصة ومنقوش عليها اسمه، كما ترك الضيوف الآخرون بعض أمتعتهم، كالطرابيش والعصى، وأثناء تناول الطعام دخل الغرفة خادم ، كان جديداً في خدمة الداعي، فانتهز هذه الفرصة وسرق كل ما تركه الضيوف في الغرفة، وعندما ذهب لبيع علبة الضغوط لأحد الصياع لاحظ الرجل الاسم وقبض على الخادم وسلمه للشرطة، وأعيدت المسروقات إلى أصحابها، وأراد صدقي باشا أن يداعب صديقه حفني ناصف فأرسل له زجلاً طويلاً تقتطف منه هذه الأبيات، قال :

***

الشوق إلى نظم الأزجال

غلب على أمر القاضي

والقصد أشرح واقعة حال

ما دمت فاضي اعمل قاضي

***

قالوا عمل مركوني جميل

قلنا يفوقه في الادراك

أبو جلال من ألفين ميل

شم الطبيخ من غير أسلاك

***

سقط على صاحب احسان

رئيس قضا قسم الدلتا

ضافه وضاف قاضي خزان

يرسم وينظم بالحته

***

في المندره قلع الفستون

طربوشه وعصايه وعلبه

صعد إلى السفره ممنون

من صاحب البيت والصحبه

***

انشب ضوافره في البوفتيك

كأنه تضميني العالي

نقاد على كفه كام شيك

يفرز ويجتاز العالي

***

دخل حرامي البيت مرتاب

يرجف وقلبه تقول ساعة

لما رآه من غير حجاب
النفس دايما طماعه
***
جنى الشقي من غير ابطاء
على الثلاثة في طنطا
سرق محاكم حرف الطاء
طنطا و طهطا والسنطه
***
صاروا الثلاثة في حيص بيص
حتى بكى الشاعر رقه
قام الملاحظ بالتمحيص
ضبط غريمهم والسرقه
***
قال الشقي الفستون منقوش
ميكروب وقصدى تطهيره
المسروقات جات له بلوش
ان كان دفع يدفع عيره
***
تركت طربوشه الجربان
وأخذت أحسن بالتحقيق
لانه لا ينفع انسان
وللا لابراهيم توفيق

***

شمسية القاضي الرسـيم

أخذتهـا عنـدي تذكار

برأيي في سرقة برسيـم

من مربع الباشا الفشار

***

ما في السلب الا طربوش

رئيس فضا طنطا الأزهر

والباقي كله نحس وبوش

حرقه لأصحابه أستر

***

حفني وآدى اربع مرات

مالك ذهب و رجع تاني

كأنه في كل الكسرات

سناره تصطاد الجاني

***

سرح هدومك مع مظلوم

تهدي النبابة المحتاسه

يكشف بها نصب الفيوم

ويصيد لصوص المكّاسه

***

أما الخلاصه اني الآن

أصبحت في ديل الشعرا

زجال جلالة حفني خان

سلطان سلاطين الفقرا

وقد رد عليه حفني ناصف بزجل فكه طويل، نكتفى منه بهذه المختارات .قال :

منّي لسيد الزجاله

ألفين سلام فوقهم بوسه

مالوش شبه في الزجاله

يخلق من الهبيك دوسه

***

زجال جلالتنا المحبوب

حامل لواء جند الشعرا

حايز نشان رعرع أيوب

ومعاه لقب جاب اليسرا

***

في كل يوم يبعت مكتوب

نكات عاملها بالعاني

يعجب على المال المسلوب

ازاى ما يرجع من تاني

***

يا عم أنا مالي مسوجر

مال الصبا ماليش غيره

ما فيهش خمسه من البوكر

ولا جديد من الزيرو

***

قاريء عليه العديه

ومحصنـه بالطشـوشي

تروح وتيجى النقديه

واللطـخ يطلـع بللوشي

***

يتعب ويشقى ويشحطط

ويظن أنه صاد صيـده

ويفوق يلاقيـه اتربـط

ولا ينـوبه الا الكيـده

***

بتشتري في القول ونبيع

يا ما انت شاطر في التأليس

وانت يوم قاضي توزيع

واربع شهور مأمور تفليس

***

مكتوب على جيبك يافطه

فيها (النضافة من الايمان)

وان جاك حرامي في طنطا

يطلع من السرقه خسران

***

على عزومتين في الفسحة

تعمل زجل يطلع وشين

والبطن اتابي لها حرقه

تقعد من العاقل شهرين

***

فتة ملوخيه بفروج

تاكل صوابعك وياها

والشرب م الماء المثلوج

أكلة حلال ما أحلاها

***

وأكلة الريس دي تفوق

على الجميع عقبال عندك

وان كنت عاوز مره تدوق

قدم طلب ان كان بدك

***

ياما عزومات رديتها

وقبلت بس الاتنين دول

قروض عليّا اديتها

اكمنها م الحول للحول

***

ما فيش نفر واحد يطلع

يقول أكل عندك مرة
كانون سعادتكم زرّع
والتلج فوقه للمره
***
اياك يجيلك يا صدقي
في الترقية الجايه قرشين
ويسَكنوك في باب شرقي
ان لم يكن بين الهندين
***
اعذر صديقك في التأخير
لان حاله كان واقف
وبا وسحره وشغل كتير
الله يساعدك يا ناصف
***

الشيخ لهلبها

ولد الشيخ عبد الله لهلبها في مدينة اسنا، احدى مدن الصعيد الأعلى، وهاجر إلى عدة بلاد، حتى استقر به المقام في مدينة المنيا، وهناك تزوج وانجب، وكان رجلاً صالحا .

فوجد كثيرين من الناس يقبلون عليه، ويعتقدون أنه رجل ''مبروك ''فكانوا ينزلونه عندهم أياماً وشهوراً، ويكرمون وفادته.

وكان الشيخ النجار من المعجبين بما يقوله الشيخ لهلبها من المواويل، فكان يراسله ، كما كان الشيخ لهلبها يكتب للنجار بعض المواويل، من الفن الذي يسميه أهل الصعيد ''الواو ''.

ومن المواويل التي نظمها قوله :

آن الأوان يا حبيب قلبي وعدا فات
عامين وشهرين على الفرشه ، وعدا فات
طبيب لجراح مضيعني ، وعدا فات
ياريت طبيبي ماجا عندى ولا راش لي
حكم دواه نار تكوي الجرح وأذى له
من سوء بختي عاودني ، ومن دواه راش لي
وفز منطور ولفح الخرج وعزاله
ولا حد جاني من أحبابي ولا راشلي
أنا قلت يا ناس ما بيش جراح عايزاله
هو الذى كان سبب سقمي وعدا فات

وله أيضاً هذا الموال وفيه جناس جميل :-

سير يا نسيم يمة أحبابي وسليهم

وقل لهم خلهم ف الحب يال ليهم

في القرب والبعد أنا برضه أسليهم

راح النسيم للحبايب بالعجل جاني

أنا ف غرامهم شهد لي الأنس والجاني

ع البعد والقرب اهواهم واسليهم

حسن الألاتي

هو حسن بن على الآلاتي، ولد من ام تركية كانت من جواري قصور آل عثمان، وأب مصري ...لعله كان من المشتغلين بالموسيقى .

فقد كان يطلق على المشتغلين بهذا الفن ''الآلاتيه ''، ولعل هذا يفسر لنا أيضاً تعلق الشيخ حسن بالغناء، وممارسته له في كبره .واهتمامه بنظم الأغاني وغنائها بنفسه.

وكان مولده بدرب الأكراد بحي المنشية بقرب القلعة بالقاهرة، فلما شب التحلق بكتاب قريب من بيته، ثم انتقل إلى الأزهر، فظهر نبوغه، وحدق كثيراً من علومه ، وحظى بمكانة رفيعة أهلته لأن يكون صديقاً لكثيرين من أعلام الأدب في ذاك الوقت، فكانوا يقصدون مجلسه، ليستمعوا إلى منظوماته من الشعر والزجل، ولكنهم كانوا يستملحون أزجاله، ويستظرفون فكاهاته ودعاباته، حتى أطلق على مجلسه ''المضحكخانة العلية ''.

ودفعه حبه للتنكيت إلى وضع كتاب سماه ''نزهة النفوس ومضحك العبوس ''فوجد اقبالاً كبيراً ...وقد قيل أنه فقد بصره في صغره، وقيل انه أصيب بفقد البصر على كبر .

ولحسن الآلاتى زجل طويل، يصف فيه حفلة زفاف ابنته، نقتطف منه ما يعطينا صور لأفراح ذاك العصر ...ومن أسماء الذين حضروا العرس، نستطيع أن نحكم على مكانة الرجل بين أهل الفن والأدب .فهو يذكر أن محمد سالم العجوز، ومحمد عثمان، والشيخ يوسف المنيلاوي،

وعبده الحامولي، ومحمد العقاد -وهم أئمة فن الغناء والموسيقى في ذاك العهد –قد جاملوه، وغنوا في حفلات زفاف ابنته، التى استمرت عدة ليال على عادة البارزين من أهل عصره .

قال الآلاتى ، وهو من أفكه ما قيل في الزجل ---:

في سنة **50**و ألف وتلتميه
في بيع الاني كان عقد البنية
والولد قاصر وأمه له وليه
أما أبوه نفسه ما يطفيش الفتيله
راحت السكرة وجاتني ألف فكره
صرت أحسب في الجهاز كره بكره
قالت اخواتي الكرام أهل المبره
كل ما تطلب يجيك ولك الجميلة
صار جهاز البنت يدخل بالمحارم
شيء كتير عم الأجانب والمحارم
من أكارم دأبهم فعل المكارم
لكن ''الشمسي ''بدأنا بالفضيلة
وانتهى لى كل خير من بذل ''فكري ''
واشتهر بين الخلايق فضل ''صبري ''
جات مهمات الفرح والعرس تجري
مثل ما تجرى ورا الناقه الفصيله
قلت للطباخ تعالي اكتب لي قايمه

لجل تبقى شهرتي في مصر قايمه
جه حلف ما ياخد الا الأجره صايمه
كان جده صادق أمين ، ايده طويله
قال لي :اكتب مركبين ملح انجليزي
واربعين فدان فسيخ مدموغ باريزي
ألف قنطار توم وربع فريك عزيزي
غير حصانين فجل وأردبين بليله
ألف قنطار زيت قزازه للقطايف
لتر ميه فول مدمس للخشايف
مش قنطار للبلوظه والنواشف
عدس فدادين وقطعة جنزبيله
اسم طباخنا أبو زيد المهذب
مسكنه في قلعة الكبش المربرب
من أمانته كام نهب حاجتي وأوهب
بالسجاره أقتين لحمه بهله
ليلة السبت ابتدت بالفرح عندي
بعد عشرين عصر من شوال أفندي
من عشاها والأمم تقطر وتندى
مثل كثبان رمل من وادي ، مهيله
جه محمد سالم الشهم المرجي
مد بسط الأنس للعالم وأشجي

أسأل الله يرزقه عجا وثجا

في الحجاز ويزرو هناك صاحب الوسيله

ليلة الاثنين بذل جهده وأظهر

من فنونه شيء ترك له ذكر يذكر

لم يزل يروينا حتى الصبح أسفر

قلت مزنا أخصبت بقعه محيله

مصطفى الصواف أتى في البيت واعلم

عن محمد نجل عثمان المعظم

قال يجى ليلة التلات والحظ نغنم

واجتهد لي صاحب النسبه الأصلية

جا الأمير ليلة التلات وأنجز وعوده

واشتهر بين الأمم طالع سعوده

كم دهش ألباب لطيف صوته وهوده

كم شفى منا قلوب كانت عليله

صرت في يوم التلات في خوف وحيره

كل ده خايف من الليله الكبيره

قلت لما ما التقيت عندي ذخيره

أترك التدبيرنجى الأشياء جميله

ليلة الأربع بقيت أهري وأنكت

ما لقيت لي مخلص اتكلم ولا أسكت

والأمم أفواج نجى تقعد وتثبت

والمحلات عارصه بالناس الجليله

ما دريت الا وعبده جه وسلم

ع اللى من صلى عليه الله وسلم

كم شقى منا قلوب لما تكلم

والاله ف الخلق له أسرار جليلة

يوسف الحسن انفرد وشقى فؤادي

بالمعاني حتى صار مالك قيادي

قلت ياذا المجد يا نور كل وادي

يا رفيع القدر عاداتك جميله

قلت يا عقاد ويا بدر الدياجي

انت في الدنيا مؤمل كل راجي

يا الهى تجعله في الحشر ناجي

كم رفع عنا كروب كانت وبيله

يا الهى جود على بالأماني

واعف عن ذنبي وبلغني الأمانى

جود على حسن الآلاتي بالتهاني

وارزقه حسن الختام والناس وجيله

الشيخ عاشور

هو الشيخ أحمد عاشور سليمان، ولد بالقاهرة وتعلم بالأزهر الشريف، ثم اتجه إلى الأدب والفكاهه .فرأى في الصحافة ما يرضى ميوله .

فاشترك في تحرير بعض الصحف الأسبوعية كجريدة ''الأرنب ''و ''بابا غلو '' -أي البغبغان -وأخيراًاتجه إلى نظم الأغاني، فكان والشيخ درويش بطلى هذا الميدان، وقد تغنى بأغانيه بعض مشاهير المطربين في عصره، ومن أشهر أغانيه قوله :

يا قمر دارى العيون

أصل جرح القلب لحظك

واللى زاد عندي الشجون

يا حبيبي ورد خـدك

في هواك الروح تهون

نور عيوني قلبي حبك

العذاب في الحب هن

بس لو يرضى الحبيب !

أما هجره شيء يجنن

شيء يزيد النار لهيب

ان شكيت نار المحبة

وقت هجران الحبيب

الوفا من بعد بعده

هو ده أحسن طبيب

وله أغنية أخرى يقول فيها:

انظر لحسن الحبيب

واعشق كماله

ده كل كامل أصيل نادر مثاله

قبل ما نصاحب ونعشق

شوف خصال الحب أوفق

وان عجب والرب وفق

نلت شيء ما حد ناله

الأدب للحلو زينه

من كده احنا هوينا

لا ملام والله علينا

حبنا نحند خصاله

والزمان أنصف وساعد

لا حسود يقدر يعاند

الحبيب طبعه مهاود

يا جماله.. يا جماله!

الشيخ النجار

من أشهر زجالي أواخر القرن التاسع عشر، وكان عالمًا جليلا، اشتغل بالتدريس في الأزهر، و أحب النثر والشعر والزجل، ولكنه اشتهر بإجادة الزجل حتى صار أمام الزجالين في عصره،

ولم ينل زجل معاصريه مانال من شهره الا بعد وفاة الشيخ النجار، فقد كان رائدا لنهضة زجلية ومضت في أواخر القرن التاسع عشر، حين اشتغل بنظم الزجل بعض رجال الأزهر من ذوي المكانة فرفع هذا من شأن فن الزجل، و لفت إليه الأنظار، وجعله رفيع المكانة عند أبناء الشعب، فظهرت إلى جانب الزجالين الأزهريين، طائفة من الزجالين غير الأزهريين.

وقد خلق ظهور هذا العدد الضخم من الزجاليين في وقت واحد، منافسة أدبية كريمة، برز من بين رجالها الشيخ النجار، وتلميذه الشيخ عاشور والشيخ حسن الآلاتي، والشيخ القوصي والشيخ رمضان حلاوة والشيخ درويش، وكان من رجال صفها الثاني محمد توفيق صاحب مجلة "حمارة منيتي"ومحمد امام العبد، ومحمد عزت صقر، وخليل نظير.. وهؤلاء هم الذين احتلوا المكانة الأولى في الزجل، بعد انتقال رجال الصف الأول إلى رحمة الله.

ولقد كانت للشيخ النجار حلقة يتصدرها في بعض مقاهي العتبة الخضراء، حيث يجلس حوله الزجالون جلسة التلاميذ من أستاذهم، وكان الرجل وقوراً في رقة، جادا في فكاهة مستحبة.

ويكاد النجار يكون صورة من الشيخ الفحام في روحه، وفي أسلوب زجله، ولعله كان يريد أن يلحق بمكانته، وينال مثل شهرته ...وقد اتخذه مثلاً يحتذي، فقلده في اختيار موضوعاته وفي الأوزان التي كان يختارها، ولم يستطعْ أن يخفي حسده له على المكانة التي نالها.

وفي زجله الذي نذكر فيما يلي بعض أبياته ما يدل على أنه كان معجباً بالفحام، متأثراً به، وان كان اعجابه بنفسه أشد وأقوى ...قال :

يا للي انت في حسنك عديم المثال

وأنا بجي فيك ضرب بي المثل

وفي غرامي شرح حالي طويل

لو كنت أحكي لك على م حصل

يا للي الغزاله وهى شمس الضحى

من نور ضيا خدك بقت في خجل

يا للي الغزال من لفتتك في التفات

ومن سواد عينيك اعاره الكحل

يا للى الغزل في وصف حسنك غلا

سعره ، وشعره فيه مذاق العسل

أصبحت من وجدي عليك يا جميل

أهوى الغزالة و الغزال والغزل

***

يا للي لأجلك فت نظم القريض

وكرهت حرقه سوق رواجها كسد

راحت رجالها والعرب عندهم

كله صابون والوقت لاخر فسد

وصغت من فن ‘‘الغبارى ‘‘نضار

طير غباره وقلت ما هش حسد

ليه يمدحوا ‘‘الفحام ‘‘وفحمه عويل

ما يوم شراره بالمعاني اشتعل

***

يا للي لأجلك صرت منشيء بليغ

في كل موضوع صرت أحكي وأعيد

وقفت ‘‘عنتر ‘‘في الغزل والحماس

وف الكتابة فقت ‘‘عبد الحميد ‘‘

ولي كلام في السهل صار ممتنع

تلقى ‘‘لبيد ‘‘ان كان يعارضه بليد

عليك فصرت الشعر الا قليل

والشعر في غير عارفيه مبتذل

ثم ينهج النجار منهج الفحام الذي يحاول أن يتعالى عليه، فيخرج من هذا الغزل إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول مختتماً زجله:-

استغفرك يارب وارجع اليك

تايب و ظني فيك قبول من يتوب
دا انت اسمك التواب على من عصى
و أنا ...أنا العاصي كثير الذنوب
يا رب عاملنا بفضلك ...وان
عاملتنا بالعدل تحرق قلوب
يا رب صنعك في عبيدك جميل
لجله رفعنا لك جميل الجُمل
***
أرسلت خير الناس لخير الأمم
رحمة ونور هادي شفيه للعصاه
لمعجزاته الباهرة نور صدقوه
وبحجة القرآن دليل لاح ضياه
يا ربنا صلي وسلم عليه
و جملة الأصحاب ، وآله معاه
ما صدقت دعوى و صح الدليل
وما تلى في وصف طه زجل

الشيخ الدرويش

ظهر الشيخ محمد الدرويش في عهد تألق نجم عبده الحامولي، ومحمد عثمان، ويوسف المنيلاوي ونظم لهم أشهر أغانيهم التي تغنى بها الشعب في كل مكان، ولهذا لم يترك الشيخ الدرويش تراثاً من الازجال.

بل ترك ثروة ضخمة من الأغاني الرقيقة التي كانت تتناسب مع ذلك العصر، ومن أشهر أغانيه قوله:

بستان جمالك من حسنه

أبهى وأجمل من بستان

وان ماس قوامك على غصنه

يعلم البلبل الحان

سمح زماني واتلطف

وشفت حبي في البستان

فقلت له لما شرف

والله زمان يا حلو زمان

وله أيضاً :

الورد من وجنات بهي الجمال

وعنبري الخال سمى مهجتي

أهف شغل بالي بتيه الدلال

ما حيلتي ف الحب ما حيلتي

الغصن ان شافك يزيد اعتدال

وجلنار خدك سبب لوعتي

روحوا اسألوا العشاق وهم يعرفوا

سقمي وأشجاني وحال صبوتي

وله أغنية نالت في عهده أكبر الاعجاب ، يقول فيها ---:

الحلو لما اتعطف

أخجل جميع الغصون

والخد لما اتقطف

ورده بغير العيون

يا للى بليت بالهوى

وصرت مغرم أسير

خللى اصطبارك دوا

حتى يهون العسير

حبيت أشوف لي سبب

أبني عليه الكلام

لكن رأيت الطلب

بعيد وصعب المرام

وهذه المقطوعة تنسبها بعض المراجع إلى المرحوم الشاعر اسماعيل صبري .

محمد توفيق

كان محمد توفيق ضابط بالجيش المصري، فكان ينظم الشعر والزجل أحياناً، وأحياناً تحول بينه وبين النظم شواغل الوظيفة وقيودها .فلما أحيل إلى الاستيداع فرغ للنظم،

واستسهل الزجل، وأحبه عندما رأى اقبال الناس عليه، وشجعه على نظمه ما بلغه معاصروه من الزجالين من مكانة، كالشيخ الدرويش، والشيخ عاشور، والشيخ لهبها، والشيخ حسن الآلاتي، الشيخ رمضان حلاوة الذي كان يومئذ قد نال شهرة طيبة كزجال بمدينة الاسكندرية .

وفي سنة **1900** أصدر محمد توفيق مجلة ''جمارة منيتي ''وجعل الفكاهة، والنقد اللاذع، والسخرية والتشهير، طابعها ومادتها، فأقبل عليه الناس .وشجعه هذا الاقبال على أن يمعن في مهاجمة بعض الشخصيات البارزة، فاشتط به قلمه مرة في سب الامام الشيخ محمد عبده، فحكم عليه بالسجن ستة أشهر، فلما خرج من السجن كان قد تعلم الحرص، فكان يستعمل في كتاباته ونظمه الأساليب الغامضة .والتوريه التي تتيح له الافلات من المسئولية .ومع هذا ...فقد ضاقت السلطات بجرأته ، وأغلقت له جريدته .

ورأى أن ينزوي فترة، فرحل إلى الاسكندرية وعاد إلى القاهرة، وافتتح مقهى صغيراً بقرب ميدان لاظوغلي سماه ''الحمصاية ''وظن أنه يستطيع أن يصدر جريدته مرة أخرى، فأصدر نشرة بلا ترخيص، سماها

''الحمصاية ''أيضاً ، ولكن الحكومة تنبهت لها وصادرتها، ومنعته من اصدارها .

ومن أزجاله الرقيقة، زجل يلمس فيه قارئه شدة حرصه، وخوفه من التصريح بما يريد أن يقول، ومع هذا فهو يشهد له بالقدرة على اعطاء القاريء فكرة صادقه عما تنطوي عليه نفسه، قال :

يا مصر أنا في حبك هايم ولا نيش نايم

بس العزايم ناقصة زرار

مفلوت عيارها على عياري أصل مراري

أحيه يا ناري .ع المسمار !

صبحت أخاف من مقصوصك وانا بخصوصك

خليك لصوصك .بقوا أنفار

القصد آخرتها فنختي وخليتي بختي

بقى زنزلحتي .على حجاز كار

دافعت عنك ع السلمى بسيفي وقلمي

و آخرتها علمى .عملته شمار

من خوفي لا الداخليايه تسوفها معايه

وتشوف لى آيه تودي النار

يكون فيها السر الأصلي وتحصص لي

و سيب مفاصلي .يغور دا الكار

والشيخ كلبش الدين يحصر يفتح محضر

واصبح مدحدر ..على سنار

واقبع في ايد اللي يسوى وللي ما يسوى

و الست نون النسوة .عشار

مالي أنا ومال الباب ده ما يكفي مهابده

لا أنا شيخ عبابده .ولا أنا مختار

حاكم الزمان دا اللي يفوّق أو بتلوّق

بكلمة واحدة .....يا ستار !

يكتفوه للبيه قطبي يخليه يجي

من جمعه يصبح زي الفار

لا هناك لا دخان ولا غيره وكتر خيره

من حسن سيره ..يبات منزار

سنه ف سنه يصبح مقلب ويبيع سحلب

ولما يغلب او يحتار ..

يختار ما شالله ابقى سم الله وعنها ويالله

بالانتحار ...يا التلتوار

يبات عليه والسبب احنا الله يسامحنا

ما احنا اللي تستاهل المحوار

ما داه نبيع عم شحيبر بابن كليبر

وفلوسنا رايحه مع التيار

زي اللي سبحان الدايم صرنا بهايم

لا لنا قوايم .ولا أشعار

الشيخ جاد علوان

ولد الشيخ جاد محمد السيد علوان بمدينة دمنهو ، عاصمة البحيرة، وهو من أسرة علم ودين، فهو حفيد الشيخ علوان الكبير، صاحب المسجد المعروف باسمه، بقرية مصطاى، بالقرب من قويسنا، بمحافظة المنوفية، وقيل أن نسبة يرجع إلى الامام الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنه.

تعلم الشيخ جاد علوان في الأزهر الشريف، في نفس الحلقات الدراسية التى كان يتعلم فيها الامام الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، وتتلمذ على جمال الدين الأفغاني .وبعد أن حصل على شهادة العالمية عاد إلى دمنهور، وافتتح فيها صيدلية استخدم لها صيدلياً قانونياً، وتفرغ هو بزعامة احدى الطرق الصوفية، وعين في نفس الوقت عضواً بمجلس مديرية البحيرة الحسبي، نظراً لتفقهه في علم المواريث.

ولم يكن الشيخ جاد ممن ينشرون أزجالهم عن طريق الصحف، ولكن شهرته بالزجل جاءت عن طريق أتباعه ومريديه، الذين كانوا يستمعون إلى ما ينظمه من مواعظ وحكم زجلية، ويحفظونها، ويروونها عنه.

ومن أزجاله التي تعطينا صورة صحيحة لخلقة القويم، وورعه قوله:

بالصبر كام تبلغ أوطار

والحر يصبر ع البلوى

والغدر من طبع الأشرار

و أفضل الزاد التقوى

***

اليسر بعد الضيق مضمون

وربنا يجرب عبده

ويرزقه مطرح ما يكون

في لحظة يرضيه من عنده

***

عيب الصديق في الحال داريه

واستر ذنوبه العهد يدوم

مفيش نبي يوم راح تلاقيه

عشان تصاحبه يكون معصوم

***

اللؤم من طبع الأوغاد

تلقى اللئيم دايما مكروه

***

والدنيا مش محتاجة عناد

دي كوبري والناس يبعدوه

في الاستقامه كل الخير

اليس شعارها تعيش مستور

وارسم لنفسك خط السير

وابعد عن النوع المغرور

***

وكون مع الله في الحالين

سرك وجهرك ، يبقى معاك
خلى التوكل نصب العين
ان كان في ضيق تلقاه نجاك
***
أصل الحياة نية وأعمال
اللي ف ضميرك راح تلاقيه
***
البس نسيجك ع المنوال
وازرع لنفسك شيء تجنيه
***
وادفع بفضلك جار السوء
وبالتي أحسن داريه
زي الجرب تلقاه موبوء
بحكمتك تقدر تداويه
لا بد يوم تحتاج للجار
لازم يعوزك وتعوزه
هلل ورحب به لو زار
من قبل ما يعوج بوزة
***
واستر عيوبه ، والحسنات
قولها ودايما رددها
واوعى التجسس والعورات

دي فاتحة الشر .ابعدها

الشيخ القوصي

هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الحق، الشهير بالقوصي نسبة إلى بلدة ''قوص ''بمحافظة قنا، حفظ القرآن ببلدته، ثم رحل إلى القاهرة، والتحق بالأزهر . ولكنه تحول إلى دار العلوم.

وفي هذه الفترة أحب الزجل وبدأ بنظمه، واتصل بمشاهير زجالى عصره، ثم اشترك في تحرير بعض المجلات الأسبوعية ...وأخيراً أنشأ لنفسه مجلة سماها ''السبعه ودمتها''صدرت في عام **1907**ميلادية.

وعين مدرساً بمدرسة المساعي المشكورة بالوجه البحري، ونتقل منها إلى القاهرة مدرساً بمدرسة خليل أغا، فالمدرسة الالهامية.

وللقوصي ديوان حافل بالأزجال التي نظمها في شتى الشئون .طبع بعد وفاته .ومن أزجاله التى نظمها بمناسبة ظهور أوراق البنكنون .والتعامل بها قوله :

الضحك ياما ع الدقون

وانت يا مصري تستحق

وارجع اقول لك في التاريخ

راح الذهب ، بان الورق

في كل يوم بنشوف أمور

ابن البلد منها اتقلق

يالله بنا احنا نعوز

ما دام صبح حالنا ورق

***

هو الورق ينفع بابه ؟

دا بحبه الميه يدوب

والغش فيه يبقى كثير

ويصير بقى كله عيوب

وبه تعامل مين و مين ؟

وازاي يكون تفريج كروب ؟

في الوقت ده مين يرغبه

ولو على آخر رمق ؟

***

ايه الغرض منه يا ناس ؟

هو الغرض ما هوش خفي

واللي يكون فكره سليم

ويدور الأمر الخفي

يعرف سياسة الأمر ده

وبالحقيقة بكتفي

واللي يكون أهبل عبيط

النور يكون عنده غسق

***

لكن بقى أرجه واقول

أحوال سياسية تكون

أول سياسة بدهم

يحملوا الناس الديون

وبعد ما يسفوا الفلوس

لنفسه مين يقدر يصون ؟

والحج بكره يبطلوه

نص الحديث والله صدق

***

محمد امام العبد

ولد محمد امام العبد من ابوين من الرقيق، اشتراهما بعض أثرياء مصر، وزوجهما في بيته، فأنجبا محمدا وألحقاه باحدى المدارس، وما كاد يقطع شوطاً من المرحلة الابتدائية حتى ظهر ذكاؤه، كما تجلت روحه المتحررة،

واستطاع برغم سواده، الذي كان ينظر له في ذلك الوقت —وخاصة بين أبناء الأتراك والمتأثرين بالتربية التركية، على أنه شيء يخفض المنزلة — استطاع برغم واده هذا أن يسود على زملائه واقرانه، بفصاحة لسانه، وقوة حجته، ولماحيته.

وكان امام محباً للقراءة والاطلاع، فحصل ذخيرة طبية من الأدب العربي، يسرت له أن ينظم بعض الأشعار، ولكنه لم يلبث أن تعلق بالزجل، وبدأ يمارس نظمه، فتجلت قوة خياله، وخفة روحه، وقدرته على الابداع.

وبدأت الصحف الأسبوعية تنشر ما ينظمه، ولمع نجمه في مجالس الأدب التي كانت تعقد في أنحاء شتى من العاصمة، وعرف فيها بالقدرة على القفش والتنكيت.

ولعل ولوعه بالفكاهة، يرجع إلى أن بعض زملائه كانوا يعمزونه لسواده، ومن هنا رأي امام ان يكون البادىء بالهجوم والسخرية واللدغ، حتى صار مرهوب اللسان.

وكانت مجالسه حافلة بالكثير من الفكاهات، يتلقاها، ويردها، وله مع الشاعر حافظ ابراهيم كثير من المصادمات الفكاهية، ومن ذلك ان حافظاً رآه مرة يكتب بقلم حبر، وسقطت من القلم نقط من الحبر، فقال

له حافظ .''اسمح عرقك يا امام''ورآه مرة وقد لبس قميصاً ابيض، وفوقه ''كرفته ''سوداء فقال له :''زرر صدرك يا امام ''ومن قفشات امام للشاعر قوله :

''زارني حافظ بك في بيتي فجلست معه في المندرة ، وكان والدي في الدور العلوي ، وبعد قليل أشعل حافظ سيجارة ''توسكاني ''واذا بوالدي يصرخ من فوق :

مين اللي قال لكم تولعوا الفرن ببجلة

والجلة هى روث الدواب المجفف وتستعمل وقود للأفران .

وقد توفى امام العبد في الربع الأول من القرن الحالي، قبل أن يبلغ الحسين، تاركاً تراثاً ضخماً من الشعر والزجل والفكاهات، ومن أزجاله قوله:

لك كل يوم مذهب ولكن غريب

يا أغرب الناس من الكسل والسهر

صبحت في الدنيا عجيب في عجيب

والمبتدا في البرم عاوز خبر

***

صبحت مغرم يا جدع بالدلال

ومشيت على كيفك ولا لك دليل

وفضلت خاضع للجميل والجمال

وفعلك المشهور اصبح غير جميل

وكل ما اضرب لك مثل او امثال

تظهر بمظهر فيك ولا لوش مثيل
ايه السبب يا للي عشقت الظلام
وفهمت انك مبتلي بالقمر
***
كان الظريف في مصر من بيت أدب
وكان أبوه حازم وصاحب عقار
ماشي على دين الليالي عجب
والعمر مخلوق للسهر والقمار
ضاع الأمل لما انشغل بالطرب
في معرض الدنيا وضاع الوقار
وأغلب الناس ينخدع بالعيون
في مظهر الأغراض على ما ظهر
***
مالت عليه واحدة وقع في الشرك
وبات أسير اللحظ من غير سبب
وكل ما يحضر تقول الملك
حضر و تقديم التحية وجب
انت الملك يا بدر ما أجملك
وشكلك الباهي قليل من العرب
قالو الجميل يوسف وانت الجميل
في مذهبي يا للي فضحت الصور
***

ضحك وقال هات المدام يا غلام

واشرح غرام قلبي لنجم السعود

واضرب على عودك وقول للحمام

الحب يظهر بين كمنجه وعود

ضحكت عليه والكد ب ماهش حرام

في مذهب المفنون –وخلفه الوعود

واللي تقول لك مقصدي في خليل

لا بد مقصدها يكون في عمر

***

مشى على كيفية وضيع فلوس

من بعد ما باع البيوت والعزب

وبات يقول ديني حياة النفوس

لا بد أقضي في الهوى ما وجب

مالي ومال جاهل حياته نحوس

ومذهبه غير مذهبي في الطرب

خليك على كيفي نعيش في سرور

مالك ومال حكم القضاء والقدر

***

ضيع عليها المال بسحر العيون

وجاب لها حليه بألفين جنيه

وجاب لها صبغة ، جنون في جنون

حتى صبح ''لاتس ''يقبل يديه

صبح عل كفيه أسير الديون

وثروته في اسم ''باشا ''و ''بيه ''

من بعد ما كانت هدومه هدوم

صبح من التفليس هدومه صرر

***

خد من حكايتي درس عن دا الجدع

واعمل حسابك يا لبيب يا وحيد

واحذر تقول قدري و مالي تبع

دا الدهر يلعب بالشقى وبالسعيد

يا ما خلافك بالعيون انخدع

وبات من الافلاس بمنظر جديد

قلبه وعينه والهدوم والزمان

والهم والنوح والأرق والعبر

***

آدي النتيجة ، والنتيجة كتاب

يعلم اللاهي ويهدي الضرير

ويصبح المفتون بلون الشراب

حكيم مهدب ن في اموره بصير

وكل ما يزعق عليه الغراب

يقول لصاحبنا فلوسك تطير

وادي نصيحة من خبير —علمه

الدهر حتى بات يقول الحذر

خليل نظير

ولد المرحوم خليل نظير في بيت من أعرق بيوت الصعيد ...بيت رفاعه باشا رافع الطهطاوي، فقد كان والده مملوكين لساد هذا البيت، وتلقى بعض التعليم مع أبناء الأسرة في طهطا،

ولما بلغ سن الشباب زوجه مولاه، ولما مات رفاعه باشا الكبير رحل نظير إلى القاهرة، والتحق بالأزهر فترة من حياته، إلى أن حصل من التعليم على قدر أتاح له أن ينظم الشعر، فبدأ اسمه يذكر في الأوساط الأدبية، وكان يستعين على العيش في مصر بالتدريس في مدرسة صغيرة، ولما أحس أنه أصبح قادراً على أن يعيش من قلمه بدأ يكتب للمجلات.

ورأى أنه لا يستطيع أن يتكسب من نظم الشعر فتحول عنه إلى نظم الزجل، فتجلت فيه موهبته وقدرته، وصار يكتب لجريدة اليف زجلاً أسبوعياً، وكان في نفس الوقت يحرر مجلة طوالع الملوك.

وكان خليل نظير محبأ للخمر والمرح والدعابة، فلا يكاد يراه أحد الا ثملا، وكان هذا من اسباب املاقه المستمر.

وفي عام **1920** توفى خليل نظير بعد أن ترك تراثاً طيباً من الأدب والشعر، وقد قام صاحب جريدة السيف بطبع ديوان أزجاله فراج رواجاً كبيراً.

وكان نظير قد أنجب ابنا اسمه ''ابراهيم ''وفي سنة **1924**اشترك ابراهيم مع بعض شباب مصر المتحمسين في اغتيال السر لي ستاك باشا

الضابط الانجليزي الذي كان سردارا للجيش المصري في السودان، فقبض عليه، وأعدم شنقاً ، هو وبعض زملائه، واعتبروا من شهداء الوطن .

ومن أزجال خليل نظير الرقيقة في ذم الشتاء قوله --:

قالوا الشتا فصل السرور والفرفشة

وجروا ريقنا ع السهر بعد العشا

و ع المجانسة والهزار والنغنشة

والله اللي يقول الكلام ده ما اختشى

***

هو الشتا فيه الا ذل وشحططه ؟؟

ورعش جسم وكسر قلب ومرمطة ؟؟

وبهدله وقلة مقام ولخبطة ؟

يا عم دا الصيف للفقير ستر وغطا !

ولقد كان نظير متمكناً من فن الزجل، عارفا بدقائقه وأساليبه، وحسناته وعيوبه، يدل على ذلك زجل طويل نظمه وجعله نصائح لمن يجب أن ينظم الزجل تقتطف منه هذه الأبيات:

الأديب اللي يحب يقول زجل

كل ما يقراه يخليه في طرب

يقرا أحسن ما قالوه الزجالين

يكتب أجمل ما قراه ويكون متين

يحفظ أمتن ما كتب يزوي الثمين

يرضي بالارشاد واصلاح الخلل

مش يقول ايه السبب ليه اتشطب

***

عند ما ينظر يقوم وقت الصباح

عند حي على الصلاح وعلى الفلاح

عندما يشوف ان ضوء الفجر لاح

الساعة دي بالة ما يكونش انشغل

يبقى رايق الفكر ينشي قول عجب

***

وان ما امكنشي يقول وقت البدارى

يمكنه في خلوته وقت العصاري

في جنينة وفي الجنينة نهر جاري

واختصار القول اذا شاف الملل

يستريح حتى يروح عنه التعب

***

لما تنظم مش تقول نحوى وتعرب

قول زجل يعجب جميع الناس ويطرب

اللي يكتب واللي ما يعرفش يكتب

زي واحدة تكون جميلة في حفل

من حرير ومطرزاها بالقصب

***

ابن قزمان من قديم العهد قاله

والغباري المصري كان زجال مثاله

بعدهم جم زجالين زادوا جماله

منهم العايش ومنهم من وحل

راح وعنا في ظلام قبره احتجب

***

ده قانوني رتبت للزجال بنوده

كل من يقراه ويعمل به يفيده

ما بقاش غير بند واحد به أزيده

ايه يفيد القول ولا فيشي عمل

والأدب في النفس قبل القول وجب

***

محمد عزت صقر

ولد محمد عزت صقر حوالي عام 1873بجهة قصر الشوق بحي الجمالية، وكان ابوه من كبار موظفي مصلحة السكة الحديد، وقد توفى عنه أبوه وهو في الخامسة،

وتلقى علومه بمدرسة النحاسين .ثم بمدرسة الليسية الفرنسية، ولما أتم دراسته بها التحق بوظيفة بمصلحة السكة الحديد، ولكنه لم يلبث أن سئم الوظيفة، وكان في بحبوحة من العيش تغنيه عنها فاستقال ووجد متسعاً من الوقت لقراءة كتب الأدب، فتزود منها بقسط طيب من الثقافة العربية، واستاع بكم تراثه أن يهيء لنفسه في بيه بالعباسية مجلسا أنيقا حول نافورة في حديقة داره، وكان يتردد عليه في هذا المجلس مشاهير زجالى عصره أمثال الشيخ النجار صاحب مجلة الأرغول، ومحمد توفيق صاحب حماؤة منيتي، ومحمد امام العبد وخليل نظير والشيخ أحمد عاشور، ومحمد عبد النبي، وغيرهم، فكان يسمع منهم ويجاريهم في النظم، و أخذت حلقة مجلسه تتسع وتتسع حتى صار بينه منتدى للأدباء يسمرون فيه كل ليلة ...وأشار عليه بعض رجال أسرته بأن يلتحق بوطيفة، فاشتغل بالدائرة السنية ولكنه لم يلبث أن كره الخضوع ليقود الوظيفة واستقال، وكان عزت صقر كريما سخي اليد، فأحبه أصدقاؤه وقدموه، ونادوا به أميراً للزجل في عصره، مع أنه كان بينهم من يقوونه بمراحل عديدة ز وقد توفى عزت صقر في يوم الثلاثاء 10مايو سنة 1932.

وأراد ابن أخته طلعت حرب باشا أن يخلد ذكراه .فعهد إلى بعض الأدباء بأن يجمعوا أزجاله فجمعوها، وأمر بطبعها لكتاب أنيق بمطبعة مصر.

وفيما يلي نموذج من أزجاله، وهو زجل اجتماعي بين مسلك الشباب في عصره قال --:

يا خفة يا اللي بتتولت وسبيت الغيد
كل الغوالي لك حبت يكفاك تقليد

***

البنت قالت لجارتها شفتي لفندي
تقصيعته ياختي حلاوتها وخده الوردي

***

عايق وفاهم في نفسه انه خفه
دايما ينسون في حسه ليه مش عارفة

***

ان كنت مغشوش بجمالك غيرك أحلى
ياما كتير من امثالك صبحوا وحله

عيسى صبري

ولد في 16رجب سنة 1300هـ، وتلقى دراسته في مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية، ولما كان أبوه من المشتغلين بفن الطباعة بالمطبعة الأميرية ببولاق، فقد تعلق عيسى بالفنون الملتصقة بالطباعة كالخط، والرسم، والحفر، واتخذ هذا العمل حرفة له.

وبحكم اشتغاله بالحفر، والرسم، عرف كثيرين من أصحاب الصحف والمجلات، وبدا بنظم مثلهم فوجد تشجيعاً من ''محمد توفيق ''صاحب الحمارة.

ولما كان عيسى فناناً بطبعه، فقد كان يحاول أم يلحن أزجاله، ويلقيها بنفسه مبتكراً لها أسلوبا في التلحين، والالقاء، جعلها موضع اعجاب السامعين.

وفيما يلي مثال من زجله .قال :

عشنا وشفنا الهوانم

طالبين خروجهم عراية

وف ليلة القدر عالم

فطر في دار الحماية

شعبان عوني

ولد ''شعبان عوني ''من اب مصري وأم حبشية، وأتم دراسته الابتدائية، ثم التحق بالأزهر، ولكنه لم يستمر في الدراسة، فبدا يخالط أدباء عصره، ويحاول مجاراتهم في نظم الأزجال، حتى بلغ فيه منزلة لا بأس بها.

وكان رغم سمرته وفقره معتزاً بشخصيته، فسمى نفسه ''زجال الشرق ''تقديراً لنفسه بعد أن وجد الكثيرين يبخلون عليه بالتقدير.

وكان ''شعبان عوني ''صبوراً على الفقر، والبؤس، وكان خفيف الروح ، فكان أصدقاؤه لا يضنون عليه بما يساعده على الحياة، وحدث أن أعلن أصدقاءه بأنه سيقلع عن التدخين، وأقسم على ذلك بأغلظ الأيمان، وبعد يومين اثنين من الاقلاع توفى، وبهذا بر بقسمه .

ومن أزجاله، زجل يقول فيه--:

الجيل ده جيل العجب   كله ضلال في ضلال

منه رجال الادب   والعلم شافوا الوبال

داقوا كؤوس العنب   شبيبه عايشة في خيال

حتى كلام العرب   صبح بغير رأس مال

والعرب نال الأدب   واحنا حياتنا خيال

ايمته يجينا الفرح

والحالة دي تتصلح

لعمل ليالي الطرب   بما يروق البال

محمد غالب

ولد محمد غالب في سنة **1886** بالإسكندرية، ونشأ في أسرة كبيرة، وكان والده (علي غالب بك) ضابطاً بالجيش أيام الثورة العرابية، وعندما انتهت ثورة عرابي عين مدرساً للغة الانجليزية في مدرسة رأس التين الثانوية.

وكان ''محمد غالب ''في صغره طالباً مجداً ، حصل على الشهادة الابتدائية وهو في الحادية عشرة من عمره، وكان هذا شيئاً نادراً من زمنه.

وأتم دراسته الثانوية في المدرسة التوفيقية، ثم في كلية فيكتوريا التي لم تكن تهتم باللغة العربية، ولكن ''محمد غالب ''كان يقرأ كل ما يقع عليه نظره من كتب الأدب والشعر العربي، وكان لخاله ''محمود حلمي'' -الذي كان شاعراً وصحفياً -فضل في تشجيعه، وتنمية الاتجاه الأدبي فيه .

وعندما نظم ''محمد غالب ''أول زجل له -وكان لم يبلغ الخامسة عشرة بعد -شجعه خاله، فنشره له .

ثم التحق غالب بجامعة لندن حيث حصل على بكالريوس الهندسة ثم حصل على الماجستير فيها، وقد أفادته اقامته بلندن اطلاعاً على الأدب الانجليزي، والفرنسي ، مما وسع مداركه وجعل تعبيره سلساً جميلاً.

وعرف غالب في كتاباته بوطنيته، وما كاد يصل إلى لندن حى اشترك في تأسيس الجمعية المصرية هناك .وهى الجمعية التي كان لها دور كبير في مناصرة قضية استقلال مصر.

وبعد أن أكمل ''محمد غالب ''دراسته، وأحرز شهادة الكلية الملوكية من جامعة لندرة ، وشهادة العضوية من المجمع الهندسي بانجلترا عاد إلى مصر قبيل الحرب العالمية الأولى.

وعقب عودته التحق مهندساً بالحكومة، ولم يلبث أن توفى والده فورث عنه خمسة وثمانين فداناً بالمنوفية، وقد كان ثراؤه من اهم الاسباب التي دعته إلى الاستقالة من الحكومة، ليتفرغ لفنون الأدب ، وفنون الشعر والزجل .

وبدأ ''محمد غالب ''يكتب للصحف، فكتب للكشكول، وروز اليوسف، والأهرام، والصبح ومعظم المجلات التي كانت تصدر في ذلك الحين، وأخيراً أصدر مجلة فنية أسماها (النجوم)، وفي ذلك الوقت كانت كوكب الشرق السيدة أم كلثوم ما زالت تخطو أولى خطواتها في سلم المجد، فتعرفت به وكانت بينهما مودة كما كانت لهما طرائف شتى.

وعندما قامت النهضة الفكرية، والأدبية شارك فيها محمد غالب واشترك في أكثر من رابطة للأدب وناد للشعر.

وحدث أن سافر ليصطاف في ايطاليا، فاعتقلته السلطات الايطالية هناك، لأنه كان قد نشر في مصر زجلاً قال فيه:-

جارنا اللى في الحد الغربي   شن الغاره
بجيش عليه سنيور حربي   وبطياره
الجار بيشنز
وينسى أحيانا جاره   وحسن الجيره
وفي الغضب لو زاد ناره   يشرب بيره
وبجاره يمز

وقد كتب محمد غالب كثيرا من الأغاني لكثير من المطربين والمطربات، واشتهرت هذه الأغاني في وقتها شهرة واسعة، الا ان اغنية ''سر السعادة شفتيك ''التي تغنيها ''نجاة علي ''كانت أشهر تلك الأغاني.

وامتازت أزجال ''محمد غالب ''بالتنظيم الدقيق في اختيار اللفظ، كما امتازت بالطابع العلمي، فلم يكن يسف، أو يحشو زجله بفارغ الكلام. وكان يستخدم اللغة العربية في بعض أزجاله، ويطعم الزجل ببعض الألفاظ الفصحى، واشتهر في أزجاله بالفجر، كما عرف بالنقد اللاذع مع عفة اللفظ، وامتاز إلى جانب جمال التشبيه وخفته، بروح الفكاهة ومداعباته الحلوة.

وكان غالب في حياته الخاصة مثال الرجل الكامل، كما كان أنيقاً كريماً، ومن ادلة رجولته وأخلاقه الحميدة أنه على الرغم من كونه لم ينجب من زوجته كريمة ''حسن حارس باشا ''بعد عشرة ربع قرن .فانه حين توفت لازمه الحزن عليها إلى أن مات .وان كان قد اضطر للزواج مرة أخرى، عندما تقدمت به السن، واعتراه المرض وقد أنجب من زوجته الجديدة ابنته ''أمينة ''.

وقد توفى محمد غالب في **4**فبراير سنة **1950**وله من العمر أربعة وستون عاماً

ومن أمثلة أزجاله التي تدل على أنه كان محبطاً بأساليب حياة الطبقات الشعبية برغم نشأته في فئة غيرها قوله --:

أحمد محمد بن عمك صالح

ولد صبي مزين حلنجي وقارح

رجله اليمين بيزك بيها وسارح

عقله ف غرام بنت ابراهيم ''دريه ''

***

دريه بنت صغيره وملفوفه

متكحلة وعينها الشمال مطروفه

بين العطوف ف الحلوجي معروفه

طول النهار ف الحاره راحة وجايه

***

لو صدفه يوم مرت قصاد دكانه

لعب لها شنبه وجز سنانه

والأدهى لو ضحكت يزيد في جنانه

ينسى الزبون بين الصابون والميه

***

وتموت في أكل النبق والسنطاوي

وطول حياتها تحب لعب الحاوي

ومن الروايح عندها والجاوي

والمسك في صندوقها ربع وقيه

***

وعندها خلخال ودبله وساعه

من غير عقارب أصلها في بلاعه

عثر عليها أحمد ف كيس ..وبتاعه

من فوق غطاها مدروره وملويه !

ثم يستمر في رواية هذه القصة المنظومة فيقول --:

كتبوا الكتاب يوم نحس ف الخماره

وشهوده كانوا اتنين من الحماره

مأذون حارتهم جاب معاه صفاره

ماسك في ايده رغيف وايد شمسيه !

***

كان يومها يوم أغبر ما طلعت شمسه

ربطوا العريس وبيخلعوا له ضرسه

ياويله من يوم دا اللي يصبح عرسه

زيك يا صالح يستاهل تعـزيه

وينتقل إلى صورة أخرى في نفس القصة فيقول ---:

الزفه هلت بالعروسه الويكا

والنقرزان والطبل والمزيكا

''حسب الله ''يضرب من شطارته السكا

تطلع حجاز والواحدة ناقصة شوية

***

الزفة هلت بالعروسة الويكا

والواقعه سوده من يوميها وباينه

وام العروسة تقول يا ناس مش هاينة

بنتي العزيزة تسكن القوطيه

***

الزفه هلت والعروسة معاها

تلاتين جدع وفتوه جم وياها

يتيمة من غير أب ..مين يرعاها

ف الزفة غير ضريب عصا وروسيه

***

دخلوا العروسه والعريس بالغاره

بالصدفه فيه ميتم ف رأس الحاره

قامت حريقه وكم ضرب صفاره

يوسف محمد عسكري الداورية

محمد عبد النبي

ولد محمد عبد النبي من أسرة فقيرة كادحة، فلم يحفل أحد بتسجيل تاريخ ميلاده، وكانت نشأته في حي سيدنا الحسين، فلما صار صبياً اخذ يعمل في بعض المتاجر ليعيش،

وكان في الليل يتردد على مقاهي هذا الحي، وكانت تلك المقاهي تضم الأدباء والعلماء، فكان يستمع اليهم، ويعجب بأشعارهم وأزجالهم، دون أن يستطيع أن يجاريهم لأنه لم يكن قد نال أي قسط من التعليم، فكان لا يعرف القراءة ولا الكتابة ...ولكن كثرة سماعه للأزجال من كبار ناظميها ارهفت حسه ، وخلقت الملكة في نفسه، فيدأ ينظم الأزجال، وكان يضطر لحفظها لأنه كان لا يستطيع تدوينها بالكتابة .فلما كثرت أزجاله، ووجد من يمتدحها ويشجعهه على موالاة نظمها، بدأ يتعلم القراءة والكتابة، وبذلك استطاع أن يحصل على قسط ضئيل من المعرفة، ولكن ذكاءه كان أكبر من هذا القسط بكثير، فخياله، وتشبيهاته واستعاراته، وكل ما في أزجاله من فن، هو من ابتداع قريحته أو من وحي ما سمعه من شعر أو زجل.

وكان دائم الشكوى من الفقر والحاجة .فلما تعطل عن العمل ازدادت شكواه، وأضاف اليها الشكوى من ضمن الأصدقاء، ومن المرض، وقد عمل فترة طويلة من حياته بائعاً في بعض محلات الحلوى، ثم عمل في مكتب الأستاذ محمد حسني الخطاط، والواقع أن الفنان محمد حسني لم يكن في حاجة إلى عمله، ولكنه ضمه إلى مكتبه اشفاقاً عليه.

وأصيب محمد عبد النبي بإنسداد في بعض شرايين ساقه، فدخل مستشفى قصر العيني للعلاج، ولكن الأطباء أضطروا لبتر ساقه، ولم يلبثْ المرض ان انتقل إلى الساق الأخرى، فقرر الاطباء بترها انقاذاً لحياته، ولكنه لم يتحملْ العملية، وتوفى بالمستشفى بعد أن أشرف على الستين، ومن طريف ما يروى في هذا المقام، أنه عندما أنشأ بعض الشباب رابطة الزجالين في عام **1932**، ونهضوا بالزجل نهضة رائعة .واتخذوا لها مقراً بميدان حليم أمام حديقة الأزبكية، اختاره رئيساً وكيلاً للرابطة، وقرر له مرتباً ليحفظ عليه كرامته كزجال، فقام بعض كبار الزجالين بحركة مضادة ...اذ عز عليهم أن تنتقل زعامة الزجل إلى الشباب ونهضوا به وتلمه اسماؤهم، وتختفي أسماء هؤلاء الذين وقفوا بالزجل عند أساليبه وأغراضه القديمة ، فأنشأوا نادياً لهم، وسعوا حتى حملوا محمد عبد النبي على الاستقالة من الرابطة فاستقال .وانضم إلى النادي ..وحشد شيوخ الزجالين قواهم لليلة افتتاح ناديهم ، وجمعوا جموعهم، وفي ليلة الافتتاح وقف محمد عبد النبي ليخطب، فقال ان هدف النادي هو الارتفاع بمستوى الازجال والأغنى ، وتطهرها من الانحطاط والتبذل اللذين شاعا في الأغاني مثل :-

تعالى يا شاطر، نروح القناطر

أمانة ودينك ما تكسر لي خاطر

هات القزازه، واقعد لاعبني

المزه طازة، والحال عاجبني

ومثل :-

ارخي الستارة اللي في ريحنا
احسن جيرانك تجرحنا
يا مبسوطين يا احنا ...الخ

وكانت هاتان الاغنيتان تضمان من المعاني ما يحمر له الجه حياء، وما بعد دعوة سافرة للفحش .وكان مؤلف هاتين الأغنيتين حاضرا حفلة الافتتاح، لأنه كان عضواً في النادي، فوقف ليدافع عن أغانيه، ولكبل السباب لمحمد عبد النبي، ولم تلبثْ أن قامت معركة بين شيوخ الزجالين قتلت ناديهم في يوم مولده ...وهكذا فقد محمد عبد النبي مكانه ومكانته ومرتبه في رابطة الزجالين .

وفيما يلي زجل له، وصف في حياته البائسة وصفاً صادقاً، وردد فيه الشكوى من الزمن والمرض والأصدقاء ...قال--:

يارب اشفق على حالي
راح التقيها منين ومنين
يكفي يارب اللي جرى لي
مرض وعشق وفقر ودين
والدنيا دايره بالمندار
***
الهم ضيق أخلاقي

والحظ بيني وبينه خصام
والفقر ماسك في خناقي
وصرت لاهل البؤس امام
والعقل تاه والفكر احتار
***
انسدت الدنيا ف وشي
واتقفلت كل الأبواب
وان كنت في الشارع أمشي
اشوف عمار الدنيا خراب
دايما تعاكسني الأقدار
***
مكتوب على جبيني اعلان
ممنوع دخول النقديه
أنضف من الصيني بزمان
يشبه لشركة مصفيه
أو زي بيت فاضي لايجار
***
هدومي تشبه للغربال
موصلة بخمسين رقعه
وسخه و مليانة أحوال
بقعه هنا وهناك بقعه
والجلبيه عاوزة زرار

***

طربوشي مقلوب ميت مره

أزعر مطبق ومزفت

له جلدتين جوه وبره

ومن العرق نلقاه زيت

تنفيضه يملأ الدنيا عفار

***

والجزمجي مالوش لازمه

مدام عرفت الاسكافي

دايما يرفع لي الجزمه

خايف لا يوم يمشي حافي

وكعبي يدخل فيه مسمار

***

كرهوني أهلي وأصحابي

أروح لده يهرب مني

يمروا خالص لغيابي

ماليش صديق يسأل عني

ناس يشبهوا الدهر الغدار

***

واذا اشتكيت حالي لصاحب

تلقاه قابلني بأسيه

ومن الغريب ينسى الواجب

هو اللي ايده في الميه
زي اللي ايده نكون في النار
***
أو كنت أشكي الجوع لصديق
ومعدتي للجوع خابت
يقول لي خد شربه ع الريق
وبعدها مية نابت
دي الصحه مش عاوزه استهتار
***
أقصد صديق ربي أعطاه
يحلف ميديش سلفيات
وان قلت طيب هات لله
يقول لي هو انت شحات ؟
الوقت ده مش وقت هزار
***
أصبر على بؤسك يا أديب
مهما يكون حظم خانك
دا كل شيء قسمه ونصيب
ربك يجرب ايمانك
اصبر على دهرك لو جار
***
آدي الصداقة الحقيقيه

أصحاب ولكن زي اللوز

ان شفت منهم حنيه

حنيه لكن من غير بر

مثل زمان قاله (النجار)

***

أشتكي لمين غيرك يارب

ارحمني يا رحمن يا رحيم

اصلح لي حالي وفك الكرب

واعطيني من وجودك يا كريم

واغفر ذنوبي يا غفار

***

محمد فهمي يوسف

شاب ومض كالشهاب، ومات في شرخ الشباب، لمع بسرعة، ثم اختفى بسرعة، كان رقيقاً، دمث الخلق، جاداً مستقيماً، وكان يعمل في الصحافة كمندوب لجريدة الأهرام، وأحب الزجل فعالجه ونظمه،

ووصل فيه إلى مرحلة طيبة كان يرجى أن يتجاوزها إلى مراتب الابداع، لولا أن عاجله الموت، اذ توفى في حادث حين انقلبت به سيارته بقرب العياط، فتوفى في ريعان شبابه.

وكان ينشر في كل أسبوع زجلاً في مجلة أسبوعية اسمها ''البغبغان ''يضمنه نقد للأحوال الاجتماعية المعوجة، وتوجيهاً للشباب والفتيا، وهذا نموذج من أزجاله --:

طفل بائس في الطريق
والندا نازل عليه
شفته في نومه غريق
قلبي مال رحمه اليه
***
ع الرصيف مطروح وباسم
والتراب كاسي جبينه
قلت اصحى ياللي نايم
دغري راح فاتح عنيه
***

خدته ضيف في وسط أهلي
ضمن اخواتي الصغار
بعدها شاورت عقلي
قلت له من أي دار
***
قاللي كان لي أب مات
راح وفاتني عند أمي
قال ماليش اخوات بنات
والوصي من بعده عمي
***
قاله ياخد باله مني
ظن انه يكون أمين
راحت أمي واخده عمي
دغري بعد الأربعين
***
يتركوه مسكين ممرمط
مين بقى يسأل عليه
القميص راقي مشرمط
والعيال راح تعرف ايه
***
آدي أسباب التشرد
طفل ما يلقاش رحيم

للفساد من غير تردد

اللي بيته يكون جحيم

***

معظم اللي تشوفه حايس

في الشوارع والحارات

جند أعقاب السبارس

كلهم من دي الحالات

***

أحمد شوقي .. أمير الشعراء والزجالين

لو لم يكن لأحمد شوقي ذلك الشعر الرائع، الذي استحق به لقب أمير الشعراء، لكان بما نظم من الأزجال أمير الزجالين غير منازع .ولم ينظم شوقي لزجل الا في كبره بعد أن غنى له محمد عبد الوهاب روائع شعره،

وأراد شوقي أن يدخل إلى أفئدة الخاصة، فنظم أغنيات تعد من أعظم ما عرفه من الزجل .كان شوقي يتردد على رابطة الزجالين، ويجالسهم ويستمع إلى أزجالهم، ويبدي اعجابه بكل معنى جديد يسمعه .وشوقي هو الناظم الحيد الذي استطاع أن يدخل في منظوماته الزجلية كلمات عربية فصيحة —بل بدوية —دون أن تنكرها الأسماع، ذلك لأنه عرف كيف يضع هذه الألفاظ في مواضعها الصحيحة، حتى ليتعذر على غيره أن يستبدل بها ألفاظاً أخرى، مثال ذلك قوله --:

ياليل أنيني سمعته   الشوق رجع لي وعاد

وكل جرح وساعته   وكل جرح بميعاد

كم من مفارق وجعته   ونضو هجر وبعاد

فكلمة ''نضو ''لم تستعمل في الزجل اطلاقاً، بل ولم تستعمل في الشعر الا قليلاً، ولكن شوقي استعملها، وقربها إلى قلوب العامة، وافهامهم .وعلى الرغم من أن شوقي كان مبدعاً في زجله إلى أبعد حدود الابداع، فانه لم يضمن ديوانه شيئاً من أزجاله أو أغانيه الزجلية .ومن روائع أغاني شوقي الزجلية أغنية ''النيل نجاشي ''و ''اللي يحب الجمال

''و ''في الليل لما خلى ''و ''بلبل حيران ''و ''الليل بدموعه جاني ''وغيرها .والمقطوعة الأخيرة تعد في عالم الزجل من السهل الممتنع ، فهى جامعة بين عمق المعنى وسلامة اللفظ وورقة النظم فهو يقول فيها .

الليل بدموعه جاني	يا حمام نوح ويايا
نوح واشرح أشجاني	داجوالك من جنس جوايا
الشوق هاجك من دوحك	وشكيت الوجد معايا
أبكي بالدمع لنوحك	وتنوح يا حمام لبكايا
بعد الأحباب لوعنا	والقرب دواك ودوايا
ومسير ليام تجمعنا	ان كان في العمر بقايا

هذه المنظومة تضم كثيراً من فصيح الألفاظ مثل ''جوالك ''، ''دوحك ''، ''أشجاني ''، ''هاجك ''، ''الوجد '' —ولا شك في أن شوقي كان يهدف إلى الارتقاء بأذواق العامة ولغتهم ، وهو ما يجب أن يعمل له كل زجال ، أما منظومته ''بلبل حيران ''فلم يسم إلى مثلها زجال وهو يقول فيها -- :

بلبل حيران	على الغصون
شجى معنى	بالورد هايم
في الدوح سهران	من الشجون
بكى وغنى	والورد نايم
سكران بغير الكاس	في مجلس الورد
من عنبر الانفاس	ومنظر الخد
فنن يحطه	وفنن يشيل

وجناح يقوم به   وجناح يميل

في ايد الليل يلعب به   وراه الويل يا قلبه

من دوح لدوح   سهر ونوح

يا ليل دا طير   بدن وروح

قال له يا سوسن   يا تمر حنه

يا ورد أحسن   من ورد جنه

مين بالفرح لونك   مين ؟

ومن الشفق كونك   مين ؟

تبارك اللي خلق   ظلك من الخفه

واللي كساك الورق   ولفه دي اللفه

زي القبل ولفت   شفه على شفه

يا ورد فوق لا الجناح   يرقى ولا الجرح يبقى

تشوفني وقت الصباح   جسد على الأرض ملقي

أموت شهد الجراح   ويعيش جمالك ويبقى

وفي هذه المقطوعة -كما في سابقتها -ألفاظ فصيحه لم يجرؤ زجال على استخدامها ، مثل :

شجى -معنى -سوسن -القبل -ملقى .

ولو شاء ناظم أن يستعمل هذه الألفاظ لما استطاع الا اذا كان في مثل قدرة شوقي

محمد بيرم التونسي

اسمه الكامل محمود محمد مصطفى بيرم .ولد بحي السيالة بالاسكندرية في 4مارس سنة 1893. وكان أبون تاجراً متوسط الحال، نزح جده من ونس إلى أرض الحجاز، ثم جاء ال مصر واستقر فيها .

ولما بلغ محمود بيرم الخامسة من عمره، ألحقه أبوه بكتاب في مسجد صغير بالحي .اسمه زاوية الشيخ خطاب، ولكن شيخ الكتاب كان شديد القسوة على الغلام ، فكان يهرب منه، وكلما أعاده أبوه اليه ضربه الشيخ فيعود إلى الهرب، وأخيراً اضطر الأب لأن يأخذ ابنه ليعاونه في دكانه ويعد فترة قضاها في العمل بدكان أبيه ، حاول أبوه مرة أخرى أن يدفع إلى التعليم، فأرسله إلى مسجد أبي العباس مرسي، وكانت تعقد به جلسات دراسه على غرار حلقات الأزهر الشريف، وعن هذا الطريق عرف بيرم طريق الكتب، فقد كان حول المسجد باعة يعرضون كتبهم على الأرض، ويبيعونها بأثمان رخيصة، وبدأ بيرم يحب القراءة، فكان يشتري الكتاب، وبعد أن يقرأه يستبدل به كتاباً آخر بعد أن يدفع بضعة مليمات .

وفي هذه المرحلة من حياة بيرم، توفى أبوه فجأة في بيت زوجة أخرى غير أمه، فاشتغل بيرم في دكان بقال .ولم تلبثْ أمه أن اضطرت للزواج لتعيش، فوجد الغلام نفسه شيئاً ضائعاً، ففعاف اللعب مع لذاته، ولابسه الحزن.

واضطر لأن يعمل في خدمة زوج أمه الذي كان له دكان يصنع فيه براذع الحمير وهوادج الجمال وكان بيرم يكره هذا العمل لأنه عمل شاق مرهق، فضلاً عن أن الفتى كان يشعر بأنه عمل تافه.

وعندما بلغ بيرم سن السابعة عشرة، ماتت أمه، فورث عنها بعض المال، وهجر دكان زوج أمه، وافتتح لنفسه دكان بقالة، وتزوج من ابنة عطار في الحي، وعاش معها في بيت أبيها.

وكانت هذه الفترة ذات أثر كبير في حياة بيرم، فان عمله في دكان يملكه، ويجد فيه الحرية، أتاح له أن يقرأ كثيراً، فكان يشتري الكتب القديمة ليبيع فيها بضاعته، ولكنه كان يقرؤها قبل أن يستعملها في لف البضاعة .

وفشل بيرم في التجارة، ولكنه نجح في أن يفوز بمحصول طيب من الثقافة، وفي تكوين ملكته الفنية، التي هيأه لها استعداده، واستهواه من ألوان الأدب الشعر والزجل، فقرأ لمشاهر زجالى ذاك العصر كعبد الله النديم والشيخ أحمد القوصي والشيخ محمد النجار وأمثالهم .

وبدأ بيرم يعشي مجال الأدباء بالاسكندرية، ويخالط الصحفيين، ونظم شعراً وزجلاً، ولكنه لم يرض عنه، ولم يحاول نشره، بل كان يكتفي بأن يقرأه قصيدته المشهورة في نقد المجلس االبلدي، التي يقول فيها --:

يا بائع الفجل بالمليم واحدة

كم للعيال وكم للمجلس البلدي

اذا الرغيف أتي فالنصف آكله

والنصف أجعله للمجلس البلدي

كأن أمّي آبل الله تربتها

أوصت وقالت أخوك المجلس البلدي

ولفتت هذه القصيدة الأنظار إلى بيرم، وأفسحت له مجالاً مرموقاً بين الأدباء، فقرر أن ينشيء لنفسه صحيفة تنشر أفكاره ومنظوماته، لأن معظم الصحف التي كانت تعني بنشر الشعر والزجل كانت تصدر في القاهرة، ولكن الحكومة رفضت أن تعطيه ترخيصاً باصدار جريدة، فأصدر نشرة باسم ''المسلة ''صدر العدد الأول منها في يوم 4مايو سنة 1919 ، وكتب في صدرها ''المسلة لا هى جريدة ولا هى مجلة ''ولكن الحكومة صادرتها بعد أن صدر منها 13عدداً ثم أصدر بعدها نشرة باسم ''الخازوق ''لم يصدر منها غير عدد واحد .

وظهر في هذه الحقبة من الزمن الفنان سيد درويش، فسعى بيرم اليه، وبدأت بينهما صداقة أساسها اعجاب كل منهما بفن الآخر، ونظم بيرم لسيد درويش كثيراً من أغانيه العاطفية والوطنية .وكان بيرم قد أنجب ولدا أسماه محمداً، وبنتاً سماها نعيمة .ثم ماتت زوجته فلم يمض غير أسبوعين ثم تزوج بعدها.

وفي عام 1920جاء الحادث الذي كان سبباً في تغيير مجرى حياة بيرم تغييراً كاملاً.

كان بيرم يحاول أن يشق طريقه وينال الشهرة بسلوك طريق الجرأة في النقد، والهجوم على الشخصيات البارزة، وفي هذه الفترة ولد ''فاروق ''، فتهامس الشعب بأنه ولد بعد أربعة أشهر من زفاف أمه ''نازلي ''إلى

السلطان احمد فؤاد .وتلقف بيرم هذا الهمس ليجعله صياحاً مدوياً، فنظم زجله المشهور الذي جعل عنوانه ''القرع الملوكي والباميه السلطاني ''والذي يقول فيه:-

مرمر زماني يا زماني مرمر
البنت ماشيه من زمان تتمخطر
والغفلة زارع في الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامي
اسبق على القيه وسوق قدامي
تلقى العروسة زي محمل شامي
وابوها يشبه في الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وجيب لها شبشب يكون على ذوقك
ونزل النون القديم من طوقك
يطلع كويس لا الولد يتكبر
ويوم ما ينزل بالجاكته الكاكي
والسته خيل والقمشجي الملاكي
تسمع قولتها ....
العافيه هبله والولد متشطر

ثم يختم الزجل بهذه الكنايات والتورية المفهومة فيقول --:

الوزه من قبل الفرح مدبوهه

والعطفه من قبل النظام مفتوحه

ولما جت تتجوز المفضوحه

قلت اسكتوا خلواالبنات تتستر

مرمر زماني يا زماني مرمر

وهاج القصر وماج، وتناقل الشعب هذا الزجل المر، معجباً بجرأة ناظمه، وتوقع الناس ان يبطش السلطان بيرم، ولكك بيرم ظل بعد هذا الزجل عدة أشهر ينعم بحريته دون أن يستطيع يد أن تمتد اليه .وحسب الناس أن بيرم هو الوطني الوحيد، والشجاع المفرد الذي استطاع أن يصفع فؤاده هذه الصفعة الجريئة، ولكنهم لم يفطنوا إلى حقيقة تختفي وراء هذه الشجاعة ...هذه الحقيقة هى أن بيرم كان تونسياً .وكانت تونس تحت الحماية الفرنسية، وبرغم أنه ولد في الاسكندرية فقد ظل متمسكاً بالحماية الفرنسية، لم يتنازل عنها، ولم يعتبر نفسه مصرياً، لأن هذه الحماية كانت تمكنه من أن يهاجم من يشاء بقلمه وهو آمن ...وتحت راية هذه الحماية هاجم الأزهر والأزهريين والمجاورين، كما هاجم الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية يومئذ بزجلين عنيفين، قال في احداهما :-

أول ما نبدي القول نصلي على النبي

نبي عربي يلعن أبوك يا بخيت

وقال في الثاني :-

يا شيخ طماطم يا زرع بدري

جك البلا في وشك المجدر

ورأى القصر نفسه عاجزاً عن أن ينتقم من بيرم بسبب الحماية الفرنسية التي كنت مبسوطة عليه .فلجأ إلى وسيلة أخرى لتأديب بيرم، بطريقة ليكتشف بها أمر هذا الانتقام .

رأى أن يسلط عليه شخصاًآخر يتمتع بنفس الحماية الفرنسية، ورأى أن أقدر انسان على هذا العمل شخص جزائري كان يعيش في مصر اسمه ''يوسف شهدي ''.

كان يوسف شهدي ''فتوة ''و ''بلطجياً '' ...يضرب ويبطش ويغتصب، ولا يتورع عن القتل، يفرض الأتاوات على الفنانات وبيوت الفسق، والبوليس عاجزا عن أن يمد يده اليه، لأن الجزائريين كانوا يتمتعون بمثل ما يتمتع به التونسيون من حماية فرنسية .فأغدق القصر على يوسف شهدي، وطلب اليه أن يتعدى على بيرم ، فكان كلما رآه في ملهى أو مسرح، أو التقى به في شارع عماد الدين ضربه ضرباً مبرحاً.

وأراد بيرم أن يشتري مسالمة يوسف شهدي، فكان يعطيه ما يستطيع من نقود، ولكن يوسف شهدي كان يأخذ ما يعطيه له بيرم ويواصل الاعتداء عليه، حتى كان بيرم يضطر للاختفاء في بيته أياما متوالية.

وحدث ان كتب بيرم مقالا في مجلة ''الخازوق ''التي لم يصدر منها غير عدد واحد ، سب فيه محمود فخري ''باشا ''الذي كان محافظاً للقاهرة، وكان زوجاً ''للأميرة ''فوقية ابنة ''السلطان ''فؤاد من زوجته الأولى''شويكار '' .وعندئذ أيقن زجال القصر أن بيرم لن يرتدع باعتداء يوسف شهدي عليه، واضطر السلطان فؤاد نفسه للاتصال بالمندوب

السامي البريطاني، وشكا اليه من حماية السفارة الفرنسية لبيرم، فاتصل المندوب السامي بدوره بالسفير الفرنسي، ورجا منه أن يأمر بنفي بيرم مجاملة للسلطان فؤاد .واستجاب للسفير لهذا الرجاء، ونفى بيرم إلى فرنسا .وكان ذلك في عام . **1920**

لم يكن بيرم يتوقع أن يحدث هذا على الاطلاق، ولهذا وقع أمر النفي على نفسه وقوع الصاعقة، وادرك أنه لن يرى أولاده بعد أن يغادر مصر.

فلما غادر مصر، وكان ذلك في يوم عيد الأضحى كان أول ما نظم بعد وصوله إلى باريس زجلاً يقطر ألماً وحسرة، يقول فيه --:

يوم الدبايح كان   آخر مواعيدك
وقفت لك فرحان   أنصب رايات عيدك
وافرش لك الريحان   واسمع زغاريدك
زعق عراب البين   فصلت أكفاني

***

خيبة أمل ومرام   واعر ومتعمر
ياريته كان في منام   يصبح ويتفسر
أو حكم بالاعدام   ع الناس بيتسطر
ما كان تشوف العين   حالي اللي بكاني

***

عالسين يا مصر مشيت   اياك تسليني
عليه عبد جولييت   تركي على صيني
ياما لقيت ورأيت   جمال ينسيني

واتفكر الهرمين   تجري الدموع تاني

وصل بيرم إلى فرنسا في عام **1920**، وهناك قاسي من الوان الجوع والحرانما يذيب الحديد وعمل في كثير من الأعمال الحقيرة المرهقة في سبيل ما سيد به الرمق، وبعد عام ونصف عام استطاع أن يعود إلى مصر متسللاً، ولكن السلطات المصرية قبضت عليه وأعادته إلى فرنسا، وظل في هذا الشقاء حتى عام **1932**، وخلال هذه المدة أرسل عشرات من التظلمات والاسترحامات للسلطات المصرية دون أن يلتفت اليه.

ومن بين هذه الاستعطافات زجل نشره في بعض المجلات المصرية يخاطب فيه الملك فؤاد قائلاً:-

يابو الفاروق يسعد عصرك

دي اسكندريه هلال مصرك

والنجمه رأس التين قصرك

وإنت في النجمه ضياها

***

ومين باريسنا يفوقك

دم الملوك مالي عروقك

وصل جدودك بفاروقك

ورعرع الشجره اياها

***

من أصلها الأصل الغالي

لفرعها الفرع العالي

ضليله للناس عقبالي

ما أعيش وأموت تحت نداها

***

ومنها زجل آخر يوجه فيه الحديث للملك فؤاد قائلاً --:

أنا اتلهبت وخدل زندي

مانيش بي الله غاندي

ان كانت الغلطات من دي

يكون في عون اللي عملها

***

ان كان على الملح أكلنا

وان كان على السجن دخلنا

والصوم نخلناه ونخلنا

خللي اللي فاضل لرجالها

***

أنا اللي ضليت في جهادي

وغشني سحر الوادي

حدفت للنيل أولادي

من بعد ما عمرو دخلها

***

يا ام الكرانك والدلتا

حاتعملي طرشه لامتى ؟

ما اتغيرت كلمة ''زفتى ''

الدنيا ايه اللي جرالها

***

باريس خلاص صبحت خاربه

اللقمه فيها بمضاربه ...

وانا اترميت وسط مغاربه

الغلب والكرب قتلها

***

وفي هذا الزجل بنفس عما في صدره من ألم وحنق لمناداة الزجالين بأبي بثينة ''أميرا للزجالين ''في مصر فيقول :

خراب ما يحتاج لمعاينه

وفن باير واهى باينه

أميري جوز أم بثينه

وأنا الرعيه وعيالها

ثم يختم زجله قائلاً :-

يا مصر هجرك يكفاني

يا عامله قمع وناسياني

دا يوم ما حرجع لك تاني

حتبقى رجعه برسمالها

***

وفي عام **1932** استحكمت الأزمة في فرنسا، فأصدرت الحكومة الفرنسية أمراً باخراج الأجانب الذين يعملون فيها، لافساح مجال العمل للفرنسيين العاطلين، فخرج بيرم إلى تونس، وظل هناك سنوات حاول خلالها أن يجد مجالاً للرزق، دون أن يظفر الا بعيش الكفاف .واضطر في عام **936**أن يرحل إلى سوريا، ولكن فرنسا كانت تحتل سوريا في ذاك الوقت، وكانت تعتبر بيرم شخصاً سورياً في ذاك الوقت، وكانت تعتبر بيرم شخصاً غير مرغوب فيه، ولهذا قررت اخراجه من سوريا فغادرها في نفس العام عائداًإلى فرنسا.

وعند ما وصلت الساخرة التي نقله إلى بورسعيد، لذعه الجنين إلى أسرته وأولاده ، فتسلل في فارب من القوارب ''ألمان بوت ''الذين يسمونهم ''البمبوطيه ''، واستطاع أن يصل إلى البر، ومن بورسعيد جاء إلى القاهرة، واختفى فيها عدة أشهر، سعى خلالها بعض المعجبين به لدى المسئولين للعفو عنه .ونظم أثناء اختفائه أزجالا يعلن فيها توبته ، منها الزجل الذي نظمه ساعة أن وطأت قدماه أرض بورسعيد، والذي يعد من روائع فن الزجل، لما يمتاز به من قوة المعنى ورقة اللفظ وصدق التعبير عن الحنين للأهل ويقول فيه:

غلبت أقطع تذاكر	وشبعت يارب غربة
بين الشطوط والبواخر	ومن بلادنا لأوروبا
وقلت ع الشام أسافر	اياك ألاقي لي تربه

فيها أجاور معاوية　　　　واصبح حماية أميه

***

جاورت)قاسيون (وجيرته　　　　توحش ولافهش حاجه

وعزرائيل انتظرته　　　　ما جاش وجاني الخواجه

نافخ وسايق امارته　　　　وقال لي .شوف السماجه !

البر تحت انتدابنا　　　　أخرج ماهياش وسيه

***

رجعت للبحر تاني　　　　مقهور وراجع فرنسا

ولسه طعم البوراني　　　　فاكره وانا عمري ماانسى

وان رحت تونس كفاني　　　　عذاب انا والتوانسه

''غاملان ''محضر مدافن　　　　للأمة والامة حيه

***

في بور سعيد السفينه　　　　رست تفرغ وتملا

والبياعين حوطونا　　　　بكارت بوستال وعمله

لكن بوليس المدينة　　　　ما تزوغش من جنبه نمله

يا بورسعيد والله حسره　　　　ولسه يا اسكندريه

***

هتف بي هاتف وقال لي　　　　انزل ومن غير عزومه

انزل دي ساعة تجللي　　　　فيها الشياطين في نومه

انزل دا ربك تملى　　　　فوقك وفوق الحكومة

نطيت ف ستر المهمن　　　　للشط يا حكمداريه

***

وأقول لكم بالصراحه　　اللي ف زماننا قليله
عشرين سنه في السياحه　　وأشوف مناظر جميله
ما شفت يا قلبي راحه　　في دي السنين الطويله
الا اما شفت البراقع　　واللبده والجلابيه

***

يا مصر نور الوسامه　　ساطع باين شروقك
لجن السلام والسلامه　　الدنيا سامعاه في بوقك
والجو فوقه ابتسامه　　زي ابتسامة فاروقك
تحوم عليها الملايكه　　وتنطق الانسانيه

***

يا فرحتي يا هنايا　　حضرت في عيد جلوسه
وكل قصدي ومنايا　　أفرش له خدي يدوسه
واخد تراب السرايا　　من تحت رجليه أبوسه
بس الحكمدار وجيشه　　داير يدور عليه !

وهكذا طحن الزمن بيرم، وظل يصهر صلابته حتى أذابها، وأرغمه على أن يمالي من وصفه يوما بأنه ابن سفاح .فلما أثمرت استعطافات بيرم، وأراد القصر أن يصدر مرسوماً بالعفو عنه، لم يجد مرسوما سابقا بنفيه، لان نفيه كان بأمر السفارة الفرنسية، وأخيرا رؤى التغاضي عن وجوده في الأراضي المصرية.

وقضى بيرم في مصر 24عاما أنسته آلام الغربة، ومرارة الحرمان، إلى أن توفاه الله في مساء 5يناير سنة 1961بالغا من العمر ثمانية وستين عاما الا قليلا.

بقيت كلمة عن أثر هذه المآسي في أخلاق بيرم، وفي فنه، وفي نظرته إلى الناس .

لقد نشأ بيرم في حي فقير ذاق فيه الفقر والمتاعب وما كاد يشب حتى رأى والده يتزوج من زوجة أخرى ويهمله ويهمل أمه، ثم رأى نفسه يتيماً بعد أن مات أبوه في بيت الزوجة الأخرى، وسمع أن هذه الزوجة قد دست السم لأبيه .واستولت على ما كان يحمله من أموال ...ثم يفاجأ بأن أمه قد تزوجت من رجل آخر يرى نفسه مضطراً للعمل تحت أمره، ثم تموت أمه فيفقد آخر قلب كان يعطف عليه، ثم يتزوج فلا تلبث زوجته حتى تموت تاركة له طفلين ...صدمات متلاحقة، حجرت عواطف بيرم، وملأت قلبه بالقسوة .فلم يعد يحس بشيء اسمه الحب، ولا يؤمن بشيء اسمه الوفاء أو الصداقة، ويتجلى شعوره هذا في اقدامه على الزواج بعد أسبوعين اثنين من وفاة زوجته.

وينفى بيرم فلا يجد عونا ممن كانوا يزعمون انهم أصدقاؤه .كلهم يخشون أن يتصلوا به فيغضب عليهم السلطان، وأصحاب الصحف الذين كان يغذى صحفهم بانتاجه الرائع الضخم ، كانوا يضنون عليه وعلى أولاده ببعض ما يستحق .

في فرنسا قسا عليه الفرنسيون، وعجز عن أن يستخلص من انيابهم لقمة العيش الا بأشد العناء ، ولقى في بلادهم الذل والمرض ، وفي تونس

تنكر له أهل أبيه، ومن سوريا طرده الفرنسيون، وفي مصر كان أولاده – كأبيهم –لا يجدون القوت وانتاجه يفيض الرخاء على أصحاب المجلات. وفي هذا يقول في مرارة :–

الأوله مصر قالوا تونسي ونفوني
والثانيه تونس وفيها الأهل جحدوني
والتالته باريس وفي باريس حايرموني

ومن مجموع هذه المآسي والصدمات فقد بيرم ايمانه بالناس، وكفر بالصداقة والأصدقاء، وتحجر قلبه فلم يمنح وده لأحد .ولم يعد يأمن لانسان، وأصبح يتوجس شراً من القريب والبعيد.

ومن مجموع هذه المآسي والصدمات ازدادت موهبة بيرم لفنية صقلا وصفاء ، واتسعت آفاق خبرته وفنه، وتجلت مقدرته وبراعته في تصوير حياة الطبقة الفقيرة في البيئة المصرية، ولكنه لم يكن يصور من حياة هذه الطبقة الا الجانب الموجب للنقد، وأسرف في هذا التصوير حتى اتهمه البعض بأنه يتعمد ابراز مساوىء البيئة المصرية.

ومن حق بيرم علينا وعلى التاريخ أن نقر له بسمو الموهبة، التي تصل به إلى حد العبقرية ، فهو كزجال يعد في القمة، ويعد أستاذ مدرسة عجز تلاميذها عن مجاراة أستاذهم لأنهم لا يتمتعون بمثل عبقريته.

ومن حق بيرم علينا وعلى التاريخ أن تقول أنه على الرغم من كفره بالصداقة والأصدقاء، ونكرانه للوفاء والأوفياء، فقد كان يحمل قلب مسلم صادق الايمان، سليم العقيدة .ويتجلى هذا الايمان في كثير من

أزجاله، ولكنه يبرز بوضوح تاد تلمسه في زجله الذي جعل عنوانه ''النسوان ''، والذي يقول فيه موجها الحديث إلى الذات الالهية :

في كل عام للورد أوان

الا النسوان

بقدرتك ثابتين ألوان

أبيض وأحمر

وانت اللي تعلم وأنا أجهل

فيه ايه أجمل

من الخدود اللي لا تدبل

ولا تتغير

ودي العيون اللي اشهدلك

بها واسجد لك

دي خلت الطاغي انقادلك

والمتكبر!

والشفتين اللي فالقهم

كنت خالقهم

للابتسام والا رازقهم

دا انت تحير!

العبد يعشق بالقوه

عشق لجوه

وكمان جهنم ؟ ايه هوه ؟!

ماحناش معشر؟

بذمتى انت اللي جاذبني

يا معذبني

ويا اللى ذوقك يعجبني

لما تصور

لك صنعه في العين والحاجب

بها تتعاجب

ونقول وجود الله واجب

مين به يكفر؟

ولك قوالب في الاجسام

غلب الرسام

يقلدك بحجر ورخام

يلقاك أشطر

ثم يمضى هذا الزجل يخاطب النسوان، ويصف فتنتهن في التكوين، وفي أناقة الملبس، وفي الدلال، وصفاً يتفوق به على كثيرين من مبدعي الشعراء فيقول --:

يا ست يا زناق محبوك

وقميص مفكوك

حطي على القلب المشبوك

ايدك .يعمر

ويام نص ملايه حرير

والنص يطير

على الكتاف أنا عقلي صغير

غطى المرمر

ويا للى ساقك يسوى رقاب

حارت ألباب

في لون حقيقته ان كان ''بشراب''

والا ''مفشر ''!

ويسترسل في هذه الأوصاف الرائعة حتى يقول --:

يا مسلمين الله يا حريم

أنا مالي غريم

غيركم أروح وياه في جحيم

يوم المحشر

ومرة أخرى يتجلى صدق ايمانه هذا في مواويله التي ينحي فيها بالائمة على من يعبدون الله لغاية فيقول --:

يا رب سلطان جلالك يتعبد للذات

خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات

لكن عبيدك وخلقك يعبدوك لغايات

صبحوا -وانا عبد منهم -كلهم ترسات!

****

التاجر أما افتقر صلى وصام الفرض

والعمده لما اترفت جالك وقع ف العرض

والقطن لما اتحرق صاحبه سجد ع الأرض

وكلهم عالعبادة يطلبوا حسنات

ولما اعملوا بالشرع والسنه

اضمن لكم يا عبادي الخلد في الجنه

جنات بها المتقين بالحور تنتهي

قام المريض والمكسح بالسبع ركعات

هذا هو بيرم الذي قسم القدر حياته إلى ثلاثة أقسام تكاد تكون متساوية في مداها .فجعل منها قسما لطفولة قلقة مضطربة مضيعة، وقسما للنفي والعذاب والتشريد، ثم ختمها بقسم فيه رضا ورغد واستقرار، لا تشوبه الا رواسب حقد على ما لقى في شطري حياته السابقين من شقاء .

ويجب الا تنسيا براعة بيرم الزجلية، براعته في ناحية أخرى، نال فيها من الشهرة ما يتساوى مع شهرته في الزجل، تلك ناحية ''المقامات''.

ان مقامات بيرم لون رائع من ألوان الأدب، فيها السجع الرصين، والمعنى الجميل ، ويخالطها الشعر الجامع بين الجد والهزل، إلى جانب الفكاهه البارعه، والهدف المحدد.

وفيما يلي أمثلة من تلك المقامات، تجلى فيها كل تلك المزايا ، ويتجلى بشكل واضح جمعها بين متانة القديم وطلاوة الجديد .

فهذه مقامة اسمها (المقامة البليجامه) تناول فيها ما كان شائعاً في سفاراتنا ومقوضباتنا في العهد المبائد من فساد وركود .قال :

''حدثنا الفالح بن فلحان قال ...بسم الحظ الخريجين عشرة أنفار، وأوقفوهم للانتخاب للعمه، وطلبت السفارات أئمه .فاختاروا من والاختيار، لأنه لا يجوز الذهاب إلى أوروبا، الا لمن تهذب وتربي .وكان حسن الهيئه، شريف البيئه .فجعلوا يفحصون الأجسام، ويتأملون الشكل والقوام، ويختبرون الكفاءات ، ويسألون عن الآباء والأمهات، فكانت النتيجة كما يأتي--:

الشيخ دسوقي :

أهرث الشدق أسود الناب يبدو

فمه النتن ماضغاً فاسوخه

الشيخ رضوان :

فيلسوف أرخى على الصدر منه

لحية ذيلها كذيل الفسيخه

الشيخ الشندويلي :

يكثر البصق في الهاء ولا يب . .

. . صق الا فتى يعر شيوخه

وبعد أن يصف بيرم بقية المشايخ بهذه الأوصاف البارعة، يقول :-

فأسقطوا هؤلاء النفر ، واختاروني للسفر ، لما رأوه في من علم عزير ، وأدب كبير، وملابس من حرير، فقطعوا لي التذكرة، في أول باخرة، وخرج المشايخ لوداعي، وهم يودون هدمي واقتلاعي، ووصلنا إلى مقر الوظيفة، في السفارة المنيعة، فاستقبلني السفير في الصالون، وأجلسني على

الشازلون، وقال .اعلم أننا لم نستحصرك للسجود والرجوع، ولكن ليتم بك الموضوع، فالسفارات جعلت للأبهة والفخار، لا للنفع والاتجار، ولا يلزم من العمل غير الذهاب والايا‌ب، والوقوف على الباب، حت اذا قيل لمن هذا القصر؟ قيل هذه سفارة مصر .قم الآن مع السكرتير ليفتش لك عن مسكن، ويساعدك بقدر ما أمكن .فذهب معي السكرتيرواشترينا الملابس الأفرنجية من جاكتة وبنطلون، وفانلا وقلصون، وقميص وقبعه، ومناديل أربعه .ثم أجرنا ''قبرطمان ''، أصحابه نسوان، ومكست أسبوعاً للاستراحة، أتبين المنزل وأفراحه، وقد اكتشفت فيه احدى العبر، واليك الخبر .دخلت على المرأة صاحبة البيت فوجدتها لابسة لبس الرجال . حالقة سوالفها والقذال .ثم جلست على الفوتي، بهذا الزي، ووضعت رجلاً فوق أخرى، فظننتها تريد بي سخرا، فقمت إلى السفارة وسألت السكرتير -- :

هل تلبس النسوان في خلواتها

لبس الرجال ومثلهم تتقمط ؟

قال ما الخبر ؟ فقلت ------------:

أبصرت ربة منزلى وثيابها

مثلي ومثلك لا أراني أغلط

قال وكيف كان ذلك ؟ قلت ------------:

في بنطلون فوقه جاكتة

مفتوحة منها النهود تلعلط

قال وماذا أيضاً ؟ قلت ------------:

لا ياقة فيهما ولا قرفاطة

الا شريط فوق خصر يضغط

قال هذا غريب !ما لونها ؟ قلت ------------:

زرقاء كالبحر المموج منتهي

بالأبيض القلم الحرير مخطط

فابتسم ، فقلت ------------:

أفكان سخرا ذاك أم هى موضة

قل لي فعقلي منذ ذاك ملخبط

فقال هذه بيجامة تلبسها الأوروبيات في المنزل ، فقلت : --

ان كان هذا فالبجامة شكلها

في مذهبي شكل يسر ويبسط

قال هل أعجبتك ؟ فقلت :--

لفاء كالتمثال حتى خلتها

من مقلتي لا من يدي تتزقلط

قال فهن يرقدن بهذه البيجامات ، فقلت :

متشكر لجنابكم ...متشكر

شكراً يدوم بقدر ما سأزبط

***

وردية مثل بنات الجرمن

رشيقة كفتيات لندن

تحسبها مسبوكة من معدن

لكنها مخلوقة من ملبن

وذاك لما تلتوي أو تنثني

أعضاؤها من حسن وأحسن

تغزو وتحتل فؤاد المحصن

أسمعها من خلف الباب المسكن

تقول للبقال ‘‘يا عبد الغني ‘‘

كأنما أسمع صوت ‘‘الأرغن ‘‘

كانت الأم تزورني مع ابنتها وتسألني عن الميراث، فأقول وأعيد ، وعن القرائض فأشرح وأزيد ، حتى كبرت في عين الكبرى ، وتربعت في قلب الصغرى ، وكان المقاول الرذيل يضايقها بدخوله ، ويزحم الحجرة بعرضه وطوله .

اشتريت لها يوماً ترمساً فجاء في اليوم الثاني ببيدق ، واشتريت مرة لباً وحمصاً ، فذهب وعاد بفستق ، وفي أحد الأيام اشتريت من الغورية زجاجة ورد من تقطير رشيد ، ومن وارد السيد زهران عبد المجيد ، وقلت للسيدتين ، هذه زجاجة ماء الورد الذي يطيل الشعر ، وتصح به العيون المريضة ، وتعطر المهلبية ، فاحفظوها في الصندوق ، ولا يطلع عليها أي مخلوق .

قال :فجاء المقاول في اليوم الثاني ومعه زجاجة ‘‘لاوندة ‘‘كبيره ، كأنها زجاجة بيره ، فلما رأت البنت ما عليها من النقش المزيفه ، والكتابة المزخرفة ، قالت هذه هى الهدية التي توضع في الصناديق ، وقالت الأم : وهكذا تكون هدية الصديق .

وقال المقاول :ان ماء الورد لا يهدي لأهل بيت ، وانما يشتري مع حنوط الميت ، وضحكت المرأتان ، وشمت الجبان ، فقلت والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، ياأبناء العرب .

ويخرج بيرم من هذه القصة الطويلة التي تبدو لأول وهلة أنها لمجرد التسلية ، إلى الهدف الذي يرمي اليه فيمضي قائلاً :

وفي اليوم الثاني دخلت على وزير المالية ، وكانت بيني وبينه علاقة ، أكثر من الصداقة ، وقلت بكل صفاقة --:

يا أيها الراقدون هبوا
فالكون بالراقدين يمشي
بلادنا اليوم قد أحبطت
من كل أقطارها بجيش
من كل مستبسل شجاع
يقودهم للأمام ''دوتشي ''
وما السلاح الذي اقتنيتم
لحكومة الحرب غير قش
قلتم لنا مالنا قليل
قلنا وما ذاك غير تنش
المال تحبونه ولكن
بكل محق وكل بطش
فكم حجزتم على رغيف

ورطل سمن وصحن مش

وقفل بيت وكوز ماء

وزوج نعل ونصف برش

هذي ''اللواندا ''التي تفشت

في قطرنا أنما تفش

تباع بالكثر وهى ماء

فيه من الغش كل غش

تباع للشيخ والافندي

وراجح العقل والمفش

ضعوا على اللتر ألف قرش

والف قرش وألف قرش

ثم اجمعوا الربع واحسبوه

تلقوه واللح حمل ونش

وهكذا يجمع بيرم في مقامة واحدة بين نفد الضرائب الفادحة، وبين نقد اتفاق هذه الضرائب في الكماليات واهمال تقوية الجيش.

واذا كنا في حاجة إلى دليل على أن شاعرية بيرم لم تكن في قوتها وتألقها أقل من عبقريته الزجلية .فإن هذه الأبيات تعطينا البرهان القوي هذه الشاعرية الفذة.

يصف بيرم في احدى مقاماته مرقصاً على لسان شيخ معمم فيقول:

''فما كاد يستقر بي القرار، حتى قرعت الاوتار، واختلط النظام واعتكر، وتأبط كل انثي ذكر، فلو سألتني عن هذا المنظر العجيب، لما استطعت أن أجيب، فان عروقي كانت تختلج وتضطرب، وقلبي يهتز من الطرب، فقل معي على تلك الأنغام، ووقع الأقدام

يا صاح وحقك ليس علي

من راح المرقص من حرج

جمعوا الفتيان مع النسوا

ن فيا للأمر المنبهج

ما كاد معنى القوم يد

ق الدف يلحن منه شجى

حتى انفرطت وحداتهمو

ثم ازدوجت بالمزدوج

رجل وقرينته التصقا

بصدور العز وبالمهج

فعلى كتفيه معاصمها

ويداه بخصر ذي عوج

فاذا انجذبت فلتنجذب

واذا اختلجت فلختلج

واذا نقلت قدما رفعت

قدما والرفع بلا عوج

مضيا بذراعين اندفعا

بها كالسابح في اللجج

ورواحهما ومجينها

لا زال على ذاك النهج

طورا كالصاعد في درج

أو كالمنحط من الدرج

من كل اثنين اثنين معاً

ذهبا في اللعب وفي الهرج

وفقيه القوم على حدة

قمن بالشوق المعتلج

في الركن يرقص لحيته

وتروح عامته وتجي

قد كان يموت بحرقته

لولا ما فاح من الأرج

وخواتمهم وأساورهم

طمست عينيه من الوهج

والمقامة تروي بعد ذلك كيف عوض الشيخ حرمانه من الرقص بطبق حافل بألوان ''الساندويتشات ''في أسلوب رقيق بارع تفرد به هذا الفنان الموهوب.

محمود رمزي نظيم ..كنيته "أبو الوفاء"

ولد في بلدة بركة السبع بالمنوفية في 14فبراير 1887.
وكان أبوه مأموراً للضبط .وكان قبل ذلك أركان حرب العمليات العسكرية بن الثورة العرابية، أما أمه فكانت مصرية انحدرت من أب تركي وأم سودانية، ويرجع نسب أبيه إلى الأمام الحسين رضي الله عنه.

وقد توفى والده وعمره عام واحد .وعند ما بلغ السادسة من عمره ماتت أمه .فلما بلغ الثانية عشرة ضمه اليه خاله المرحوم اسماعيل عاصم ''بك ''وكان من مشاهير المحامين وكبار الأدباء .وقد تعهده بالتهذيب والرعاية، وشجعه على الاتجاه إلى الأدب، حتى انه نظم الشعر وهو ما زال طالباً.

وكان أبو الوفاء وطنياً شديد الحماسة منذ كان يشترك في المظاهرات، لا بمجرد الهتاف، بل وبالهاب حماسة المتظاهرين بخطبه وأشعاره وأزجاله، وأهل الحماسة هى التي جعلته يختار الصحافة مهنة له، ليتخذها وسيلة للدفاع عن حقوق الشعب.

وكان قلم محمود رمزي نظيم سبباً في دخوله السجن عدة مرات في عهود مختلفة، فلما جاءت ثورة سنة 1919وثار الشعب المصري بقيادة سعد زغلول، كان رمزي في طليعة الثوار، لا يكتفي بما يكتبه بقلمه، ولا بما يلقيه كم خطب حماسية وقصائد مثيرة ، بل كان يقود المظاهرات، ويؤلب الجماهير ، حتى عرف باسم ''شاعر الثورات ''وأطلق عليه ''قائد المظاهرات ''.

وكان من أبرز خلاي ابي الوفاء خلتان، الجرأة في الحق، والتصوف التابع من قلب عامر بالأيمان الصادق والاسلام الصحيح، ومن دلائل جرأته أنه عند ما قبض عليه في احدى المرات سأله وكيل لنيابة.

- هل قمت بالدعوة إلى الثورة؟

قال :نعم .وأنا على استعداد لأن أدعو لها، لا في مصر وحدها، بل وفي كل بلد فيه احتلال أو حماية أو وصاية أو انتداب.

وعاد وكيل النيابة يسأله:

- بأية طريقة تدعو للثورة

قال :بالقتل والاغتيال .بالحديد .بالنار .بكل وسيلة يمكن أن تؤدي إلى الحرية والاستقلال.

وقد يبدو هذا الاتجاه غريباً من محمود رمزي نظيم الزجل الذي عرف برقة العاطفة، والذي يدوب عطفاً وحناناً، ولا يمد أصبعا بأذى . ولكن أبا الوفاء كان رجلاً يعرف دينه حق المعرفة، ويعلم أن الاسلام لا يهاذق المعتدي الظالم .وان سياسته هى ''من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ''

وكان يعلم أن الاسلام دين العزة والكرامة، ولا كرامة مع الضعف أو التخاذل، ولهذا كان يدعو جهرة إلى سفك دماء الانجليز .وكان مع اعجابه الشديد بغاندي زعيم الهند، لا يقر سياسة المسالمة والعصيان المدني التي يحارب بها الانجليز، فهو يخاطبه بقصيدة من روائع الشعر يقول فيها--:

ايه غاندي لا تقل سلما فما يجدي السلام

انما يجدي اندفاع ...لملاقاة الحمام
رحمة الله على كل شهيد وشهيدة
تنتج الثورة خيرا كلما كانت شديده
ان عصيانك هذا ثورة فيها ملل
انما الثائر حقاً من اذا ثار قتل
ان من عاش ضعيفاً حقرته الأقوياء
فادفع القوة بالقوة واتبت للبلاء
صاح ان السلم لا يضمن تحرير الشعوب
انما يضمنه السيف الذي يفري القلوب

عرفته منذ عام 1921 وظللنا طول هذا العمر على اصفى ما يكون الأصدقاء الأوفياء، لا اسمع منه الا الكلمة الطيبة، والدعوة الصالحة .وكان يومئذ يعمل محرراًفي جريدة النظام، وينشر أزجالاً أسبوعية في جرية السيف، وفي عام 1923 رأت جريدة السيف أن تجمه أزجاله في كتاب .فكان من حظي أن عهدت إلى الجريدة بجمع هذه الأزجال وتبويبها، والاشراف على اخراجها باسم ''أزجال نظيم ''.

وبعد ان توقفت جريدة النظام عن الصدور عمل في صحف أخرى إلى أن استقر في جريدة البلاغ وظل فيها حتى عام 1945، وفي تلك السنة التحق بوظيفة بوزراة الشئون الاجتماعية، فكان برغم كبر سنه مثلاً طيباً للنشاط والاخلاص في عمله، واستطاع أن ينشيء للوزارة مكتبة وأن ينظمها نظاماً دقيقاً.

وفي سبتمبر من نفس العام وقع الاختبار عليه وعلى كاتب هذه السطور لتمثيل مصر في مؤتمر الزجل العربي الذي عقد في لبنان، واستطاع كل منهما أن يظفر لمصر بنصر أدبي كبير، فقد أنتخب محمود رمزي نظيم رئيساً للمؤتمر الأولى –وسام الاستحقاق اللبناني –في مباراة الزجل العربي التي أقيمت بمدينة عالية في سبتمبر سنة **1945.**

وفي لبنان استطاع رمزي أن يملأ قلوب اللبنانين اعجاباً وتقديراً لشخصه .بدماثة خلقه وقوة عارضته،وقدرته على الارتجال.

والحق أن ابا الوفاء كان كاتباً لامعاً، وكان شاعراً عربياً رصيناً، وكان زجالاً من أئمة الزجالين، وكان معروفا بين أصدقائه باخلاصه لصوفيته. وولعه بالروحانيات ، وتعمقه في دراسة علم الفلك .كما اشتهر بينهم بقدرته على قراءة الكف، فكان يتناول أكف أصدقائه، ويقلبها بين يديه، ثم يروي لهم من أخبار حياتهم ما تستنشقه روحه الصافية، ونفسه المؤمنة، ولم تكن يزعم أنه يعلم الغيب، ولا يدعي معرفة المستقبل، انما يفعل ذلك على سبيل التبشير بالخير .

ولمحمود رمزي نظيم مؤلفات عديدة منها ''كأس الحكمة'' و''الموشحات '' و''ديوان نظيم'' و''أزجال نظيم'' و''سعد زغلول'' و''الحان الأسى'' و''تحت ظلال النخيل'' وغيرها.

وبعد وفاته إلى رحمة الله في ظهر الجمعه **25**يونية سنة **1959** قام أديبان من أوفى أصدقائه، هما الأستاذان محمد على أبو طالب ومحمد على الغزالي الجبيلي بجمع الكثير من المرائي التي قيلت فيه، وضم الكثير من

أشعاره وأزجاله، في كتاب ضخم جعلا عنوانه ''الرمزيات ''فكان عملهما هذا خدمة جليلة للأدب.

وفيما يلي نموذج من شعره من قصيدة بعنوان ''تجلي الهلال ''--:

أيها المسلمون توبوا إلى الله

جميعاً واستغفروا استغفاراً

عله يقبل المتاب ويمحو

سيئات منها الوجود استجارا

واستعيدوا الذكرى فذلك يوم

ملأ الكون بهجة وفحارا

حان وقت الجهاد للدين والدنيا

ما فهبوا وجاهدوا أبرارا

ان موتا في طاعة الله خيرا

من حياة تمام ذلا وعارا

أي حق في أرضكم لشريد

أو طريد يريدها اليوم دارا

فاطردوهم بقوة ثم ذودوا

عن حماكم وشتتوا انفجارا

كم هرعتم للعم سام فألقى

في وجوه للحق تسعى ، غبارا

ان صوت الاقناع أصبح صوتا

لا ينيل الحقوق والأوتارا

أمم الغرب لم تزل تخدع الشر

ق وتلقى من أهله سمارا

هيئة بعد هيئة ألفوها

أصبح العدل عندها استعمارا

عززت كل ظالم بقواها

واعانت بحولها الغدارا

وارى العدل والسلام لديهم

كمريضين يلقيان احتضارا

كيف احسنتم الظنون بقوم

لا يريدون للحياة قرارا

أي ملك بقيمه نحس صهيو

ن ويبينه عنوة واقتدارا

عرب القدس في غد سوف تلقو

ن من العرب في الكريهة جارا

أمم حولكم تقاتل للحـ

ـق بسيف ما زال يحمي الذمارا

داركم دارنا وطه وعيسى

جعلاها للملتين منارا

ان قبر المسيح فيها وفيها

حرم المسلمين يرعى الجوارا

عرب كلنا يدافع عنها

مسلموها تطوعوا والنصارى

أما أزجال رمزي ففيها نفس القوة والدقة، وهذا نموذج منها--:

ذكرى من الحب باقيه لك وباقيه لي

وصوره للحسن في بالك وفي بالي

يا ما مليت كاس صفا وسمحت تملالي

وياما شفنا ليالي في الهوى وأيام !

اياك يعود الزمن ويهل لي هلالي

***

قال الجميل في الجواب الصبر أولى لك

وقاسى بعدي ونوح وابكي على حالك

وانسى اللي فات في الهوى وامحيه من بالك

فاتت ليالي الهنا بالحب والمحبوب

خلي القضا والقدر من كاسه يملالك

***

أنا قلت فين يا ليالي الاصل القاكي

سا بني حبيب الفؤاد وترك لي ذكراك

هو الضحوك الوسيم اما انا الباكي

ياما أنادي وأردد في الظلام اسمه

وأشكيه لروحه عسى لله يرحم الشاكي

***

وأفوت عليه كل يوم اتمنى ينده لي

وترك قلبي حداه معاه كمان عقلي

مفيش شفى يا جميل ف الدنيا يشبه لي

وانت اللي عالم بحالي بس بتعاند

حقك علي وأنا أستاهل على جهلي

***

اسمح أشوفك ويكفاني طرب رؤياك

أنا الأمين الوفي في البعد وياك

لابد من يوم ولو طال الجفا القاك

وتعرف الود والاخلاص وتتحقق

ده اللي مشي حياته ومستحيل يملاك

***

حسن الفرشوطي

اسمه الكامل حسن عبد الرحيم الفرشوطي نسبة إلى قرية فرشوط بمحافظة قنا، تاريخ ميلاده مجهول من وجه التحديد، ولكنه ولد حوالي سنة **1871**، وعاش حوالي ثمانين عاماً وفقد بصره قبل وفاته.

أولع بالزجل منذ صغره، بعد أن سمع الكثير منه من أئمة الزجل في الصعيد وحفظ لهم الكثير .وقنا أغنى مناطق الصعيد بالزجالين المبدعين، وفيها ظهر حسن عبد الرحيم القفطي، ويوسف صالح القفطي، والسيد علي النابي، والحاج محمد عليوه الأقصري، وحسن زوط، والشيخ السقلي ، وغيرهم .ومما يؤسف له أن هؤلاء جميعا لم يطبع لواحد منهم ديوان، وضاعت أزجالهم الا القليل الذي بقى على ألسنة مواطنيهم، ولا بد أن يضيع مع الزمن .وياحبذا لو قام واحد من الغيورين على الادب من أبناء محافظة قنا، أو قام المجلس الأعلى للفنون والأداب بجمع تراث هؤلاء الزجالين الأفذاذ قبل أن تضيع البقية الباقية منه.

أما حسن الفرشوطي فقد استطاع أن يجمع أكثر أزجاله في ديوان سماه ''الروح الزجلية في سماء الوطنية .

وقد عرف الفرشوطي في بلده بسلاطة اللسان والميل إلى الهجو حتى سمى نفسه ''الخطيئة ''ولهذا كان يخشاه الناس، والحق أنه كان زجالاً قديراً، في أزجاله رقة وخيال، ولو أنه نال قسطاً أكبر من التعليم لكان أقوى مما كان.

ومن أبرز الأحداث في حياة الفرشوطي انه ارتكب ذات مرة ما استوجب حبسه، فلما خرج من السجن تاب واهتدى وانتسب إلى الطريقة الخليلية، وفي أخريات أيامه الحقه بعض من يعطفون عليه ويعجبون به بوظيفة صغيرة بتفتيش ري قنا.

وفيما يلي زجل من أزجاله يصف فيه حياه موظف الحكومة--:

مسكين يبات المستخدم يبني ويهدم
في وسط دايره محدوده
واللي يشوفه بيعيده يطوي بايده
أيام حياته المعدوده
يطلع من المولد يرقص من غير حمص
والدنيا قدامه سوده
والشهر طوّل أيامه من ألامه
يشوفها زي المشدودة
وياجي يقبض يتلخبط يحسب يغلط
وتبقى ساعة مشهوده
يحسب ماهيته وديونه تلقى عيونه
تطلع وتنزل في الأوده
يسمع صراخ الناس بره مره ومره
يعمل ودانه مسدوده
يفضل يداري ويأجل والمستعجل

يسلكه وبالله بعوده

يصبح مفيش حاجة عنده لا في يده

ولا في بيته موجوده

راح اللي راح ونسى الماضي ويصبح فاضي

زي اللي حاجه محسدوه

بربك احكم ويايه من غيرغايه

قالي دي الحياه المنشوده

يعيش وأفكاره تدفن ويخاف تعلن

تفضل في صدره موءوده

وحتى في صالح نفسه خافت حبه

لكن ميوله مرصوده

وكل دا وقبل ما يولد ك انت توجد

فكره توظف موجوده

وادي الذكا المصري وحاله واللي جراله

وادي الحياة المنكوده

قلنا ان قنا كانت منبتا لعدد من الزجالين المبرزين ، وقد ذكرنا أسماء أشهرهم .وهذه نماذج من أزجالهم، وفيها من المعاني الجميلة وحسن الديباجة ورقة اللفظ –على الرغم من كونهم من بلد في أقصى الصعيد، بعيد عن رقة أهل الحضر –ما يشهد لهم بطول الباع في هذا الفن.

كان الشيخ حسن عبد الرحيم القفطي على صداقة مع الحاج محمد علي الافقري، وكانا يتبادلان الرسائل والزيارات وقد كتب الشيخ القفطي للحاج علي بضع رسائل لم يتلق ردا عليها، فأرسل له هذا الرجل يعاتبه فيه على قطيعته قال:-

بعت لك ألفين سلامات

الفين تحيه وشويه

وانا على طول الأوقات

ما شفت واحد من ميه

يخلصك تنسى ودي

والود كانت له أوقات

آخد معاك فيها وادي

واحضر عليك علم ''الواوات ''

***

أنا حسن واسمي حسنين

وكل ازجالي طازه

وفي الزجل صاحب لسانين

وكل واحد له عازه

***

لكن حرام دانت عمي

برضك بتسال وتراعي

ويصبح مني يا عمي

***

أطرف عيوني بصباعي

ان كنت آجي واديكم

أروح وأرجع ف نهاري

وان بت ليله عنديكم

أصبح على ضهر حماري

ولا أشوف غير القاضي

والا ابنه عبد الله محمود

ولا أبوك ان كان راضي

وفي البلد قاعد موجود

***

أوعى تكون تحسب لي حساب

مع الجماعة أقرانك

منين اجيب لي وقت شباب

زي ابن عمك واخوانك

***

افهم كلامي يا عمي

واعرف معاني مضمونة

وخللي بالك من يمي

وعهدنا اوعى تخونه

وفي الواوات الذي أشار اليه الشيخ القفطي في الدور الثاني من هذا الزج، فن اشتهر به أهل الصعيد ، وتخصصوا فيه، وأجادوه، وقلدهم فيه غيرهم من زجالي الأقاليم الأخرى، ولكن أهل الصعيد ظلوا في طليعة المتخصصين في نظم هذا اللون الجميل من الفن الشعبي.

ويمتاز فن ''الواوات ''بما يتضمنه من جناس رائع، وقد يكون هذا الجناس الصدر فقط، وقد يكون في العجز وحده، ولكن المتمكنين من هذا الفن يجعلون الجناس في الصدر والعجز معاً .وفيما يلي أمثلة من الواوات.

قال السيد علي النابي وهو على فراش المرض يتوقع الموت--:.

ان كان رقادي ''تعبكي ''

واحزن شامل ''وسايد ''

لمي حبايبك ''تعا ابكي ''

على فرشتي و ''الوسايد ''

والجناس هنا في الصدر والعجز معا .

وقال الشيخ حسن زوط بهجو الشيخ السقلي--:

ان لعق الدنى ''انا كبناه ''

حديث ائمه ''ثلاثه ''

لو يعلم آدم ''انك ابناه ''

طلق حوا ''بالثلاثه ''

فرد عليه الشيخ السقلى يقول :

في وصف الئيمين (لادم) .

وكل الخلايق ''لهارب ''

ابليس مارضيش يسجد ''لأدم ''

شاف صورتك ''فر هارب ''

ويلاحظ هنا أن الجناس في الصدر والعجز معاً .كما يلاحظ وجود اختلال في الوزن، ذلك أن ''الواوات ''تنظم على تفاعيل البحر ''المجتث ''وتفاعله ''مستفعلن فاعلاتن ''.

أما الواوات التي اقتصر فيها الجناس على الصدر فمنها قول من قال--:

جايف اجول له ''يجول له ''

واجلب مرعوب وخايف

ايجي جولي له ''يا جله ''

حين توردي ع الشفايف

ومن الواوات ما يخلو من الجناس حلوا تاماً مثل قول الشيخ حسن القفطي :-

انتو مظاهر بلدكم   والفضل للكل ظاهر

من ظهر والد ولدكم   طاهر ومن نسل طاهر

لابد أحضر حداكم   يا اهل الفنون والقوافي

واقصد مطايب رضاكم   وامشي على الجمر حافي

ومن أجمل ما قيل من الواوات المشتغلة على جناس في الصدر والعجز بيتان عثرنا عليهما لزجال من أهل هذا الاقليم ''قنا ''اسمه الشيخ توفيق وهبه القنوي يقول فيهما:

أول ما بختى ''بكم مال ''

في الحال ضاقت ''ملافي ''

عاوز رفيقين ''كمال ''

''بكوم مال ''كامل ''ما لاقي ''

وبلاحظ أن الجناس في البيت الثاني جناس ثلاثي، مما يدل على مقدرة الزجال وتفننه.

حسين الحلبي

ولد حسين الحلبي في حي القلعة بالقاهرة، من أسرة متوسطة الحال، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعضا من القرآن الكريم بكتاب ''الشيخ عطية ''بحي الخليفة ، ثم انتقل إلى مدرسة أم عباس بنفس الحي.

ثم انتسب إلى الأزهر إلى أن بلغ السابعة عشرة من عمره .فتوفى أبوه . وأضطر لأن يشتغل بالتجارة .ولكن مدة دراسته بالأزهر كانت قد حببت اليه الأدب فأخذ يكتب الروايات .ثم تحول إلى نظم الزجل .وعرف بين الزجالين بالميل إلى الدعابة ''وجر الشكل ''لاقامة معارك أدبية وقد مكنته حالته المادية الميسرة من أن يقوم بسياحة زار فيها تركيا وسورية.

وكانت له مداعبات مع بعض مشاهير الزجالين في عصره .كالشيخ أحمد عاشور، ومحمد امام لعبد ومحمد عبد النبي .فلما تقدمت به السن قصر نشاطه على الخطابة في المحافل الأدبية والجمعيات الخيرية والاخلاقية، وقد عاش حتى جاوز السبعين، وتوفى في فجر 25صفر سنة 1351 هجرية.

وفيما يلي نموذج من أزجاله--:

يكفي مجون واسمع مني

بدي أقول جملة أقوال

وحياة ابوك تروي عني

حتى ولو أجر الجرنال

***

مال البلد في بؤس تمام

وحظها ولىّ عنها

يا هلترى ترجع ليام

تسعد وتبلغ آمالها ؟

***

مريت بفكري ع الاحوال

راجعتها فنده فنده

رأيتها أوسخ م الاوحال

يارب خلص ده من ده

***

يارب احنا مش خلقك

واحنا بيدك الأحرار

نصبح كده من دون خلقك

في حزن زايد و ف اكدار ؟

***

احنا الليوث واحنا الأبطال

وادي التاريخ شاهد عادل

احنا اللي من مد أجيال

كنا رجل واحد عامل

***

صابتنا عين لجل التفريق

قالت لنا ‘‘فركش يرنه ‘‘

كانت سبب كل التعويق

أمان يا مولانا تبا

***

كانت بلادنا المصرية

كشكول صنايع ومعارف

وزراعة وأمور فنية

حفظتها آثار ومتاحف

***

لنا السبق والفضل تمام

على التمدن والعمران

لنا الشرف والفخر التام

هل من مبارز في الميدان ؟

***

أظهر له ميت حجه وبرهان

وميت دليل دامع قاطع

ان احنا ف الدنيا الاعيان

سابق ولاحق مع تابع

***

الجهل كان مالي الدنيا

وأهلها كانوا أوباش

ما يعرفوش شيء في الدنيا

بناء ، زراعة ، غزل ، قماش

***

جوا الكهوف ويا المغارات

بين التلول ويا الأحجار

يهموا دايما ف الفلوات

وتحت أغصان الأشجار

***

''سكر و بس ''المصري هاجر

إلى ''أتينا ''عليها

''تونموسن المصري ''لاخر

سافر اليها مدّتها

***

وجات وقود م الغربيين

إلى بلادنا المصرية

واتعلموا م المصريين

كل العلوم العصرية

***

وبعدها ظهرت نبلاء

كريت أثينا اليونانية

''مينوس''و''سولون''النبغاء

''الكورج ''يابغاه مقدونية

***

عين شمس موجودة للآن

أما تلاميذها أشهر

واللي يجادل بعد الآن

يثبت لي مين من دول أظهر

***

ويمضي حسين الحلبي في سرد أمجاد وطنه القديمة .ثم يشيد بذكاء مواطنيه فيقول---:

قوم خد كدا فلاح مصري

وعلمه شوف يعمل ايه

والله الذكا فيهم قطري

هو اللي راح الوقت عليه

***

ثم ينتقل إلى سرد أسباب تأخرنا فيقول--:

أنا بفضفض من وجدي

ومن ضروب صرف أموالنا

أروح لمين آه يا وعدي

نصرف كتير في أهوالنا

***

ان هل صيف يطلع يجري

على باريس نقعد شهرين

خمسين جنيه نولون بحري

ومثلها واحنا راجعين

***

الأوضة في اليوم في فرنسا

بليرة واثنين و ثلاثة

وغير كده اوعى تنسى

لعب القمار و ‘‘الحتباته ‘‘

***

ياما القمار ضيع بكوات

بيوتها كانت مهمورة

ياما القمار خرب سرايات

كبيرة كانت مشهورة

***

الربح كله للبنكير

والخمرة تصرف مجانا

تطلع تلاقي جم غفير

بينتحر مادي عيان

***

يضيع الغربة والبيت

والساعة والخاتم لاخر

ويستلف من صاحب البيت

أجرة ركوبه في الآخر

***

يصبح يحوس زي المجنون

على الفلوس نشفان ريقه

بعد الغنى يصبح مديون

يجفاه عدوه وصديقه

***

وان حد قال له قول معقول

مالك يضيع خليه موفون

يزعل ويتخلق ويقول

دا بس ظهري كان مسكور

***

محمد فتحي

هو محمد فتحي بن الشيخ محمد العيسوي، ولد بالقاهرة في عام 1892. وتعلم في الكتاب كغيره من أبناء زمنه. ثم التحق بالأزهر فترة قصيرة ثم تركه بعد أن حصل على قسط ضئيل من الثقافة، ثم عمل موظفا بمكتبة المنار التي أنشأها السيد محمد رشيد رضا.

ولما كان باب الصحافة في ذاك الوقت لكل من شاء أن يعمل فيها، فقد اشتغل محمد فتحي وكيلاً لجريدة الاهرام، ثم انشأ لنفسه مجلة باسم "العصر السياسي" ثم أنشأ صحيفة "المعارف" بالاشتراك مع زميل له اسمه فتحي عزمي. ثم فشلت المجلة فأنشأ أخرى باسم "المطالب" بالاشتراك مع زميل له اسمه محمد فاضل كان يصدر مجلة باسم "الحراب" وتنقل بين عدة صحف كالبصير ولمنبر وارتبط بالصداقة مع محمد توفيق صاحب مجلة حمارة منيتي وأمده ببعض أزجاله، واتصل بالشيخ النجار وبعزت صقر وامام العبد وخليل نظير، وحاول أن يكون زجالاً من طبقتهم، ولكنه لم يصل إلى ما وصلوا اليه من منزلة .

ومع أنه كان ميالاًإلى اللهو والمجون، الا أن أزجاله كانت تحض على التقوى والاستقامة. ولعله في ذلك كان متأثراً بأبيه الذي كان مشهوراً بالتقوى والورع. ومن أزجاله زجل يصف فيه حياة السكير يقول فيه--:

ويا تايب عن شرب الخمرة

دا يا ويلك لو تشرب تاني

من ربك وعذاب الآخرة

تبقى انت على نفسك جاني

***

ويا تايب أنا قبلك تايب

وعزيمتي ع التوبة أكيده

دي الخمره ورتني مصايب

خلتني في البؤس حديده

***

أنا خايف شيطانها يجيلك

ويقول لك معلهش النوبة

تشربها وتطلع من دينك

وتبوظ يا أمير التوبـة

***

أنا كان لي اخوان ما تعدش

في سروري كانوا يحاوطوني

وتملي كان جيبي مريش

وف سكري ياما سلبوني

***

ويوماتي أشكال تتقلب

ع الحانة من غير ما ادعيهم

وقانونجي وعواد ومطيب

وأنا أكبش م المال واديهم

***

كان بيتي من غير بوابة

دا داخل ومعاه أصحابه

ودا عامل خايلة كدابة

مش عارف والله مين جايه

***

ثم يصف حالته بعد أن أضاع ماله في مجالس الشراب وعلى أصحاب السوء فيقول:-

والدنيا اسودت في عنيه

وأصحابي تركوني في غلبي

ولا حدش كان قلبه عليه

يواسيني في بؤسي وكربي

***

وكرامتي ضاعت بين أهلي

واخواني العقلا مجنوني

والصحة معدومة تمللي

واتخلق من كتر جننوني

***

والسمعة ضاعت واهانتي

ف الدنيا للناس معلومة

وفلوسي راحت وكرامتي

من شرب الخمرة معدومة

***

وما شفتش منها يوم فايدة

ولا عايده غير حرقة قلبي

والمعدة فيها نار قايدة

وتمللي أشيكي من جنبي

***

وان هفت نفسي على حاجة

أحرمها واستخسر بارة

واجري لك على أي خواجة

يملا لي .قال يعني شطارة

***

اشمعنى ع الخمرة افنجر

والخمرة أسباب وقعاتي ؟

وسمومها أشبه بالخنجر

بيفرتك ف المعدة يوماتي

***

العامل منها بيتندم

والتاجر ده قول يا خسارة

ما شفتش سكير متقدم

في عمله والا في تجارته

***

الشيخ القطوري

اسمه الكامل محمد صالح نصير الدين القطوري، كان من عشاق الشعر والزجل وكان تقياً ورعاً، ولكنه كان على علم ودراية بفن الموسيقى، وكان يعتز بخبرته في هذا الفن، فكانت أزجاله لا تخلو من اشارة أو تلميح إلى الموسيقى وإلى بعض أنغامها .ويتجلى اتجاهه هذا في هذا الزجل. يقول القطوري --:

امنحني أو تير ''أوتارك ''
أو ''دندن ''''بالجنك ''الخافي
من ''تك تك''''تم تم''''للفاخت''
وانبذ للجامد والجافي
واعصر من خمري للطالب
من دني بالحام الصافي
دا صفو الاخوان يحلالي
والحاقد في شكل الضره
****
خد ''دورك ''واديني ''دوري ''
وانعشني بالعهد الثاني
وانظم واسمعني أو ''وشح ''
واسكرني دا العالم فاني
يا حافظ عهدي من فضلك

غنى لي حبي أضناني

''انا أعطيناك الكوثر ''

من معنى زود المعاني

واحذر للواشي تقرالي

فالواشي أزجاله مره

****

يا راوي للعالم عني

وبفنك عن غيرك أخبر

اروى لي يا شيخ عن فني

وبطبعك في شرحك أقدر

انحر لي الحاسد واللاحي

اخمد صوت الشاني الأبتر

واحفظني من وشي الواشي

واكشف له أستاره يظهر

دا الفن السامي أوحالي

اطلب له من أهله نصره

****

ثم يستعرض علمه باللغة العربية والنحو والصرف فيقول---:

يا عالم نحوي شرفني

واسأل عن اسمي تلقاني

وبفعلي للناس اذكرني

واوصف من حالي أوزاني

واخفض من برفع عزالي

واعرب أمثالي للباني

وانصب بالتمييز للنادي

في الحال لا كاني ولا ماني

واجزم في أمري وارضي لي

واشغل تأكيدي بالقدره

***

والزم في المنطق ابداعي

واصرف أفكارك للمعنى

نزه القاظي عن وضعي

في شعري وألحان يجمعنا

والحق ان طافت ندماني

وادخل في نادينا معنا

واسقيني حتى ترويني

عن غيري من أهل المغنى

مش تجعل حظي اهمالي

اسمعني أخبارك ساره

ثم يعود إلى غرض خبرته الموسيقية فيقول ---:

من فضلك اشرح لي مغنى

نسمعها من حادي وبادي

أصبحنا في عهد الفوضى

والتلحين بالريش الهادي

الدوكه في المغنى دوكه

والقانون سندال حدادي

والمعنى ضاعت والسامع

قيدها بالعد العادي

اضحك حين واحد غنى لي

زنوبه زنوبه وخضره

والزجل طويل ولا يستطيبه الا من كان على علم بفن الموسيقى.

السيد الاسكندراني

كان السيد الاسكندراني ''باشكاتب ''محكمة المرور بالاسكندرية، وكان في شكله وطبعه وسماته مثالاً صادقاً لابن الاسكندرية الأصيل، طويل القامة . عريض المنكبين، ضخم الجسم، وكان شديد العناية بشاربيه، كما كان شديد الاعتزاز بكرامته.

عندما ألفت رابطة الزجالين بالقاهرة في عام 33 – 31اتصل بها السيد الاسكندراني و آمن بفكرتها فانضم لعضويتها، ثم أنشأ بالاشتراك

مع زجالي الاسكندرية فرعاً لها في الثغر وانتخب السيد الاسكندراني رئيساً له وهذا نموذج من أزجاله:-

كان لي صديق أعرفه مضروب بسبق الخيل
ضيع شقاه وافتقر وانهد منه الجبل
مع انه طول النهار شغال ونص الليل
ومش ملاحق عماله حتي بالعيش حاف
بلاش غموس أو ''فروطه ''فين بقى الانصاف
ايه ذنب أولاده تتربى على الاجحاف
وهو كسيب وسايبهم يشوفو الويل
ايه اللي عايد عليك م اللعب جاوبني
مفيش مكاسب وتخسر كل شيء يا بني
غلبت أكتب وأنصح وانت تتعبني
وبرضه تلعب ولا فيش فايده من كلامي
وانا نصحتك نصيحة طبق اسلامي
شوف حال عيالك غلابه وانت قدامي
ذليل وزوجتك تقول لك بس ايه ذنبي
احفظ فلوسك ف علبه وفض لعبك شهر
وافتحها نلقى مبالغ فيها زي النهر
احسب بقى اللي حسرته ومش ضروري القهر
واوعك تلطش لروحك بس قول غلطان

وارجع قوام للندم واطلب رضا الرحمن

واعرف بأن القمار ميكروب وله سلطان

وقول يا ربي سامحني تبت طول الدهر

****

حسين شفيق المصري

(ولد عام **1828**، وتُوفى عام **1948**) ولد حسين شفيق المصري في عام **1882**، بحي الدرب الأحمر بالقاهرة، من والدين تركيين.

فوالده المرحوم محمد أفندي نور كان يمتلك عدة أدوار .وكانت له ضيعة تقيم فيها بقرية عرب الغديري، بمديرية القليوبية، وكان هذا الوالد سخياً سخاء مسرفا، متلافا ، يحب ''الفخفخة ''على عادة الأتراك، فكان يستضيف في ضيعته كل وافد، وكثيرا ما كان يحضر إلى القاهرة راكباً فرسا ثمينة، أو جوادا أصيلاً فينفق كل ما معه، ثم يبيع الفرس أو الجواد وينفق ثمنه .ثم يعود إلى عزبته خاوى ابو قاض.

ولما ضاعت ثروته، غادر الريف، وعاش في القاهرة من دخل الدور التي كان يملكها .ولم يكن هذا الدخل ليكفي ما اعتاده من اسراف، فأخذ يبيع ما يملك جزءاً جزءاً، حتى لم يبق على شيء.

أما الأم فكانت من الجواري اللواتي أخذن سبايا في حرب المورة، وبيعت في مصر .واستقرت في قصر أمينة هانم الهامي .ام الخديوي عباس المعروفة بأم المحسنين، وقد وقفت على اقبال هانم -ام حسين شفيق المصري -وفقا آل إلى اولادها بعد وفاتها في عام **1922.**

وكان لحسين شفيق أخوان وأخت، هو أكبرهم، وثانيهما مراد وقد توفى بدأت الصدر، والثالث محمود النديم الذي قضى شطراً كبير من حياته مدرساً للغة العربية بدار المعلمين بكابول، عاصمة أفغانستان، ثم عاد إلى مصر، وتوفى بها قبل حسين شفيق ببضع سنوات.

والاسم الحقيقي لحسين شفيق المصري، هو ''حسين محمد نور ''، ولكنه -على عادة الأتراك -اضاف إلى اسمه اسما آخر هو ''شفيق ''، كما أضاف لقب ''المصري ''ليؤكد مصريته .وأضاف أخوه إلى اسم ''نديم '' .ونشأة حسين شفيق المصري ، كانت جديرة بأن تبعده عن الأدب العربي كل البعد ...فأبواه كانا تركيين يتخاطبان فيما بينهما بالتركية ، فتعلقه بالأدب العربي -مع هذه النشأة -ان دل على شيء فانما يدل على أنه أحب اللغة العربية حباً صادقاً تغلغل في كيانه . -وهذا الحب هو الذي جعله —عندما أصيب بمرض في عينيه كاد يفقده البصر —يعكف على عشرات من كتب الأدب ودواوين الشعراء، يقرؤها ويحفظها ويدرسها، وجعله يحيط بدقائق اللغة احاطة واسعة، قد لا يتهيأ مثلها لكبار أساتذتها.

وكانت دراسة حسين شفيق لعلم العروض دراسته عميقة، حتى أصبح حجة في موازين الشعر وعيوبه، يرجع اليه كبار الشعراء، ويأخذون قوله عن ثقة، حتى أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كلفه مرة بأن يجمع له أوزان الشعر المهجورة والعربية، وينظم له أمثلة على موازينها، فأذى له هذه المهمة أداء زاد شوقي اعجاباً به.

ولو ان حسين شفيق المصري نبغ في لون واحد من الوان الأدب الوقيرة التي نبغ فيها ، لكان نبوغه في هذا اللون كفيلاً لاعتباره فارساً في طليعة فرسانه، ولكان هذا اللون كفيلاً بتخليد اسمه بين نوابغه الأفذاذ .أما وقد نبغ في ألوان متعددة من الأدب الفصيح والأدب الشعبي، على السواء، فمن الانصاف أن نعد هذا الرجل طرازا من الأدباء عديم المثال.

وأعجب ..في هذا الرجل أنه لم يتلق من الدراسه المدرسية الا اليسير فقد انقطع عن مدرسة أم عباس .الي كان يتعلم فيها بعد السنة الثانية الابتدائية، لمرض عينيه ...ذلك المرض الذي لازمه حتى مات شيه كفيف.

وعندما مات ابوه، وهو في مقتبل الشباب اضطر للسعي إلى الرزق، وبحث عن عمل حتى الحق مصححاً لمجلة طبية كان يتولى اصدارها طبيب كبير اسمه عيسى باشا حمدي، فكان لا يكتفي بتصحيح الأخطاء المطبعية، بل كان يصحح لغة الأطباء الذين يحرروها، ويقوم أسلوبهم.

وفي هذه الفترة غرف خليل مطران، ولمس فيه مطران مواهب متعددة الجوانب، فضمه إلى جريدته التي كان يصدرها يومياً باسم ''الجوانب '' .ومن كتاباته فيها غرفة كبار الكتاب، ومنهم حافظ بك مسعود –وكان يصدران معا جريدة المنبر –فضماه إلى محرريها ولم يلبث أن صار علما من أعلام الصحافة .فعمل في ''الأفكار ''و ''مصر ''و ''الرقيب ''، وهجريدة يومية كان يصدرها جورج طوس.

ومن أطرف ما حدث له، وهو محرر بجريدة مصر، أنه كان يكتب مقالات بعين توقيع ، يطالب فبها باصلاحات هامة وضرورية للطائفة المسيحية، فكانت هذه المقالات موضع اعجاب مواطنينا الأقباط ...لا لبلاغها فحسب، بل لقوة حججها وما تشتمل عليه من استشهادات من الانجيل، ومن أقوال السيد المسيح.

وكان كبار المسيحيين يتلهفون على معرفة هذا الكاتب العظيم المخلص للمسيحية، الذي يدافع عنها بهذه القوة هذا الايمان ...وفي أحد

الأيام ذهب أحد القساوسة إلى جريدة مصر، وقابل توفيق حبيب ''الصحافي العجوز ''وتوسل اليه أن يعرفه بكاتب تلك المقالات ...فأشار توفيق حبيب إلى حسين شفيق، وقال للقسيس :''هذا هو كاتب المقالات ...انه الأستاذ ''حنين شفيق ''!

فانقض القسيس على ''حسين شفيق ''، وأخذ بعاتقه ويقبله، وهو معتقد أنه مسيحى اسمه ''حنين ''، وصار يقول له '' :الرب سيجزيك أحسن الجزاء ...اثق ان يسوع سيرعاك طول حياتك ''.

وكان توفيق حبيب مغرقا في الضحك، حتى تنبه القسيس إلى ضحكه، فسأله :لماذا تضحك؟ فقال، وهو ممعن في الضحك، لأن من تحدثه مسلم ابن مسلم، واسمه حسين شفيق المصري !وبهت القسيس، وخرج وهو غير مصدق ان يكون هناك مسلم يحيط بدقائق المسيحية هذه الاحاطة التي لا تتوافر لكثيرين من مثقفي المسيحيين.

ومن طريف ما يذكر عنه، أنه عمل محرراً بجريدة الأفكار اليومية . وكانت جريدة محدودة الموارد، ليس بها مراسلون في الخارج، كالصحف اليومية التي كانت تصدر في ذلك الوقت، فكانت مختلفة في الرواج، ولما قامت الحرب بين تركيا واليونان .كان لا بد من أن تأتي الجريدة على أخبارها .وهنا تجلت مواهب حسين شفيق المصري، اذ أخذ يقرأ برقيات الصحف الأخرى .ويدرسها بامعان، ويراجع على الخرائط مواقع المدن التي يستولى عليها المتحاربان، والميادين التي تدور فيها المعارك، ثم يكتب برقيات برغم انها وردت للجريدة من مراسلها الخاص من ميدان القتال،

ويوقعها باسم ''سلانكلي راده محمد علي ''يسرد فيها تفاصيل المعارك، وبسالة الترك .ثم لا ينسى أن يأتي باحصاء لعدد القتلى من الأعداء.

وكان الشعب المصري يومئذ شديد التعلق بالدولة العثمانية، انها كانت مقر الخلافة، فكان يرتاح كل الارتياح لهذه البرقيات، ويرى فيها ما ينتج صدره من اخبار انتصارات ''الدولة العلية '' .وكان ''سلانكلي راده ''يكتب في كل أسبوع تحليلاً دقيقاً للموقف، يتلهف الناس على قراءته، ويجدون في الصحف الأخرى ...وبهذا راجت جريدة الأفكار رواجاً وضعها في مصاف الصحف الكبرى.

وفجأة امتنع عدة ايام عن ذكر عدد القتلى، فدخل عليه صاحب الجريدة وقال له :''جرى ايه يا شفيق؟ ...ما بتكتبش عدد القتلى ليه؟ ''فقال شفيق ''بزيادة بقى ...أحسن لو واحد من القراء حسب عدد القتلى اللي كتبناهم يلاقيهم أكثر من عدد سكان أوروبا مرتين .'' !

وظهرت في هذه الفترة عدة مجلات أسبوعية طابعها الفكاهة والقفش والتنكيت، وهجو الابرياء لابتزاز اموالهم، فكسدت سوق الأدب والصحف الأدبية، واضطر حسين شفيق للعمل في هذه المجلات، فاشترك في تحرير الشجاعة والخلاعة المسامير والسيف ...وهنا تجلت فيه مواهب لم تكن قد عرفت عنه، فقد استطاع ان يكتب كل مجلة بأسلوب يختلف عن أسلوب المجلة الأخرى، وابتكر في كل منها ابواباً وألوانا لم تكن معروفة في الصحافة الأسبوعية ...وأخيراً اشترك مع ''حسين علي ''في اصدار جريدة السيف ، فابتعد بها عن الهجاء الشخصي وسب الأثرياء ومدحهم،

وجعلها المجلة الأولى للفكاهة الراقية، وصار يدخل عليها بين الحين والحين أساليب جديدة ومبتكرات من التجديد.

وفي عامي 1921و 1922كان ''نجيب الريحاني ''قد بلغ أوج مجده، فاستعان بحسين شفيق المصري، الذي عدى مسرح الريحاني بكثير من رواياته الممتعه، كروايات ''آنست ''و ''أفوتك ليه ''و ''ريا وسكينة''.

وحدث أن تجمع لحسين شفيق مبلغ كبير عند الريحاني، فأرسل له خطاباً مسجلاً يطالبه فيه بما له عنده، والا فاته سيضطر لرفع دعوى عليه . فلما وصل الخطاب إلى الريحاني أسرع إلى حسين شفيق في دار جريدة السيف، وسلم عليه، وجلس معه أكثر من ساعتين يتحدثان حديثاً ممتعاً، ويتناولان فكاهات طريفة، ثم انصرف دون أن يتحدث أحد من الرجلين في شأن مالك عنده قال :''لو أنه جاء ليدفع لما منعه مانع، أما وهو لم يدفع فقد جاء ليعتذر، فأبت كرامته أن يعتذر صراحة ، وأبت كرامته عندي أن أحمله على قول ما أراد أن يخفيه ''.

وفي عام 1924اختلف حسين شفيق المصري مع شريكه في جريدة السيف، فتركها وأصدر لنفسه جريدة الناس، ولكنه لم يجد المال الكافي لمتابعة اصدارها وللانفاق على اسرته، فعانى ضيقاً شديداً دون أن يشكو أو يسأل أحدا معونة.

وعرف بخبر ضيقه ''أحمد فؤاد ''صاحب جريدة الصاعقة، فتحدث في هذا الشأن مع ''سليمان فوزي ''صاحب مجلة الكشكول –وكانت روج مجلة سياسية في ذالك الوقت –فاستدعى حسين شفيق، وألحقته

بجريدته، فكتب فيها من الألوان الفكاهية الجديدة ما عده الكتاب فنجا جديدا في الأدب العربي .وخاصة ما كان يكتبه تحت عنوان ''دائرة المعارف ''وهى مقالات كان يكتبها على شطل بحوث بأسلوب قواميس اللغة ، يشرح فيها بعض الكلمات العربية والعامية، بأسلوب فكه فيه سحرية.

وفي عام **1926**صدرت مجلة ''كل شيء ''، فكان يكتب فيها مقالاً أسبوعياً بعنوان ''مذكرات فضولي ''، فكانت مقالاته هذه من أحب ما فيها إلى القراء .ثم صدرت مجلة الفكاهة في عام **1927**فاسندت اليه رياسة تحريرها ، فجعل منها فتحاً جديداً في عالم الصحافة الفكاهية الراقية واستغل امكانيات الدار التي تصدرها أحسن استغلال.

وقد ظل في عمله هذا أكثر من أربعة عشر عاماً، فلما أدركته الشيخوخة، وكاد بصره يكف، اعفى من عمله الصحفي، وحاول أن يصدر مجلة ''الأم ''غير ان عجز بصره، وضيق موارده، حالا بينه وبين هذه المحاولة، فلزم داره بالسيدة زينب حتى توفاه الله في صبيحة الخميس **30**سبتمبر عام . **1948**

مات فقيراً معدماً، وهو الذي ربح ألوف الجنيهات .ولو أنه حبس بعض ما ربح لخلف تروة ضخمة، ولكنه كان سخي اليد، رقيق العاطفة، يبذل من ماله للعاقين والمحتاجين، ويبر به أهله، وينفق على أصدقائه.

وقبيل وفاته ببضعة أشهر، صدرت مجلة باسم ''اضحك ''وأراد صاحبها أن يزين أول عدد منها بمقال لامام الفكاهة، حسين شفيق المصري، فطلب اليه أن يكتب له شيئاً ، فأملى هذا المقال على أحد تلاميذه، وهو يصور حياة الزجل في أواخر أيامه، ومع ما يزخر به من

فكاهة، وخفة روح ، فهو يفطر مرارة وألما .وقد جعل عنوانه ''قهقهة القرود '' ...قال :

''طلب إلي الأستاذ صاحب مجلة ''اضحك ''أن أكتب شيئاً لقراءة مجلة ''اضحك ''، وهذا الطلب في ذاته مضحك، بل هو نكتة، لأن الأستاذ صاحب ''اضحك '' –امتعه الله بشبابه –يظن أن الشيخوخة لا تقتل روح المرح، فهو ما زال على اعتقاده أن حسين شفيق المصري الذي كان ''يضحك الطوب ''يستطيع في سنة **1948**ما كان يستطيعه ف سنة **1920**وما قبلها وما بعدها ...

''لقد كان الشباب يملي على النكتة الحلوة ، ويهيئ لي مجال المرح، حتى لتكاد الصفحة التي أكتب فيها بضحك ''لزعزعة ''القلم ...

''أما اليوم –وقد كف البصر ووهن البدن –فان النكتة تنفر من ذلك الشيخ الأعمى الحبيس، الواجم وجوم الصم، الساكن سكون الموتى، وليس له من أمارات الحياة الا ذلك الدخان المتصاعد من فمه، فهو يأكل ويشرب ويدخن ويصرخ كالوابور ....يفعل كل هذا وهو معدوم الشعور ...

''وكيف يخطر النكته ببال رجل لا يلقى بالا الا لنغز في الأمعاء، وتفكك في الأوصال، ودق في العروق، وخفقان في القلب لو اشتد قليلا لأراح صاحبه وأراح من حوله ...

''تريدن أن أكتب ''لأضحك ''شيئاً يتفكه به القراء؟ !

''وأنا مهما أوتيت من القدرة على الاضحاك فلست بمستطيع أن أضحكهم بقدر ما يضحكون لو أنهم رأوني رأي العين ...هاتوا قراءكم

ليروا كيف امضغ لطعام بفكين كجيوش اليهود، وكيف أخلع طقم الأسنان فأصبح المتنكر يتعذر على أقرب الناس إلى أن يعرفني وليسمعوا كيف اذا خلعت هذا الطقم انطق السين مشوبه بصفير يزيل ما بينها وبيم الشين من فارق كبير ...

''هاتوا قراءكم ليروا كيف أمشي في الحجرة كالأتان المفيدة، لا تستطيع ''برطعه ''ولارمحا ، ثم هاتوهم ليسمعوني اذا ضحكت، وأنا كفيل بأن يضحكوا لضحكي...

''ألا يضحك الناس اذا سمعوا قهقهة القرود ؟!

''لقد أمليت هذه الكلمة على أبي بثينة ، وطلبت اليه أن يبلغ الأستاذ صاحب ''اضحك ''أن الزمن الذي كان فيه حسين شفيق "يضحك الطوب" قد فات، ان لم يكن لأن حسين شفيق قد تغير، فلأن قراء (اضحك) ليسوا من الطوب ''.

والجيل الذي عاصر حسين شفيق المصري، وكان يقرأ له، لم يكن ليعرف عنه أكثر من أنه الكاتب الأول للأدب الفكاهي، فان شهرته بهذا اللون طغت على شهرته ككاتب أديب، رفيع الأسلوب، جزل اللغة، رفيق اللفظ، دقيق الوصف، وكشاعر رصين العبارة، رفيع المعاني، بدوي الديباجة.

وكان وطنياً شديد الاخلاص لمصر .فدفعه هذا إلى أن يحمل حملات عنيفة على الحكومات المتعاقبة التي كانت تتولى الحكم بأمر المستعمرين، فحقد عليه بعض الحكام، ولفقوا له وبعض الوطنيين تهمة، وجعلوا هذه التهمة بعيدة عن السياسة حتى لا يقال أن الحكومة تضطهد الوطنيين،

ولتكون التهمة، وصمة عار، فاتهموه بأنه مندمج في جماعة من الشباب دابتْ على طبع نشرات تهاجم فيها أعراض بعض الكبراء.

ولم تعدمْ الحكومة شهود زور يؤكدون التهمة، فقدم للمحاكمة، وحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر قضاها في سجن قره ميدان .وفي السجن نظم قصيدتين، احداهما يبرئ فيها نفسه مما اتهم به فيقول:-

حُبست ولم أقتل ولم أك سارقاً

وما جنت عوراء الكلام ...فما حبسي !

همو زعموا أني هجوت عصابة

من الناس ما حدثت يوماً بهم نفسي

وفي الثانية يعتب على اخواته الذين امتنعوا عن زيارته في السجن فيقول:-

أيزار من في السجن ؟ ليس بزار

فخر المجالس قد أصابك عار

ويصف طعام السجن فيقول :-

والخبز كالآجر الا انه

من خبزكم لا ينفذ المسمار

خبز رغيفاء لو اتخذا رحى

يوما تيسر طحنها الاحجار !

واهر ينفر من قتار ادامكم

ايفر هر والقتال يسار ؟

وكان لحسين شفيق المصري فيما بين عامي 1920و 1923 مجلس أنس وسمر في أحد مشارب شارع عماد الدين، يتصدره كل ليلة، فتبدأ الحلقة ضيقة، ثم تظل تتسع وتتسع بالوافدين من اصدقائه وتلاميذه محبي الاستماع إلى طرفه وفكاهاته، فلا ينتهي المجلس الا بانتهاء ما في جيبه، فاذا ما انفض المجلس، وأخذ الرجل طريقه إلى بيته، بدأ ينظم في الطريق، ويملي على بعض مرافقيه، ثم يأتي في اليوم التالي بمال جديد للسهرة الجديدة.

وحدث ذات مرة أنه لم يجدْ مالاً لينفقه في مجلس عماد الدين، وأراد أن يشرب الخمر على عادته، فاتجه إلى احدى حانات ''سوق الخضار ''وكانت مشهورة برخص الخمر فيها ورداءتها، فلما سكر بين الدهاء، قال يبرر مجالستهم.

يا سكره سكرتها في لسوق بين الهمل

كصابر على أذى النحل لجني العسل

وكان حسين شفيق المصري دائم التجديد والابتكار و يبتكر الأسلوب فيقلده فيه كتاب الفكاهه في الصحف الأخرى ...فهو يبتكر طريقة نظم القصائد الفكاهية على أوزان القصائد القديمة فكان يختار لقصيدته موضوعاً اجتماعياً يعالجه معالجة فكاهية .أما مقلدوه فكانوا

يقلدونه في ذلك، ولكن قصائدهم لا تتضمن هدفاً ، ولا ترمي إلى نغزي، فكانوا يصفون بها الطعام أو الشراب في حين أن حسينا كان يتناول في قصائده شتى الأغراض الاجتماعية، كتبرج النساء، أو اسراف الزوجات، أو سهر الرجال في الحانات وترك بيوتهم بلا نفقة ...إلى غير ذلك من العيوب التي تتغلغل في مجتمعنا.

وقد بدأ نظم هذه القصائد على وزن المتعلقات وسماها المشعلقات ...فلما فرغ منها نظم على أوزان القصائد المشهورة من شعر القدامى وشعر معاصريه ، وسماها ''المشهورات '' .فلما لم يجد من القصائد المشهورة عند الناس ما يحوزه، أخذ ينظم قصائد جديدة من هذا الطراز الفكاهي، سماها العشر الحلمنتيشي.

فمن القصائد التي سماها المشعلقات قوله على نهج معلقة طرفة بن العبد البقري مطلعها --:

''لحولة أطلال ببرقة ثهمد

تلوح كباقي الوشك في ظاهر اليد ''

قال :

لزينب دكان بحارة منجد

تلوح بها أقفاص عيش مقدد

وفوفا بها صحبي على هزارها

يقولون لا تقطع هزارك واقعد

أنا الرجل الساهي الذي تعرفونه

حويط كجن العطفة المتلبد

فمالي أراني وابن عمي مصطفى

مني اذن منها ينا عنها ويبعد

يقول وفد القى الرغيف وسابني

ألست ترى جوزها عويس بن احمد

فلما تناغشا الغداء وهزرت

معانا وأعطتنا (برولا) بموعد

رأت زوجها يدنو فغطت بزازها

بشال طويل كالملاية أسود

وقالت ياهوي جتكو نيلة امشوا من هنا

أفنديه ايه دول جوزي شايف داشيء ردي

فأقبل زوج البنت يلعن أمها

ويسعى الينا بالمداس المهربد

ولا خير في خبص ترى الضرب بعده

ولا هاجم يأتيك بعد الترصد

ستبدي لك العصيان ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالمركوب من لم تهددْ

ومن قصائده التي سماها المشهورات، قصيدة نظمها على نهج قصيدة بن الخياط التي يقول فيها :-

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه

فقد كان وياها يطير بلبه

قال حسين شفيق :-

ولم ينهه عنها الزمان ولا النوى
ولم يلهه عنا تقزقيز لبه
فبات يناجي النجم في طول ليله
ويشكو إلى الحيطان شده غلبه
وهل يشتكي ياناس مدقع فقره
وقد جاع يشكو من فداحة حبه
وقد تعبت عذاله في غرامه
وأتعب أصحاب الفلوس بنصبه
وياويحه اذ يصبغ الشعر صبغة
تلغمطه حتى تنادي بشيبه
ومن بك ذا شيب ويصبف فانه
اذا قال صدقا زيفوه لكذبه

ومن قصائده التي سماها الشعر الحلمنتيشي قوله :-

أظن الوليمة زعلانة
وما كنت اقصد ازعلها
أتى رمضان فقالت هاتولي
زكيبة نقل فجبنا لها
ومن قمر الدين جبنا ثلاث
لفائف تتعب شيالها

وجبت صفيحة سمن وجبت

لوازم ما غيرها طالها

فقل لي على ايه بنت الذين

بتشكي إلى أهلها حالها ؟

ومن أساليبه المبتكرة تلك الأحاديث التي كان ينشرها على لسان امرأة ورجل من النوع الذي نسميه ''البلدي '' ...المرأة اسمها ''أم اسماعيل ''والرجل اسمه ''الحاج درويش '' .وكان المتحدثان يتناولان في أحاديثهما نقد العادات والتقاليد المستهجنة ، وقد جمع بعض هذه الأحاديث في كتاب اسمه ''الحاج درويش وأم اسماعيل ''، وهو موجود بدار الكتب المصرية.

وكان حسين شفيق المصري ظريفاً في حياته الخاصة، حاضر البديهة، سريع النكتة.

حدث مرة أن كان يسير في الطريق، وكان نظره قد ضعف ضعفاً شديداً، فكان يقوده شاب من تلاميذه، وقابله أحد أصدقائه مع هذا الشاب وقال له :''من هذا الشاب يا شفيق ؟ ''فقال :''ده واحد ساحبنا ''؟ !

وكانت لحسين شفيق خبرة واسعة بسائر اللهجات، وقدرة خارقة على تقليدها ...لهجة أهل الصعيد، ولهجة أهل الريف، ولهجة أهل الشام، ولهجة اليونانيين، فكان يقلد هذه اللهجات كتابة و نطقا فتظنه من أهلها.

حدث في وقت من الأوقات ان طغى الاستعمار الفرنسي في لبنان حتى كاد يطبع هذا البلد الشرقي العريق بالطابع الفرنسي، وحول لسان الشبيبه من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، فكان حسين شفيق ينتقد هذا الاتجاه، ويسخر من المستهنين بلغتهم .ومن ذلك أنه نشر خطاباً على لسان لبناني صديق له، نزج فيه اللغة العربية بالفرنسية بأسلوب ساخر قال:

''مونامي ''مجاعص ...

بعد السلام ...نعرفك يا ''مون فرير ''، أن ''الهيجين ''تبعي ''تربيان ''وفقط عبدي ''جراند ''زعل من الحكم الفرنساوي، ويكون بعلمك اني ''دومان ''رايح شا اشوف حال المون بير واكتب لك ''ليتر ''بالايروبلان ...الخ .

والجانب الجدي من جوانب أدب حسين شفيق لا يقل طلاوة وروعة عن الجانب الفكاهي ...

فهو في نثره قويم القلوب، بين العبارة، واضح الهدف، ساخر لاذع . ويتجلى طابعه هذا في هذه المقطوعة التي كتبها بعنوان ''سخفاء ''قال:

''قرأت احدى الصحف من أولها إلى آخرها، وقال صاحبي اقراتها ؟؟ فغاظني لانه رامي السبع وما فيها كلمة كلمة وهو ينتظرها، ولا أشك في أنه حين رآني ألقيها من يدي فهم أني قرأتها، ولكني كظمت غيظي وقلت :نعم ، واخذها .وأجارك الله ...يقرأ القطعة من المقالة .ويلتفت الي ويقول :اسمع ...اسمع ...ويسمعني ما رآني قرأته الساعه .فأقول نعم

...واسبقه إلى اتمام ما شرع في تلاوته لعله يفهم اني وعيت وفهمت ولكن ...تقول لمين ؟!

''ناس من الناس لا يصلحون للمحادثة، ولهم ولع بالكلام، ولا يعرفون كيف يتكلموا، فيحدثونك بما يعلمون أنك تعلمه ''.

أما شعره الجاد فنوعان :نوع جاد صرف، ونوع مطعم ''جامع بين الجد والهزل ، أو بين الفصاحة واللحن المتعمد، ومن النوع الأول قوله يصف حاله، وقد أصابته بأسماء جرم فيها موارد رزقه قال--:

سوار على أدار يميناً

بي الدهر ام دار دهري شمالاً

فاني أرى كل شيء يمر

فيسمي سوى ما يشين الرجالا

وقد ذقت حلواً وقد ذقت مراً

ووهنا يساورني ومحالا

وأعلم أن المصير الزوال

فماذا يؤمل با ع زوالا ؟

ومن النوع الثاني قوله في الوقحاء ----:

ذهب الحياة من الوجوه فكل من

لا قيته متوقح .....، فتوقح

لا يخجلوك فيحسروك بانهم

لا يحجلون وقو وجهك تربح

ليس الحياء من الوقاح فضيلة

بل يستحي الانسان من يسحى

واخجل من الاشراف لكن اين هم؟

لم يبق من شرف ولا ''شرفنطح ''

***

بقى أن تتحدث عن أزجال حسين شفيق المصري، والواقع ان حسينا لم يعن بالاكثار من نظم الزجل لأسباب عديدة ...منها ان الزجالين في عصره كانوا على قدر كبير من الاجادة، فلم يشأ أن يدخل معهم في منافسة تشعله عن مرزقة ككاتب صحفي، ومنها أن هؤلاء الزجالين كانوا لا يتكسبون بأزجالهم كسباً يقيم أودهم، وأخيرا فان حسين شفيق كان أكثر شغفاً بالشعر، وكان الزجالون في عصره يعدونه من أستاذة فن الزجل، فأزجاله –على قلتها –كانت رفيعة المعاني، رقيقة النسج.

وعرف فيه الزجالون حبه للغة الشعبية وتقديره للزجل، فكانوا يلجأون اليه ليكتب لهم مقدمات دواوينهم.

واذا رجعت إلى دواوين خليل نظير، ورمزي نظيم، ومحمد عبد النبي، وابي بثينة، وجدت مقدماتها بقلم حسين شفيق المصري، وكلها تمجيد لفن الزجل، وتقدير للمشتغلين بنظمه.

ومن أزجال حسين شفيق المصري زجل رقيق نظمه متغزلاً في ''رغيف الخبز ''قال----:

حبيت جميل لما أشوفه   ريقي بيجري

أبص له ونفسي ف بوسه   مش مستجري

***

لون القمر والخد أحمر   شكل الوردة

طري وناعم وملظلظ   زي الزبدة

الطفل لو شافه يقول لك   هلت لي من ده

أقطليش منه قطه ؟   واطلع أجري !

حبيب جميل ....

***

الناس جميعها عشاقه   محبوب الكل

وقه وخفه ولطافه   أبيض م الفل

من حبه ناس انا اعرفهم   ياما شافوا ذل

ما اقدرش أصبر على بعده   دنا أبيع عمري

حبيب جميل ....

***

نسوان يموتوا ورجاله   في دباديبه

يخاف من اللي ينظر له   عينه تصيبه

لو كان ف أمريكا أسافر   لجل أجيبه

وان غاب أبات ليلى سهران   واصحي بدري

حبيب جميل ....

***

ومما يشبه الأزجال فن ''الربابة ''، وهو منظومات لها وزن خاص، كان الرواة يستعملونه في قصة ظابي زيد الهلالي، وعنترة بن شداد، ودياب بن غانم، وغيرهم من ابطال القصص القديمة التي كان يلقيها شعراء الربابة على العامه في المقاهي الشعبية .

وكان حسين شفيق المصري يلجأ إلى هذا اللون من النظم في الأيام التي تشتد فيها وطأة الرقابة على الصحف، فيضمن هذه المنظومات كثيراً من الغمز واللمز والتورية، التي يرمي من ورائها إلى أهداف وطنية سياسية، ومن ذلك قوله--:

أول ما نبدي القول نصلي على النبي

نبينا محمد جانا بالاسلام

بقول أبو زعيزع وله قول صادق

براهنه ظاهره والأدلة تمام

يابو زيد أنا بدي دياب بن غانم

يناوش العدو ومايتركوش ينام

لحد ما نمشي من البلد دي ونرحل

دي عيشتنا فيها يابو زيد حرام

تعالى نروح من مصر تقصد تونس

نشوف فيها أقوام غير دي الأقوام

دي مصر يابو ريا بلاد العجايب

وخيراتها للأرمن وللأورام

وللانجليز رخرين ولكن خايف

أروح بكلامي شخه في حمام

والناظر إلى حياة حسين شفيق المصري، وإلى أدبه لابد من أن يلمح ما بينه وبين أبي نواس -الحسن بن هاني -من تشابه في كثير من الطباع والعادات، وفي النظر إلى الدنيا وفي المسلك الذي انتهجاه في الحياة .ومن أبرز وجوه هذا التشابه أن كلا من الرجلين لم يكن خالص العروبة :أبو نواس ينتسب إلى الفرس، وحسين شفيق ينسب إلى الترك .ولقد كان أبو نواس ماجناً مرحاً محباً للخمر واللذات، ويشاركه في بعض هذه حسين شفيق المصري ...لا فارق بينهما الا أن آبا نواس كان داعراً، وحسين شفيق لم يكن كذلك، وفي شعرهما تشابه كبير، وخاصة في الجنوح إلى السخرية والميل إلى الدعابة والفكاهة، وفي أشعار الرجلين رقة ونظرات في فلسفة الحياة، ومعرف بطباع الناس ..وفي أسعار حسين شفيق ما لو قلت انه من نظم أبي نواس لما أنكر عليك أحد هذا القول، وكذلك في شعر أبي نواس ما يخيل لك أنه من نظم حسين شفيق في القرن العشرين .واليك مقطوعة لحسين شفيق المصري تلمس فيها روح أبي نواس في غزله --:

ختم الصبر بعدنا بالتلاقي

وشفي الصدر أن ودك باق

افتدري بما لقيت من اللو

عة في الشوق بعد يوم الفراق ؟

أو تدري ما شربته من دموعي

وعلى شربها خيالك سباق

أنا سكران خمرة الحب يا خم

ار حان الخدود والأحداق

أنت أسكرتني وحبيك راحي

اصطباحي منه ومنه اغتباقي

فبعينك والتكحل بالحسن

وسحر الحياة والاطراق

لم باعدتني وأتعبت قلبي

وإلى أين كان منك مساقي ؟

اذن مني فان خوفي من الهجـ

ـران لا ينتهي بغير العناق

كذب الحاسد المبلغ غنى

غير ما ترتضيه من أخلاقي

هاك صدري فضع يديك على صد

ري وخذ رأي قلبي الخفاق

أفتمسي وأنت أجمل معشو

ق صفيا لأصدق العشاق ؟

هذه لمحات سريعة من حياة حسين شفيق المصري، ذلك الرجل الذي لم تعرف الفكاهة العربية، ولا الفكاهة الشعبية أستاذا قبله، وستظل من بعده حقبة طويلة من الزمن تفتقد من يخلفه ويشغل فراغه.

إبن سناء الملك

هو القاضي السعيد، هبة الله، بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر، بن المعتمد سناء الملك .أبي عبد الله محمد بن هبة الله، بن محمد، السعدي المصري .

وتاريخ مولد ابن سناء الملك غير معروف على التحقيق، ولكن العماد الكاتب ذكره في كتاب ''الخريدة ''فقال :

''كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج الدلهيمة -وهو موضع بالشام -ثامن عشر ذي القعدة سنة سبعين وخمسمائة، فاطلعني على قصيدة له -أي للقاضي السعيد بن سناء الملك -كتبها اليه من مصر وذكر أن سنه لم تبلغ العشرين سنة ''.

وعلى هذا التقدير يكون مولد ابن سناء الملك في حدود سنة 550 ه بالقاهرة، وقد ذكر صاحب ''الكمال في عقود الجمان ''أنه توفى يوم الأربعاء رابع أيام الشهر المذكور .أي رمضان سنة 608ه بالقاهرة، ومعنى هذا أنه عاش ثمانية وخمسين عاماً.

كان شاعراً رقيق الحاشية، مختار اللفظ .وله عدة مؤلفات، منها ديوانه الذي جمع الكثير من شعره الجزل، وقد عرف في حياته بأنه كان مرفهاً واسع النعمة، سعيداً محظوظاً .وكان عالماً أدبياً .أخذ الحديث عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، واختصر كتاب ''الحيوان ''للجاحظ ، وسماه ''روح الحيوان '' .وديوان موشحاته معروف باسم ''دار الطراز ''.

وكان له مجلس أدب وسمر، يؤمه ذو المكانة والعلم، وقد سافر إلى الشام في شهر رمضان من عام 571الهجري ليلتقي بالقاضي الفاضل .اذا كانت تدور بينه وبينه مراسلات متعددة.

ومن المنظومات الزجلية لابن سناء الملك قوله --:

طاير قلبي ووقعت في الاشراك
وهو الهوى والنوى وما ادراك
حن فؤادي ومثله جنا
لمرة الهجرة حلو المجنا
وان بعض ببعضها جنا
فظل يكني متيم غنا
جاه المسيكين وصاح يا ستي قما
صغيري لا ينام من تحتي هما

وله مقطوعة أخرى ، يقول فيها --:

قل للايم ضاع في عشقي لومي
اني هايم قد نفى عني نومي
طرف نايم قالي كم يا قومي
أدي حايم ثم لا يروي حومي

وهاتان المقطوعتان أقرب إلى لغة الموشحات منهما إلى لغة الزجل .

فابن سناء الملك كان أكثر عناية بتسجيل موشحاته، قليل الاهتمام بتسجيل أزجاله حتى أن ديوانه كله ''ديوان ابن سناء الملك ''ليس فيه مقطوعة زجلية واحدة.

خاتمة

والآن وقد تحدثنا عن الزجل في ماضيه منذ نشأ، وعن تطوره وانتقاله من قطر إلى قطر، وعن أعلامه في الأقطار التي ازدهر فيها، نحب أن ننظر إلى مستقبله.

ترى هل يسير فن الزجل إلى الازدهار أو أنه يمضي إلى الاضمحلال؟

الواقع أن الزجل يزدهر في بعض الأقطار العربية، ويقهقر في البعض الآخر .ونستطيع أن نقول انه في هذه الفترة من الزمن مزدهر في لبنان وفي مصر.

وازدهاره في لبنان يرجع إلى أن طبيعة هذا البلد تستلزم هذا الازدهار، فالجمال الذي يتمتع به لبنان يحرك المشاعر، ويرقي بالوجدان ويفسح المجال لتحليق الخيال، ولهذا قل أن تجد قرية أو مدينة دون أن تجد فيها بعض من يحسنون نظم الزجل ارتجالاً.

ولأبناء لبنان قدرة عجيبة على الارتجال، وعلى ابتكار المعاني الجميلة ...أذكر من ذلك حادثين شاهدتهما ابان انعقاد مؤتمر الزجل العربي في لبنان في سبتمبر سنة . **1945**

الحادث الأول يوم دخلت الفندق الذي كنت نازلاً به بقرية ''سوق الغرب ''كان معي صديق من زجالي لبنان .وفي حديقة الفندق رأينا شابة جميلة جالسة مع سيدة مسنة .الأولى تشتغل بعمل التريكو، والثانية تقرأ احدى الصحف .واذا بالزجال اللبناني يقول لي --:

• ألا تراها جميلة ؟

قلت :نعم .

قال :أتصفها أم أصفها أنا ؟

قلت :صفها فاني أخجل من أن اتغزل في بناتكم

فقال مرتجلاً :

يا جارة يلحظ الفتان

عاقلبي عملتي غارة

عملتي أوتاره الحيطان

وريشة ضلعي السنارة

ويلاحظ أن أهل لبنان يسبقون الصفة بالألف واللام دون الموصوف، فيقولون ''لحظ الفتان ''بدلا من اللحظ والفتان، و ''قلب الأبيض ''بدلاً من ''القلب الأبيض ''.

أما الحادث الثاني فكان يوم خرجنا لزيارة احدى مدن لبنان العليا، ونسيت في الفندق علبة السعوط التي تلازمني باستمرار، فلما تفقدتها وأنا بعيد عن الفندق لا بسني بعض الضيق .ولاحظ هذا زميل زجال لبناني فسألني عن سبب ضيقي فقلت له انني نسيت علبة نشوقي، فأسرع إلى شيخ من شيوخ الدروز وجاءني منه ببعض السعوط، فدهشت وقلت له:

من أين هذا ؟؟

فقال على البديهة :

لو راح ''عطوسك ''لا تنوس

وابتسم ولا تكون عبوس

من حبي بحروق قلبي

وطحنته وعملنه عطوس

و ‘‘العطوس ‘‘هو السعوط أو النشوق ، ولا ‘‘تنوس ‘‘باللهجة الشعبية اللبنانية معناها ‘‘لا تتضايق ‘‘!

فالارتجال عند أهل لبنان شيء مألوف .ويكاد يجيده كل زجال .أما ازدهار الزجل في مصر فيرجع إلى عدة أسباب في مقدمتها السبب الذي من أجله ازدهر في لبنان ، وهو جمال الطبيعة، وصفاء نفوس أهل وادي النيل، وحبهم للمرح، وتأتي بعد ذلك أسباب جديدة .منها ازدهار صناعة السنيما التي خلقت طائفة من ناظمي الأزجال والمنولوجات .واتساع نطاق الارسال الاذاعي والتليفزيوني، مما يستلزم زادا كثيراً من الأغاني والمنظومات.

أما في العراق فالنهضة الزجلية محدودة .والنشاط الزجلي نشاط فردي متفرق في بعض القرى التي ما زالت تعيش على حال قريبة من البداوة.

أما بقية الأقطار العربية الاخرى فالزجل فيها يكاد يكون معدوماً . وقل أن تقع العين على زجل في صحيفة أو مجلة من صحف أو مجلات تلك البلاد .فالصحف مسئولة عن ركود هذا الفن في الأقطار العربية.

وفي اعتقادي أننا في مصر أصبحنا نفتقد الزجال الذي ينقد ويوجه، وينفعل بالأحداث فينظم القصائد الزجلية على غرار قصائد الشعر وملامحه، ذلك لأن معظم الزجالين اتجهوا إلى ميدان نظم الأغاني لأنه أوفر

من الربح، وخاصة بعد أن أصبح قانون حفظ الملكية الأدبية سارياً وهو يقضي بأن ينال الناظم حق الأداء العلني عن انتاجه كلما قدم بصورة علنية، فأصبحت الأغنية الواحدة –اذا صادفها النجاح -تستطيع أن تدر على صاحبها دخلاً سنوياً مستمراً.

وفي يقيني أن الزجل يزداد ازدهاراً كلما ظهر زجال موهوب، يستطيع بنظمه الجيد أن يحمل الناس على العناية بنظمه ومتابعته، ويستطيع بابداعه أن يستهوى أفئدة محبي الأدب الشعبي، فيحملهم على أن يحاولوا مسايرته في النظم .وتقليده في الابداع.

الفهرس

الزجل والزجالون

هذا الكتاب :

تتخذ السخرية أشكالا مختلفة بعضها يستدر الضحك، وبعضها يأخذ منحى مختلفاً، فهو مجرد تعداد لعيوب الآخر الموجودة فيه، أو المفترض وجودها، وهذا ما سمى في الشعر العربي بالهجاء، وقد حفلت الصحافة المصرية عبر تاريخها بالشعر الساخر ، والكاريكاتير الساخر أيضا ..

وتتمتع شخصية أبو بثينة بمكانة مرموقة في الشعر الساخر أو ما يسمى (الزجل) ، لعمق محتواه، وغنى شخصيته ، والأسلوب الذي يقوم على المفارقة التصويرية ، التي لها قيمتها الفنية ، عاش مع الناس البسطاء في دووايين الوظيفة، وفي الحواري والأزقة وفي أجران القمح، والتكيات، يغني معهم، ويصل بسهولة إليهم، وليس أدل على ذلك من قول الفنان الكبير إسماعيل ياسين عنه أنه هو أول من نصحه ونقله من عالم الغناء إلى عالم المونولوج.